

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Université Abou Bekr Belkaid
Tlemcen Algérie



جامعة أبي بكر بلقايد

كلية الآداب واللغات

القسم : اللغة والأدب العربي

تخصص الدراسات اللغوية في ضوء التواصل الحضاري

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث الموسومة :

اللغة العربية وألفاظ الحضارة الحديثة

إشراف الأستاذ الدكتور :

د. عبد الجليل مرتاض

إعداد الطالبة :

كشيشوش رشيدة

أعضاء لجنة المناقشة

جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. عبد الناصر بوعلي
جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. عبد الجليل مرتاض
جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. هشام خالدي
جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. لطيفة عبو
المركز الجامعي مغنية	أستاذة محاضرة "أ"	د. فاطمة صغير
جامعة البليدة 02	أستاذ محاضر "أ"	د. محمد هتهوت

السنة الجامعية : 2019/2018

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ الْمَوَدَّاتِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ الْمَوَدَّاتِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ الْمَوَدَّاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

"وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يُقُولُونَ إِنَّمَا
يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي
يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا
لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ"

صدق الله العظيم

سورة النحل - الآية : 103

كلمة شكر

أتقدم بالشكر إلى أستاذي الفاضل الذي تهتز له قلوب المقربين حبا،
وقلوب العارفين إجلالا، غزير اللغة الأستاذ الدكتور "عبد الجليل مرتاض"
لمؤازرته ومتابعته وتعهده بالرعاية العلمية، إقرارا بفضلته وامتنانا لجميله.
كما أتقدم بشكري وعميق امتناني إلى السادة الموقرين أعضاء لجنة المناقشة
الذين تكرموا بقراءة هذا العمل، وتفضلوا بإثرائه وتصويبه جزاهم الله عني
كل خير.

إهداء

أهدي ثمرة هذا العمل إلى من وفاهما اجل الله
الوالدين الكريمين العزيزين رحمة الله عليهما،
نسأل الدعاء لهما.

إلى كل من شجعني على مواصلة
سبيل العلم والتعلم، وأخص بالذكر
زوجي العزيز
الذي طالما أمدني بالنصح والمثابرة على هذا العمل
إلى أبنائي الأعزاء:
أحلام، رجاء، يوسف حسان وجيهان هند.
إلى جميع إخوتي داخل الوطن وخارجه.
إلى كل أفراد عائلتي قشيوش وشريفي
إلى كل من حملتهم ذاكرتي و لم تحملهم مذكرتي.
فاللهم تقبل و بارك أنت الوهاب الشكور.

مقدمة

مقدمة :

إن اللغة هي عنوان أي أمة، واللسان الناطق بهويتها، فهي التي حفظت تراث الإنسان شعرا ونثرا وعلما وثقافة وحاضرا وتاريخا، فاللغة العربية هي لغة الوحي والقرآن والوعاء والقالب الذي يحفظ ثقافة العرب وإبداعاتهم. فبهذا هي أوسع أحواتها السامية ثروة في أصول الكلمات والمفردات... وأصبحت فيما بعد أعذب اللهجات العربية ألفاظا وأشملها لجميع المعاني والتصورات فأصبحت العنصر الرئيسي في البناء الثقافي والحضاري الذي رفعت الأمة صروحها عبر الزمان. فقد شرف القرآن الكريم هذه اللغة بنزوله بلسان عربي مبين، وهو الكتاب الذي تعهد الله بحفظه، ومنه حفظ اللغة العربية في أرقى صورة للغة من حيث الأصوات والتراكيب. ولا تزال وستبقى دائما لغة الفصاحة والبلاغة، وأنها هواؤنا الحضاري ونهرنا المتدفق بالابتكار والتجدد والمعاصرة الفعالة مع الزمن... وبدون اللغة لا يمكن التأكد أو القول بوجود أمة أو شعب من الشعوب، فاللغة تضع الأمة والشعب.

تنوع اللغات وتتطور مع مضي الوقت والزمان، ويمكن العودة إلى تاريخ تطورها وبنائها عن طريق المقارنة بين اللغات الحديثة، بهدف تحديد سمات اللغة القديمة (لغة الأجداد)، وذلك من أجل فهم المراحل التنموية التي يمكن حدوثها في المستقبل. فلقد أدرك العرب في مطلع نهضتهم الحديثة في أواخر القرن الميلادي المنصرم أهمية المصطلحات العلمية في نقل علوم الغرب وفنونه إلى العربية والإفادة منها، فغنى بها عدد من العلماء واللغويين... ومن ناحية أخرى قامت الحكومات العربية بتأسيس الجامعات اللغوية والعلمية التي تتمتع بشخصية اعتبارية واستقلال إداري، وأناطت بها مهمة إثراء اللغة العربية بمصطلحات جديدة لمسايرة التطور العلمي ومواكبة التقدم التقني وأخذت هذه الجامعات اللغوية والعلمية والمعاهد اللسانية بتوليد المصطلحات العلمية والتقنية والإنسانية ونشرها في مجلاتها المتخصصة

وإصدارها في معاجم ثنائية أو ثلاثية اللغة، وفقا لمبادئ معينة وأسس متفق عليها وفي هذا السبيل، فإن لكل مجتمع أو معهد منهجيته الخاصة بوضع المصطلحات وأساليب اختيارها.

والبحث في هذا الموضوع يطرح الإشكالية التالية :

هل اللغة العربية اكتفت بألفاظها أم دخلت عليها ألفاظ جديدة من الحضارات الأخرى وخاصة الحديثة ؟ وكيف تفاعلت اللغة العربية مع اللغات الأخرى ؟ وهل أثرت هي بدورها على اللغات الأخرى ؟ وما هي الطرق التي استخدمها العرب في تعريب الألفاظ الأعجمية ؟ وما هو الفرق بين المعرب والدخيل ؟.

وانطلاقا من هذا التنوع المتعدد من الإشكالية، فقد اقتضى مني هذا البحث أن أقسمه إلى أربعة فصول ومقدمة وخاتمة، فبعد المقدمة التي تضمنت أهمية الموضوع ودواعي اختياره والإشكالية والدراسات السابقة، فالفصل الأول الذي تحدثت فيه عن اللغة وتعريفها عند القدماء والمحدثين العرب والأجانب بالتحليل اللازم ودورها في التواصل بين الأفراد والمجتمعات، أما الفصل الثاني فقد خصصته للحديث عن أصل العرب وموقعهم وتاريخ اللغة العربية وانحدارها من اللغات السامية وأيضا إلى تلك المكانة التي صارت إليها بعد ظهور الإسلام، إذ أنها صارت لغة القرآن والحديث الشريف، بل لغة الدين بوجه عام، وصار اهتمام العلماء بها عن رغبة قوية في معرفة أسرار تلك اللغة التي نزل بها القرآن وصلتها بالحضارات والثقافات الإنسانية.

أما الفصل الثالث فقد خصصته للحديث عن التفاعل اللغوي المبكر بين العربية واللغات الأخرى القديمة وما يجمع بينهما من مصطلحات مشتركة في العصر الجاهلي والإسلامي والأموي والعباسي والمغرب الإسلامي.

أما الفصل الرابع والأخير تحدثت عن التفاعل اللغوي بين العربية ولغات عالمية حيث تطرقت فيه إلى تأثير اللغة العربية باللغات الأخرى منها القديمة كالفارسية واليونانية والهندية والعثمانية والحديثة كالإسبانية والفرنسية والإيطالية والإنجليزية بسبب الاحتكاك فهمها كانت درجته، وكيفما كانت نتائجه الأخيرة يؤدي لا محالة إلى تأثير كل منهما بالأخرى بعد ذلك نشير إلى جهود مجمع اللغة العربية وخاصة بالقاهرة، ونشيد ما يقوم به من تزويد اللغة العربية بالمصطلحات العلمية والفنية والألفاظ الفصيحة التي تحل محل العامية في مختلف شؤون الحياة ودورها في المحافظة على سلامتها وصيانتها.

ولقد ديلت البحث بخاتمة استعرضت فيها جميع النتائج التي توصلت إليها.

وأهمية موضوع الدراسة تكمن في أهمية اللغة العربية وعن تراثها اللغوي الأصيل، وذكر محاسنها بين اللغات في اللغات الأوربية، وظاهرة الاقتراض اللغوي الذي هو من أبرز الظواهر اللغوية التي تساهم في نمو اللغة وتطورها واستطاعت بذلك أن تواكب مستجدات الحياة ومطالب التطور الحضاري، في معادلة طردية لا تعرف الجمود ولا تحقق العجز.

واللغة العربية لها كل ما تقدم من مميزات وتزيد أنها لغة الدين، وبذلك ضمنت لنفسها البقاء والنماء، ما دامت الدنيا وما دام في الأرض مسلم يقرأ القرآن وقدر ورثت في العصور الوسطى حضارات الأمم القديمة كلها من يونان ورومان وفرس وساميين ومصريين، وتمثلت كل ذلك وطبيعته بطابعها وزادته ونمته، فصار أصيلا بعد أن كان دخيلا، وصميما بعد أن كان ضعيفا غريبا، وقامت بأعباء الملك الواسع والسلطان العريض، وما يقتضيه ذلك من آداب وعلوم وفنون، فأضافت بذلك إلى سلسلة الحضارية الإنسانية حلقة لامعة ممتازة، كما زادت في صرح المدنية العالمية طابقا شامخا باذجا.

أسباب اختياري لهذا الموضوع منها ما هو موضوعي ومنها ذاتي، أما الأسباب الموضوعية فهي محاولة الكشف عن الواقع اللغوي بين حضارة العرب وحضارات الأمم الأخرى، فكلما اتسعت حضارة أمة نهضت لغتها وسمت أساليبها، وتعددت فيها فنون القول... حيث دخلت فيها ألفاظ جديدة عن طريق الوضع، والاشتقاق والاقْتباس أو بافتراض للتعبير عن المسميات والأفكار الجديدة.

وأما الأسباب الذاتية فهي حيي للغة العربية، لغة القرآن والعلم والأدب، لغة الوطن والعروبة ففي إحيائها إحياء للدين، ومحافظة على القرآن الكريم، وفي إهمالها إهمال لهذه الشعائر المقدسة وتهاون في شأنها، وحاولت معرفة الأصيل منها والدخيل فيها، وهذا ما شد انتباهي وجعلني أفكر في البحث عن تراثها اللغوي وألفاظ الحضارة الغربية الحديثة حيث كان لي حافزا قويا في هذا المجال الخصب والجدير بالدراسة والاهتمام والبحث حول فهم أسرار اللغة العربية وارتباطها بألفاظ الحضارة الحديثة وما زادني إصرارا للمضي قدما في هذا البحث تشجيع ومباركة أستاذنا الفاضل الأستاذ الدكتور عبد الجليل مرتاض لموضوع هذه الدراسة بعد أن ساعدني في تنظيم وتعديل خطة البحث فله لذلك جزيل الشكر والثناء.

أما الدراسات السابقة حول دراسة أصل اللغة ونشأتها وأهميتها من طرف فقهاء اللغة القدامى مثل ابن جني وأحمد بن فارس والثعالبي والسيوطي، حيث كلما تعمقوا في دراستها أحسوا بجمالها الطبيعي وعرفوا قدرها، فنالت من نفوسهم الإعجاب والتقدير... والمحدثين أمثال دي سوسر فاللغة عنده نظام اجتماعي من "التركيبات والأنماط الصوتية المستخدمة للأدلة على معنى يعينه" فهي إذن نظام من العلامات والإشارات، والنظام يعين "مجموعة القضايا التي تحدد ضمن اللغة، استعمال الأصوات والصيغ والتراكيب وأساليب التعبير النحوية والمعجمية".

أما فيما يتعلق بالمصادر والمراجع اعتمدت على بعض كتب الحضارة والتاريخية التي تحدثت عن أهمية اللغة العربية وعلاقتها بالحضارة الإسلامية والآداب السامية مع بحث مستفيض عن اللغة العربية وخصائصها وثروتها وأسرار جمالها لمحمدي عطية الأبراشي، وكذلك كتاب اللغة العربية بين الأصالة والمعاصرة، لحسني عبد الجليل يوسف، وبعض فقهاء اللغة لابن جني الخصائص، أ.د عبد الصور شاهين في علم اللغة العام وحلمي خليل في مقدمة لدراسة علم اللغة، أ.د عبد الجليل مرتاض في "اللغة والتواصل" وأيضا كمال بشر، التفكير اللغوي بين القديم والجديد...

وابن خلدون في المقدمة، إلى جانب ذلك ببعض المعاجم من نحو (لسان العرب) لابن منظور، (والقاموس المحيط) للفيروز أبادي ومختار الصحاح للرازي والصحاح للجوهري، وبعض كتب المعربات لتحديد مفاهيم المصطلحات ومنها (الفصحى لغة القرآن) لأنور الجندي (المعرب والدخيل)، للجوالقي، (علم اللغة) لعلي عبد الواحد وافي، و(مشكلات اللغة العربية) لمحمود تيمور والمزهر في (العلوم اللغة وأنواعها) للسيوطي، والمعجمات والمجامع العربية "العبد المجيد الحر" ومن الدراسات الحديثة للفقلعين كتاب (فقه اللغة) لكل من علي عبد الواحد وافي و(فقه اللغة في الكتب العربية) لعبد الراجحي، (الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها لابن فارس (والأساس في فقه اللغة العربية) د. عبد العزيز بن عثمان التويجري وأيضا مؤلفات الأستاذ عبد الجليل مرتاض (الحركة اللسانية الأولى عند العرب) وكتاب (العربية بين الطبع والتطبيع) وكتاب (في رحاب اللغة العربية) وغيرها.

ومن الأطروحات الجامعية ذات الأهمية والتي أثرت البحث وساهمت في إنتاجه أذكر (دراسة سانتكسية اللهجات العربية القديمة) رسالة دكتوراه في اللسانيات لعبد الجليل مرتاض

جامعة تلمسان، أطروحة دكتوراه للطاهر ميله (اللغة العربية بين الوضع والاستعمال) جامعة الجزائر.

اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التاريخي حيث ظهرت فيه ظواهر ومراحل تطور اللغة العربية عبر فترات التاريخ واستعنت بالمنهج الوصفي الذي يصف الحقائق ويناقشها دون فلسفة، أو محاكمة لها أو اقحام المنطق في تفسير وتأويل الظواهر اللغوية، وكذلك المنهج المقارن حيث يبرز لنا ظاهرة التأثير والتأثر أي أن أي لغة من اللغات في العالم كما يؤثر في غيرها فأنها أيضا تتأثر.

ورغم توفر الكتب المتعلقة باللغة العربية إلا أنني واجهت بعض الصعوبات في إيجاد ما يتعلق بألفاظ الحضارة الحديثة، وكما يعلم فإن كل باحث في طريق البحث لا يخلو من مشاق وصعوبات في الحصول على المراجع اللازمة، إلا أنني رغم ذلك أنجزت بعون الله هذه الأطروحة لإيماني بأنه من سار على الدرب وصل ومن جد وجد.

وفي نهاية هذه المقدمة أتقدم بوافر الشكر والتقدير والاحترام إلى الأستاذ الفاضل، الأستاذ الدكتور عبد الجليل مرتاض المشرف على هذا البحث، والذي وجدت فيه قدوة ومثالا في الحيوية والنشاط وفي العمل المتواصل دون كلل، لقد أسدى إلي الكثير من النصائح والتوجيهات في كل ما كتبتة وقلته. فله ولهيئة التدريس بالكلية كل خير وثناء.

كما أتوجه بالشكر العميق إلى أعضاء لجنة المناقشة لتفضلهم بقبول المناقشة وتحملهم مشاق القراءة وإبداء الملاحظات فجزاهم الله عني خير الجزاء.

وهذا جهد بذلت فيه ما استطعت، فأن أصبت فذاك توفيق من الله وحده فله الحمد والشكر وإن أخطأت فعذري أني من البشر، وأشكر الله سبحانه وتعالى الذي أعانني على إتمام هذا البحث.

ولله الحمد أوله وآخره وظاهره وباطنه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

قشوش رشيدة

تلمسان يوم : 2018/10/11

الفصل الأول

مفهوم اللغة وأهميتها

تمهيد :

إن اللغة قيمة جوهرية كبرى في حياة كل أمة، فأنها الأداة التي تحمل الأفكار، وتنقل المفاهيم فتقيم بذلك روابط الاتصال بين أبناء الأمة الواحدة، وبها يتم التقارب والتشابه والانسجام بينهم، وبهذا ترتبط اللغة بالتفكير ارتباطاً وثيقاً، فأفكار الإنسان تصاغ دوماً في قالب لغوي حتى في حال تفكيره الباطني كما ترمز اللغة إلى الأشياء المنعكسة فيها، فاللغة هي القدرة على اكتساب واستخدام نظام معقد للتواصل وخاصة قدرة الإنسان على القيام بذلك، فلها معنى ومدلولات يفهمها ويعرفها السامع والمتحدث والقارئ والكاتب، ولها استقلالية ومميزات عن اللغات الأخرى، وتنقل محتوى الرسالة من خلال الإتصال، وتعتبر ظاهرة اجتماعية تتسم بعدم الثبات.

هذا وتعتبر اللغة أهم وسائل التفاهم والاحتكاك بين أفراد المجتمع في جميع ميادين الحياة، فوظائفها تتمثل في أنها تحافظ على التراث الذي تملكه الشعوب، وتثير العواطف والأفكار، وتوثق الروابط الاجتماعية من خلال الاتصال بين الناس، وتنقل المعلومات، وتعتبر وسيلة من وسائل إبراز الفكر، والتعبير عن المشاعر.

1- مفهوم اللغة وأهميتها :

لم تكن كلمة (لغة) تعني قديماً في معناها ومفهومها كما تدل عليه في الوقت الحاضر، وذلك لما لأصاها من تطور لغوي كبير في معانيها المختلفة ودلالاتها وتشعب فروعها.

1-1- تعريف اللغة لغة واصطلاحاً :

أ- لغة :

إن العرب كانوا يطلقون على الضوضاء التي لا طائفة من ورائها (لغوا) من الفعل (ألغى) يعني بمعنى أبطل، أي عن ذلك لغوا.

وجاء في الصحاح أن (لغا - يلغو - لغوا) أي قال باطلا يقال : لغوت باليمين، واللغا : الصوت مثل الوغا، ولغي به، أي لهج به، ولغي بالشراب : أكثر منه ¹.

يقول ابن منظور هي فعلة، من لغوت أي تكلمت أصلها لغوة، ككرة وقلة ².

ولهذا نجد إن العرب يفرقون بين اللغة واللغو. اللغة كلام يقصد به معنى مفيدا، وأما فكلام اللغو من غير رؤية وتفكير وهو الكلام المهمل في حين اللغة هو الكلام غير المهمل ³. وعندما نقول (زيد في قام البيت) فهذا لغو لا لغة، لأنه لا يدل على معنى مفيد، في حين إذا قلنا (قام زيد في البيت) فيكون ذلك لغة لا لغو لأنه يدل إلى معنى مفيد، وإن كلمة (عبد الملك) هي مفردة أن جعلت علما على شخص، وهي مرعبة إن قصد بها نسبة إلى الملك بالعبودية.

كما جاء في سورة فصلت " وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ " ⁴ واستعلمت بمعنى القول الباطل، كما جاء في قوله تعالى : " وَالَّذِينَ هُمْ

¹ - فخر الدين الرازي، مختار الصحاح، المجلد الثاني، دار الحضارة العربية، بيروت، ب ت، ص 447.

² - ابن منظور، لسان العرب، ج 2، مادة (ل.غ.و).

³ - كمال يوسف الحاج، في فلسفة اللغة، دار النهار للنشر، بيروت، 1967، ص 63.

⁴ - سورة فصلت، الآية : 26 - 25.

عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ" ¹.

واستعملها الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، في معنى ما لا يحتاج إليها من الكلام في قوله (إذا قلت لصاحبك أنصت، والإمام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت...).

واللسن (بكسر اللام) بمعنى اللغة، ويقال لكل قوم لسن أي لغة يتكلمون بها ².

ب- اللغة اصطلاحاً : تعددت تعريفات اللغة عند القدماء والمحدثين، وركزت كل مجموعة على النواحي المهمة من وجهة نظرها وأبرزها في التعريف، ومن أهم التعريفات عند القدماء التي تعبر عن حس لغوي مرهف ودقة ملاحظة، تعريف "ابن جني" "حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" ³.

ونال هذا التعريف اهتمام اللغويين العرب المحدثين لأنه ضم أكبر قدر من الحقائق المهمة عن اللغة :

- الطبيعة الصوتية للرموز اللغوية.
- الطبيعة الاجتماعية الذي يبين أن وظيفتها هو التعبير ونقل الفكر إلى إطار البيئة اللغوية ⁴.

¹ - سورة المؤمنون، الآية : 03

² - فخر الدين الرازي، مختار الصحاح، المجلد السادس، ص 2195، ج 1، ص 23.

³ - ابن جني عثمان أبو الفتح "الخصائص" عالم الكتاب، القاهرة، مصر، ط 2، (1374-1955)، ص 33.

⁴ - من أبرز هؤلاء : أ.د عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، و أ.د محمود فهمي حجازي، في مدخل إلى علم اللغة، و أ.د حلمي خليل في : مقدمة لدراسة علم اللغة، عبد الجليل مرتاض "اللغة والتواصل".

وتعريف اللغة في علم اللغة الحديث - على تنوع مدارسه يلتقي مع تعريف ابن جني لها حول هذه الحقائق الهامة، لكنه أضاف إليها حقائق أخرى كانت ثمرة لتطور هذا العلم من خلال الدراسة العلمية.

وقيمة الرموز ليست قيمة ذاتية طبيعية، بل هي مستمدة من الاتفاق العرفي عليه، فالرمز اللغوي يستمد من الاتفاق بين المتحدث أو الكاتب من جانب، وبين المستمع من جانب آخر¹، ويرى "شفين أولمان" أن هناك ثلاثة عناصر يتضمنها أي حديث لغوي هذه العناصر هي: المتكلم، والسامع والرسالة المرغوب في توصيلها².

فمن الطبيعي أن ينشغل الإنسان منذ القديم بلغته أو بأي وسيلة يعبر بها عن نفسه، وتيسر له الاتصال بمن حوله، حفاظا على نفسه وتمكينها له من أداء دوره في الحياة، وتحققا لخلافة الله في أرضه كي يعمرها، واستمرارا لبقائه، وتفجيرا لطاقته الإنسانية التي تقود في النهاية إلى تكوين مجتمعات صغيرة أو كبيرة، مؤهلة لتأكيد هذه الخلافة، كما أرادها الخالق جل وعلا.

يقال إن الإنسان بدأ وسيلته التواصلية بالرقص والغناء والإشارة، حتى استوى على عوده واستطاع أن يفعل قدراته اللغوية الممنوحة من الله تعالى، وأن يحققها في صورة أصوات لغوية منطوقة تفي نوع وفاء بحاجته من التعبير والاتصال³.

وبمرور الزمن تعمقت هذه القدرات وازداد تفعيلها، وتنوعت صور هذا التفعيل بالقب والتغني في استخدام تلك المنحة الربانية المعروفة بجهاز النطق، حتى قدر للإنسان أن يحظى

¹ - حسني عبد الجليل يوسف، "اللغة العربية بين الأصالة والمعاصرة"، خصائصها ودورها الحضاري وانتصارها، دار الوفاء لدار
لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، ط 1، 2007، 21.

² - المرجع نفسه، ص 21.

³ - د. كمال بشر، "التفكير اللغوي بين القديم والجديد"، دار غريب، القاهرة، ب ط، 2005، ص 24.

بصورة نطقية من الكلام المنسوق الذي يمكن وسمه باللغة، بصورة من الصور أو بمعنى من المعاني¹.

فاللغة ظاهرة اجتماعية غير مادية، وتحتاج لذلك عند تحديد عناصرها ومعرفة ماهيتها إلى عمليات متعددة غاية في التعقيد والتداخل، لتشعب عناصرها بين الإرسال والاستقبال والتداعي والترجمة، ويسبق كل ذلك تفكير وتقدير وتدبر: " فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ"² فهي أكثر من أصوات، وأكثر من أن تكون أداة للفكر وأكثر من أن تكون تعبيرا عن الأغراض لجماعة ما. ولذلك صدق أن يقال إن الإنسان صار باللغة إنسانا، وبلغ بها العقل منتهاه، وأخذت بها الحضارة وأوجها ذورة واتساعا.

وحين ترقى اللغة يرقى أهلها، تأخذ حيزا من القداسة يرفع شأنها، ويدفع استمرار وجودها، يثبه بها لها وليس بغريب - إذن - أن يكلف بأبحاثها الملوك والرؤساء والمفكرون والفلاسفة فضلا عن سنتها وعلمائها، فأبحاث تأصيلها وإدرات كنهها لم تنقطع منذ فجر التفكير حتى الآن، لما لها من أهمية وغرابة، إذ أنها في الواقع جزء من كيانها النفسي والروحي.

ودارت الأبحاث اللغوية - وتدور - حول التطور الخارجي للغة، وحول التطوير - الداخلي لها أي في مجال البنية والطبيعة.

إن الله من أهم ما وهب الله للإنسان، إذ أنها هي التي تميز بين الإنسان وسائر الحيوان، لذلك أعتنى بها كثير من العلماء وألفوا كتبا عديدة حول موضوعها، وقد اختلف العلماء عن تعريف اللغة، كما اختلفوا أيضا عن نشأتها وسوف نتطرق إلى بعض أو أكثر هذه التعريفات مع نقد بعضها.

¹ - كمال بشر، المرجع السابق، ص 24.

² - سورة المؤمنين : الآية 14.

2- مفهوم اللغة عند قدماء العرب :

تعامل العرب كغيرهم من الأمم الأخرى مع اللغة، ممارسة ودراسة فأتقنوها من حيث النطق، والكتابة بها، ومن حيث دراستها واستكناه أسرارها ومعانيها ودلالاتها العميقة، فكانت تعاريفهم وتحديداتهم لها تعبر عن أصالة في التفكير اللغوي عند العرب، مكنتهم من بناء صرخ شامل للغة سمي بعلوم اللغة العربية، ومن تحقيق سبق تاريخي وحضاري في مجال البحث اللغوي، والجدير بالذكر تأثر تفكير اللغويين العرب بالثقافات السابقة، خاصة ثقافة الإغريق والهنود، بقدر ما ننوي التركيز على إسهامهم المثير في تقديم فكرهم اللغوي الذي يحتزن بطبيعة الحال، نظرتهم للغة بشكل عام.

ومن هذا المنطلق، فعلماء من قبيل الخليل، وسبويه وأحمد بن فارس، وابن جني، وعبد القاهر الجرجاني... وغيرهم كثير قدموا دراسات فريدة في نوعها في تعاملهم مع اللغة على نحو جعل دراستهم تتوارث عبر الأجيال لمئات السنين، قبل بزوغ درس اللغوي الحديث الذي تغلغل في أوروبا وأمريكا إلى الدول العربية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

اللغة : "ملكة لدى البشر، يستطيعون التواصل بها، فيما بينهم، بواسطة نظام من الأصوات يسمى لسانا، لدى كل قوم منهم ويرادفها الكلام"¹، وهي بهذا النظام من الرموز يتم به التواصل بين البشر طبيعيا كان أو وضعيا، واللغة أيضا : "أداة تواصل ونظام من العلامات الشفوية الخاصة بأعضاء مجموعة تواصلية ما"².

¹ - د. بلماي بن عمر، "تراث ابن جني اللغوي والدرس اللساني الحديث"، دي سوسير أنموذجا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ب ط، 2006، ص 09.

² - المرجع نفسه، ص 09.

ومع أن ابن جني هو أول من عرف باللغة، فيما نظن، فإن تعريفه بها يثير دهشة الباحثين البعدين عن تطور الحياة العلمية العربية، لأنه يقترب اقترابا شديدا من كثير من تعريفات المحدثين، ولأنه يشمل جوانب التعريف التي عرضها "علم اللغة" في العصر الحديث¹.

وبناء على ما تقدم، يقول أبو الفتح في "دباب القول على اللغة وما هي : أما حدها فأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"².

2-1- تحليل قول ابن جني :

يشتمل هذا التعريف على أربعة جوانب، يستحق كل جانب منها شيئا من التفصيل وهذه الجوانب هي :

- 1- اللغة أصوات.
- 2- أن اللغة تعبير.
- 3- أنها تعبير يعبر بها "كل قوم".
- 4- أنها تعبير عن "أغراض".

والجدير بالذكر أن موقف ابن جني، الترابي هذا يحمل في ثناياه المستويات التي تضمنها صعيد فكرته حول اللغة، موقف مرن ذو قابلية للامتداد والاتساع عبر قراءات القارئ وتأملات المتأملين، نظريا وعلميا.

¹ - ابن الجني، الخصائص، ص 12.

² - المرجع نفسه، ص 12.

فحين يعرف أبو الفتح بني جني اللغة بقوله : أما حدها فأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، /فهذا يبلغ قمة البحث اللغوي حين يربط اللغة بالوظيفة، كونها تتحدد من خلال بعدها الوظيفي بين الأفراد والمتكلمين على السواء، من خلال تبادل الأغراض والحاجات بواسطة اللغة/.

2-2- اللغة عند ابن تيمية :

أداة تواصل وتعبير عما يتصوره الإنسان ويشعر به، فهي وعاء للمضامين المنقولة، سواء أكان مصدرها الوحي، أم الحس، أم العقل وهي أداة لتمحيص المعرفة الصحيحة، وضبط قولين التخاطب السليم، ويستفاد من مفهوم ابن تيمية للغة السمات التالية¹ :

- 1- أن للغة وظيفة اتصالية وتعبيرية.
- 2- أن لها علاقة بالعقل والتصور والمشاعر.
- 3- أن هناك صلة بين العناصر الشكلية والمكعاني النقلية.
- 4- أن للغة أهمية في نقل المعرفة وتمحيصها.

2-3- اللغة عند ابن خلدون :

هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها، هو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتها يتضمن هذا التعريف عدة مسائل هي² :

¹ - أحمد بن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، تصحيح وتعليق، محمد علي الصابوني، مطابع المجد التجارية، ص 463.
² - ينظر : ابن خلدون، المقدمة، ج 1، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، د ط، 1982، ص 1085.

- 1- أن اللغة وسيلة اتصالية إنسانية اجتماعية، يمتلكها متكلم اللغة، ويعبر بواسطتها عن آرائه واحتياجاته، ومتطلباته.
 - 2- أن اللغات تختلف من مجموع إلى آخر، طبقا لما اصطلح عليه أفراد كل مجتمع.
 - 3- أن اللغة نشاط إنساني عقلي إرادي يتحقق في حدود عادة كلامية لسانية.
 - 4- أنها تصبح ملكة لسانية بتكرار استعمالها.
- 3- مفهوم اللغة عند اليونانيين :
- 3-1- اللغة عند أرسطو :

يقول أرسطو في هذا الصدد حول نظريته للغة، أنها وظيفة عضوية في الإنسان، وهي كذلك أساس طبيعي للفضائل والصلوات الاجتماعية والسياسية، ووحدة اللغة الكلمات، وهي بمقاطعها منيعة لحركة صوتية، ولكن هذه الأخيرة في الحقيقة عملية عقلية، إذ مجرد نطق الكلمة يدل على شيء ما، فيحدث في الفكر حركة ما، وهذه الكلمات رموز لمعاني الأشياء بمرتبة أعلى من مرتبة الحس. فهي رموز لحالات نفسية في مادة للفكر، فالصوت اللغوي وظيفة عقلية لها دلالتها على الكلام النفسي الداخلي¹.

واللغة على هذا الأساس تحيا في نفوس القوم، وتتطور تبعا لتوجيهات عقلية، ويجدر بنا هنا أن نشير بأن اللغة ظاهرة عقلية، وهذا ما ينحو بالظاهرة اللغوية وتفسيراتها صوب جهات علم النفس، بما فيه من منعطفات وبهذا المفهوم توجه البحث اللساني وجهات غير منطقية².

¹ - د. محمد غنيمي هلال، "النقد الأدبي الحديث"، دار العودة، بيروت، بد ط، 1997، ص 41.

² - د. عبد القادر عبد الجليل، "علم اللسانيات الحديثة نظم التحكم وقواعد البيانات"، ص 304.

4- مفهوم اللغة لدى محدثين العرب :

يعرفها أنيس فريجة اللغة أنها :

مجموعة أصوات للتعبير عن الفكر أو أداة للتفاهم أو وسيلة لنقل المعاني، لأن صوغ تعريف علمي شامل للغة ليس بالأمر اليسير كما قد يتبادر إلى الذهن¹، ويقصد أنيس فريجة في توضيحه للغة أنها من الأمور الطبيعية المألوفة التي يمارسها جميع البشر على اختلاف أجناسهم عفوياً، فأنها لا تتطلب جهداً ولا تفكيراً، يستعملها الولد بيسر، وهي عنده عملية بسيطة كالمشي والأكل والشرب والنوم وغسل اليدين قبل تناول الطعام، وأضف إلى هذا، فها نحن نتكلم في كل حالة من حالات الحياة وفي كل ساعة من ساعات الليل والنهار سواء كنا نائمين أو حالمين أو هاذين، فضمن هذا الاهتمام، نقول أن تعريفها أمر شاق.

ويذهب محمد عبد العزيز إلى أن اللغة (هي نظام الأصوات المنطوقة، له قواعد تحكم مستوياته المختلفة، الصوتية والصرفية والنحوية، وتعمل هذه الأنظمة في انسجام ظاهر مترابط وثيق، ولهذا فهي نظام الأنظمة) أو هي نظام من الرموز الصوتية².

في حين يرى تمام حسان³ بأن اللغة جهاز صوتي يتم استعماله حسب قواعد معينة، لا بد للمتكلم أن يطابقها عند الكلام، وكذلك لها جهاز صرفي يتكون من الصيغ، تخضع لقوانين محددة، درجت عليها البيئة اللغوية، تلزم المتكلم من أن يراعيها ويخضع لضوابطها وقوانينها وأصولها.

¹ - أنيس فريجة، "نظريات اللغة"، دار الثقافة، بيروت، 1955، ص 09.

² - المرجع نفسه، ص 10.

³ - تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتاب، ط 4، القاهرة، 1421هـ - 2001م، ص 09.

وتعمل الكلمات عادة ضمن قوالب لغوية إذ تدخل في تركيب ووحدات لغوية أكبر كالعبارات والجمل والفقرات والأحاديث على اختلافها.

4-1- تعريف اللغة عند جرجي زيدان :

حيث يقول : ليعلم حملة الأقلام أن اللغة كائن حي نام خاضع لناموس الارتقاء، تتجدد ألفاظها، وتراكيبها على الدوام، فلا يتهيون من استخدام لفظ جديد لم يستخدمه العرب له، وقد يكون تهييم مانعا من استثمار قرائحهم، وربما ترتب على إطلاق سراح أقلامهم فوائد عظيمة تعود على الآداب العربية بالخير الجزيل...¹.

5- مفهوم اللغة لدى المحدثين الغربيين :

5-1- بعض تعريفات كلمة "لغة" : يقول جون لوينز في كتابه اللغة والغويات :

ليس من الصعب أن نعثر على تعاريف متعددة لكلمة "لغة" فكل واحدة من التعبير التالية حول اللغة، سواء أكان القصد استعمالها تعريفا أم لا، يثير نقطة أو أكثر مما سيجري بحثه في مكان لاحق. وجميع هذه التعابير مأخوذة من أعمال كلاسيكية لعلماء لغويين مشهورين جدا. وهي، في مجملها تعطي مؤشرات تمهيدية للخصائص التي يعتقد علماء اللغة أنها ضرورية لتحديد معالم "اللغة"².

¹ - جرجي زيدان، اللغة العربية كائن حي، ص 07.

² - جون لوينز، ترجمة أ.د. محمد العناني "اللغة واللغويات"، دار جرير، عمان، الأردن، ط 01، 1430 هـ - 2009م، ص

5-2- تعريف اللغة للعالم اللغوي سابير :

يقول سابير Sapir، أن اللغة هي على نحو محض طريقة بشرية وغير غريزية لنقل الأفكار والأحاسيس والرغبات بواسطة رموز ينتج طوعاً¹.

التفسير، فإن هذا التعريف لسابير يعاني من عدة عيوب، فهمها كان تفسيرنا للمصطلحات "أفكار" و "أحاسيس" و "رغبات" فإنه يبدو وأن هناك الكثير مما يمكن نقله بواسطة اللغة ومما لا يندرج تحت أي من هذه المصطلحات. كما أن مصطلح "أفكار" بشكل خاص غير دقيق ضمناً.

وفي ظل هذا الاهتمام، يقول بلوك وثرينجر (Bloch and Trager) في كتابهما مختصر التحليل اللغوي "Outline of linguistic analysis" "أن اللغة هي منظومة من الرموز الصوتية الاختيارية يمكن بواسطتها لجماعة اجتماعية أن تتعاون". وفي هذا السبيل، وما يلفت النظر في هذا التعريف أن يتكشف عن وجوه اختلاف صارخة عند مقابته بتعريف سابير من حيث أنه لا يلجأ إلى الوظيفة الاتصالية للغة إلا بطريقة ضمنية وغير مباشرة².

وبدلاً من ذلك، يجدر بنا أن نشير ههنا، أنه يضع التوكيد كله على الوظيفة الاجتماعية للغة وانطلاقاً من هذا التوجه، فأن هذا التعريف يتبنى نظرة ضيقة نوعاً ما للدور الذي تقوم به اللغة في المجتمع.

¹ - المرجع نفسه، ص 20.

² - نفسه، ص 20.

أما في العصر الحديث فمن أبرز علماء الغرب الذين أسهموا في تحديد وظيفة اللغة نجد :

بوهلر (Karl Buhler 1879-1963) : حيث حدد وظيفتها في : الإنفعالية والندائية والمرجعية وهي جميعا تتعلق بثلاثة عناصر أخرى في : المتكلم (المرسل)، المخاطب (المستقبل)، الغائب.

ويرى (فردينان دي سوسور) أنها - أي اللغة - نظام أو نتاج اجتماعي لملكة اللسان، وهي مجموعة من التقاليد الضرورية التي تبنها مجتمع ما ليساعد على ممارسة هذه الملكة¹.

ويعرفها كذلك أنها : "نظام من الرموز الصوتية الاصطلاحية في أذهان الجماعة اللغوية، يحقق التواصل بينهم، ويكتسب الفرد سماعا من جماعته".

5-3- تعريف روسي هجمان :

"اللغة قدرة ذهنية مكتسبة يمثلها نسق يتكون من رموز اعتباطية منطوقة يتواصل بها أفراد مجتمع ما"².

5-4- تعريف اللغة عند أندري مارتيني : André - Martinet

هي أداة اتصال يتم بواسطتها تحليل التجربة الإنسانية المتباينة بحسب كل فئة اجتماعية"³، إذن اللغة عند مارتيني هي وسيلة التواصل تعكس ماضي الإنسان عبر مراحلها

¹ - - De saussure, course sin général linguistics, P 7- 150.

² - روسي هجمان، اللغة والحياة الطبيعية البشرية، ترجمة : د. داود حلمي أحمد السيد (مقدم المترجم)، ص 10.

³ - ابن مويلي الأخصر ميديني، المعجمية العربية، دار هومة، الجزائر، ط 1، 2010، ص 15.

المختلفة ويرى "ديكارت" - كما يرى الدكتور علمان أمين - : "بأن اللغة خاصية الإنسان، بما هو حيوان ناطق أي مفكر، وبما هو حيوان مدني، أي (اجتماعي.... وهي : تحقيق ناطقية الإنسان بشقيها : الفكر والعمل، ومن تم تجعله أهلاً لأن يكون خليفة الله في الأرض، وللناطق عند "ديكارت" وركيزتان ممارسة التفكير وممارسة الحياة الاجتماعية، فضلاً على أنها سبيل الكشف عن النفس والغير والسكون...¹ ". ونحن بدورنا نلاحظ أن اللغة في هذا التعريف هي الخاصية التي يتميز بها الإنسان عن سائر الحيوان، بواسطتها يتعاون ويتعامل أعضاء المجموعة الاجتماعية المعينة.

5-5 - اللغة عند بلومفيلد : Bloomfield

لقد عرف بلومفيلد اللغة على أنها "مجموعة من الرموز اللغوية التي يمكن دراستها دون الاعتماد على نظريات خارجية لمعرفة دلالتها"².

إن أصعب مرحلة من مراحل الدراسة اللسانية على حد رأي لومفيلد، هي تلك التي تنظر إلى اللغة على أنها شكل من أشكال السلوك الفيزيولوجي. لقد كانت الدراسات اللغوية السابقة ممتلئة بالتحليلات الخارجية للغة، وعلى هذا الأساس يرى بلومفيلد كالتحليل الكتابي والتحليل الأعبابي والتحليل الفقهي للغة، فمثل هذه التحليلات اللغوية تحليلات للاستعمال اللغوي فقط وليست تحليلات للغة بحد ذاتها. ومن هذا المفهوم، فإن اللغة بالنسبة لبلومفيلد هي سلوك فيزيولوجي تجاه مثيرات خارجية.

¹ - توفيق محمد شاهين، عوامل تنمية اللغة العربية، مطبعة الدعوة الإسلامية، القاهرة، ط 1، 1980.

² - Blomfield Leonard, langage compton printing london, 1933. (06)

5-6- اللغة عند برتراند راسل* (1872 – 1970) : Bertrant Russel

لم يكن راسل أول من قال إن اللغة لها تأثير كبير في ما يتعلق بكيفية فهمنا للعالم وسعى لجعل "طريقة استخدام اللغة" جزءاً أساسياً من الفلسفة وقال في هذا الخصوص إن "وضوح التعبير فضيلة" وهذا مبدأ أخذ به كل من كتب في الفلسفة منذ ذلك الحين، وكانت نظرية الأوصاف (Theoy of descriptions) مساهمته الأهم في مجال فلسفة استخدام اللغة، حيث قسم الكلام بموجب هذه النظرية إلى ثلاثة أنواع تعابير لا تعني شيئاً وتعابير نعني شيئاً محدد دعي "وصفاً محددًا" "Definite Description" وتعابير غامضة دعاها "تعابير غير محددة".

"Indefinite descrijuns" فأدما قلنا مثلاً : (ملك فرنسا الحالي) فذلك لا يعني شيئاً، لعدم وجود ملك في فرنسا حالياً، فهذه العبارة من النوع الأول أما إذا قلنا : (ملكة بريطانيا الحالية) فأنها من النوع الثاني، لأن هناك ملكة في بريطانيا الآن وملكة واحدة فقط، أما النوع الثالث فيمثلته قولنا : (بحر) أو (رجل) حيث توجد أشياء مثل هذه إنما هي غير محددة أو مبهمه¹.

*- برتراند راسل : (1872-1970) : فيلسوف وعالم رياضيات بريطاني تناول في كتاباته القضايا الاجتماعية والسياسية أيضاً، وكان من دعاة السلام طول حياته، قادر وهو في التسعين من عمره الاحتجاجات ضد الاختبارات النووية، وكان المحرك الأول في تأسيس المحكمة الدولية التي نظرت في الجرائم التي اقترفها الأمريكيون أثناء حرب فيتنام، وهو كاتب غزير الانتاج أصدر ما يزيد عن ستين (60) كتاباً تراوحت بين الرياضيات والفلسفة والشؤون السياسية.

¹- برتراند راسل "أثر العلم في المجتمع" ترجمة صباح صديق الدملوجي، مراجعة د. حيدر حاج إسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، توزيع : مركز دراسات الوحدة العربية (Russel Bertraut, the impact of science onsosiety)، الطبعة الأولى، بيروت، نوفمبر 2008، ص 11.

ومن هنا ندرك أن رغم بساطة هذا التقديم للنظرية، إلا أن أهميتها المتمثلة في توثيق الأفكار والافتراضات الفلسفية مقترنة بوضوح التعبير الذي نادى به راسيل، تجعلها ذات أهمية كبيرة في تقديم طروحات الأعمال الفلسفية.

كما تطلق اللغة على الاستعداد الملحوظ لدى كل البشر للتبليغ بواسطة الألسنة أو بالأحرى مجموعة كل الألسنة البشرية المتبصرة في طبائعهم المشتركة، أو أزيد من ذلك، وخلافا للأصول في استعمال فلاسفة هي الإستعداد للتبليغ حتى مع أنظمة أخرى تماما مثل الألسنة الطبيعية (وظيفة رمزية)¹.

وبكلمة واحدة، فإن اللغة بمعناها الواسع وسيلة التبليغ والمستعملة من قبل مجموعة إنسانية أو حيوانية لإرسال رسائل، وأنها مركبة من أصغر وحدات دنيا تسمى علامات أو إشارات، وبناء على ما سبق، فإن مصطلح اللغة يمكن أن يبين إما أنظمة من العلامات أو الإشارات المباشرة أو الطبيعية : لغة ممفصلة إنسانية، لغة الدلفين، لغة النمل، لغة الورود، وإما أنظمة ثانوية أي مقامة انطلاقا من لغة إنسانية مترفة Transcodé بنهايات نوعية للتبليغ كإشارات المرور، وكلمات السر، واللغة بمعنى المبطن بعلامات مباشرة أو طبيعية فإنها تفترض متكلما ذاتيا وتشرك ظواهر مربوطة بنقل رسالة داخل سياق فضائي -زمني وثقافي يقال له المقام².

5-7- كيف نتعلم اللغة ؟

ويرى نشومسكي أن اللغة أعقد من أن نتعلمها بملاحظة سياقتها، وذلك يعني أنه لا يوجد أسلوب أستدلالي خالص يمكنه استنباط قواعد اللغة بمجرد فحص أو تحليل نماذج من

¹ - أ. د. عبد الجليل مرتاض، القاموس الوجيز في المصطلح اللساني، دار هومة، الجزائر، 2017، ص 354.

² - القاموس نفسه، ص 354.

الجميل، ضمن هذا الاهتمام، ولذلك فإن الأطفال يجب أن يكون لديهم شيء من المعرفة الفطرية باللغة لتمكينهم من اكتسابها أو ما يسميه شيفن بينكر "الغريزة اللغوية"¹، وبعبارة أخرى هم

بولدون ولديهم معرفة بالنحو العام، ثم يقومون ببساطة بتكييف هذه المعرفة الفطرية أو وضعها في الشكل المتغير Porometerize حتى تتطابق واللغة أو اللغات المحددة التي يكتسبونها².

وأضف إلى هذا، فهذه النظرية التي ليست بمنأى عن الجدل والخلاف، تمسك على الأقل بحقيقة واحدة مهمة حول اللغة: إن الأطفال من أي جنس وأي ثقافة يستطيعون تعلم (أي) لغة، مما يعني ضمناً أن اللغة - بالتأكيد - خاصة عامة عالمية.

توصل علماء اللغة المحدثون حول اللغة بشكل عام إلى ما يلي³:

- 1- أن اللغة إرث اجتماعي ينهض كل جيل من أجيال الأمة المتكلمة أو الكاتبة بها إلى استكمالها بما يتفق مع حاجات العصر.
- 2- إن اللغة اتفاق لا يمكن الخروج عليه إلا باجماع الأمة.
- 3- إن اللغة موروثة اجتماعي وأنه ملك للفرد كما هو ملك للجماعة.
- 4- إن الإنسان حين يتحضر يصبح مزدوج اللغة، فهو حين يصرف شؤون حياته اليومية بلغة خالية من الإعراب، ثم يعود فيعرب حين يحس بالحاجة إلى

¹ - مايكل كور باليس، نشأة اللغة من إشارة اليد إلى نطق الفم، ص 14.

² - المرجع السابق، ص 14.

³ - ينظر: كامل محمود الناقة ورشدي أحمد طعيمة، "اللغة العربية والتفاهم العالمي"، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ب ط، ص 45.

التواصل مع جماعة تتجاوزه من حيث الحجم البشري، وتزيد عن الجماعة التي تؤلف معه بيئة لغوية محدودة.

5- إنه ما من لغة من اللغات مكتوب كانت أو محلية منطوقة تكاد تخلو من تأثير بلغة أو لغات أخرى بحكم عوامل منها : الغزو والحرب والاحتلال والحوار والعلاقات التجارية والسياحية والثقافية وغيرها....

اللغة إذن إرث اجتماعي ملك مشترك بين جميع الأفراد وهي كخطي المسبحة الذي يصل بين بعضهم البعض، وبينهم وبين غيرهم، وهي بلا شك تتأثر بكل ما يطرأ على المجتمع الإنسان من تغيرات...

اللسان آية البيان وخاصة الإنسان، واختلاف الألسن أية من آيات الله الظاهرة في خلقه لقوم يتفكرون، وهي لا تقل شأنًا وعظمة عن آية خلق السموات والأرض¹، قال تعالى : " وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ"².

بالنسة للتعريف جاء في معجم لسان العرب لابن منظور نقلا عن الأزهري قوله :

اللغة هي الأسماء الناقصة، وأصلها لغوة من لغا إذا لغا إذا تكلم، وقال أيضا : اللسن وحدها إنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، وقد جاء في الحديث ومن لغا أي تكلم فلا جمعة له، وهي لفظ وضع لتبليغ المعنى المقصود إلى الذهن³.

¹ - عمار ساسي، "المصطلح في اللسان العربي من آية الفهم إلى أداة الصناعة" عالم الكتب الحديث إريد، الأردن، ط 1، 1429هـ - 2009م، ص 20.

² - سورة الروم الآية : 22.

³ - لسان العرب لابن منظور نقلا عن الأزهري أو إبراهيم اليوسفي، "اللغة العربية سحر وجمال عبقرية"، ص 27.

ومن خلال البحث والتقصي، تبين أن لفظ اللغة لم يرد في القرآن الكريم، وإنما عبر عن مضمونه بكلمة: "لسان" وقد وردت كلمة لسان 25 مرة في القرآن، وسأقتصر في هذا المضامر على ثلاث آيات الأولى: " وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ " ¹ أي بلغة قومه والثانية: " لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ " ² والثالثة قوله جل شأنه: " فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا " ³.

والتعبير عن اللغة باللسان هو ما حدا ببعض أصحاب المعاجم بتسمية كتبهم باللسان، ككتاب (لسان العرب) لابن منظور و(لسان العرب المحيط) ليوسف خياط... وكالدوية التي يصدرها مكتب تنسيق التعريب بالعاصمة المغربية الرباط "اللسان العربي" والجدير بالذكر، يعتبر اللسان جارحة الكلام يكون في الفم، ويصلح للبلع والنطق والتذوق، وهو مذكر وقد يؤنث، ويجمع على ألسنة وألسن ولسن، ويطلق على المتكلم عن القوم يقال هو "لسان قومه" ولسان النار شعلتها، يقال: "طفئ لسان النار ولسان الله حجت"، يقال: فلان ينطق بلسان الله، ولسان الميزان عذبتة، وهو طرفه والخيط الذي يرفع به، وذو اللسانين المنافق يقال "فلان ذو وجهين وذو لسانين" وباللسان يكشف الأطباء عن أمراض الجسد والحكماء عن أمراض النفس.

والطعوم الأساسي التي يميزها اللسان هي الحلو والحامض والمر والملح، أما النكهات العديدة التي يميزها، فهي مزيج من هذه الطعوم بنسب مختلفة على أن اللسان قادر على تمييز درجات الحرارة، والبهارات الحارة والهادئة وما أشبه ذلك.

¹ - سورة إبراهيم: آية 04.

² - سورة النحل: آية 103.

³ - سورة مريم: آية 97.

ويقال إن في اللسان عشر خصال، فهو أداة يظهر البيان، وشاهد مخبر عن الضمير، وحاكم يفصل به القضاء، وناطق يرد به الجواب، وشافع تقضي به الحاجات، وواصف تعرف الأشياء، وواعظ ينهي به عن القبيح، ومعز تسكن به الأحزان، وملاطف تذهب به الضغينة، وونق يلهي الأسماع.

ومهما قيل في اللسان : "سيف قاطع لا يؤمن حده، والكلام سهم نافذ لا يمكن رده". ولا أنسى أن أسرد بعض ما ذكر في هذه الجارحة (اللسان) من آيات قرآنية وأحاديث نبوية وأقوال مأثورة من ذلك قوله تعالى : " رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِنِّي بِالصَّالِحِينَ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ " ¹ وكذلك كقوله تعالى : " رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي " ² وكذلك قوله جل جلاله : " يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " ³ ، وكذلك في سورة الفتح : " يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ " ⁴ .

وأيضاً في الحديث النبوي يقول الرسول صلى الله عليه وسلم "لا يستقيم إيمان عبدي حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه" أما الإمام علي كرم الله وجهه فقد قال "المرء بأصغريه قلبه ولسانه" وقال : "تكلّموا تعرفوا فإن المرء مخبوء تحت لسانه" وقال "لسانك حصانك، إن صنته صانك" وقال الإمام الشافعي :

لسانك لا تذكر به عورة امرئ فكلك عورات وللناس ألسن

¹ - سورة الشعراء: الآيتان 83 - 84.

² - سورة طه : الآيتان 25 - 26.

³ - سورة النور : الآية 24.

⁴ - سورة الفتح : آية 11.

وقال زهير بن أبي سلمى :

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

ويقول المثل العربي : (مقتل الرجل بين فكيه) وتقول حكمة عربية : (أعقل لسانك إلا في أربعة : حق توضحه، وباطل تدحضه، ونعمة تشكرها، وحكمة تظهرها)، وتقول حكمة فارسية : (اللسان الطويل يقصر العمر) ونقول كذلك في عاميتنا العربية الشائعة (هذا الإنسان عنده لسان، أو لسانه طويل) وهنا نقصد بأن ذلك الإنسان كلامه فيه معنى أو كثر الكلام يجرح الإنسان.

بعد هذا السرد الخفيف، نعود إلى بعض التعاريف الإصلاحيّة فأقول : اللغة هبة طبيعية خص الله بها الإنسان، وشكل متميز من السلوك الإنساني، وهي أعظم اكتشاف عرفته البشرية منذ أن ظهرت على وجه البسيطة¹.

والجدير بالذكر، فالتعاريف الإصطلاحية تتعدد بتعدد أبعادها، فهي وعاء الأفكار ومضمارها الذي تجول فيه، وهي سبيل التواصل الفكري والشعوري، بما يتحقق انتقال المعرفة والخبرة بين الأفراد، وتربط بين الجماعات كما تربط بين الشعوب، فهي بمثابة عملة يتخذها الناس أداة في تبادل المنافع وقضاء الحوائج الدينوية، ويختص بها الإنسان دون سائر الكائنات وتمكن أهميتها في كونها تعتبر من أهم أدوات التشكيل الثقافي، فهي منفذ للتفاهم بين بني البشر، توثق صلاتهم، وتقوي راوابطهم، وتشكل وحدة اللحمة، بينهم وهي مستودع التراث الذي يربط بين الماضي والحاضر، يصل الحاضر المستقبل وتحدده قسّمات الشخصية وملامح الهوية، وهي المسار الحقيقي لسير أغوار الشخصية وميولها واتجاهاتها وتحديد أهدافها، ولذلك

¹ - إبراهيم اليوسفي، "اللغة العربية سحر وجمال وعبقريّة"، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، المغرب، ط 1، 2006، ص

كثير ما يقال : "تكلم حتى أراك" كما يقال عن الحكيم : لسانه من وراء عقله، وكما يقال عن الكاتب : "أسلوبه هو الشخص نفسه" وكما يقال عن الشخص المهزوز : فلان يلقي الكلام على عهواهنه" بالإضافة إلى ذلك فهي تمنح العقل الرحابة في فضاء من طلاقة التعبير، لذلك يقال : من تكلم بلسان قوم فكر بعقلهم" ¹.

ومن هذا المنطلق، فإن اللسان يعد النموذج الاجتماعي الذي استقرت عليه اللغة، أو قل إنه من السلوك السوي بالنسبة إلى الأغلبية العظمى من أبناء الأمة الواحدة.

يقول د. حنيفي بن عيسى في كتابه محاضرات في علم النفس اللغوي : لكي تتضح وجوه الفرق تماما بين الكلام واللغة واللسان، نقول : أن اللسان كل أمة من أمم الأرض يشتمل على عدة لغات. واللغة في حد ذاتها تتألف من كلام كل فرد. فاللسان العربي مثلا يتضمن عددا من اللغات، وإن كانت هذه لا تختلف إلا من حيث الجزئيات والتفاصيل، فهناك لغة قريش ولغة تميم ولغة أهل الحجاز ². واليوم نرى أن اللسان العربي له "وضعيات" بحسب الأقطار العربية، إذ نستطيع أن نميزه لغة أهل الشام عن لغة مصر أو أهالي المغرب.

أضف إلى هذا أن استخدام المصطلح "اللسان" وما تفرغ عنه من صور مختلفة بمعنى "اللغة" بطريق المجاز استخدام غير دقيق، بل مرفوض عند كثير من المحققين، إذ أن المجاز له لون من المعنى يخرج قليلا أو كثيرا عن المعنى الحقيقي، والمفروض في تناول العلوم أن تسجيل الأفكار والمناقشات والتحليل -وبخاصة المصطلحات- بلغة علمية خالصة، مبرأة من المجاز أو أي أسلوب يحتمل معه الخروج عن حقائق العلم وطبيعته ³. والجدير بالذكر هذا الذي نقول ينطلق برمته على مصطلح اللسان وما تصرف منه في العربية حيث أن كلمة اللسان هذه

¹ - إبراهيم اليوسفي، المرجع السابق، ص 29-30.

² - نفسه، ص 64-65.

³ - د. كمال بشر، "التفكير اللغوي بين القديم والجديد"، ص 66.

استخدمت في هذه اللغة في معان كثيرة ملونة بألوان مجازية ليست نصا أو ما يقارب منه في المعنى الحقيقي في الكلمة¹.

وبناء على ما أومأنا إليه سالفاً أن كلمة "اللسان" في العربية تطلق بمعناها والحقيقي على ذلك العضو المعروف من أعضاء النطق، بل هو من أهمها، وهذه الأهمية، ولكونه الأداة الفاعلة والمباشرة في توليد ما استقر في العقل والنفس من مكنون اللغة والإفصاح عن كل ذلك بصورة منطوقة مسموعة، جرى استعمال هذه "الكلمة" في معاني أو ظلال من المعاني متعددة، بطريق المجاز أو التوسع في المعنى.

6- علاقة اللغة باللسان :

وانطلاقاً من هذا التوجه، إن الأمر الذي يستوجب عنده أولاً في هذا الحوار الدقيق ألا وهو علاقة اللغة باللسان : ما طبيعتها ؟ وإلى أي مدى يختلف اللسان عن اللغة ؟ وكيف يلزم عنه الكلام ؟ سواء كان هذا الكلام قولاً أصدرت فيه أصوات وألفاظ وجمل، أو رمزا استعملت فيه إيماءات وصور ؟.

مما لا شك فيه هو أن هذه التساؤلات لا بد من أخذها بعين الاعتبار، يمكن لنا أن نقول حينئذ من تحليل الوضعية المشكلة للمس أولاً مدى التماثل المتعددة بين مجالات هذا الثلاثي : فصورة الأسد أو الثعلب أو الجمجمة تعتبر "رموزاً" بينما الكلمات والألفاظ هي "علامات لسانية".

¹ - د. كمال بشر، ينظر : المرجع السابق، ص 66.

وما الأسس التي تقوم عليها اللغة بوصفها بنية رمزية تطبع نشاط الفكر، وترجم إبداعه؟ ونذكر ههنا أيضا عرض وضعية مشكلة، وعلاوة على ذلك، لنتمعن فيما قال يقول أحد الباحثين (ح) لمرافقه (ق) وهو يحاوره.

(ح) : ألم تلاحظ أن استقراء آيات القرآن الكريم يجعلنا نقف على هذه الحقيقة :

إنه لم يستخدم مصطلح اللغة بل استخدم مصطلح اللسان، عندما يتحدث عن الرسل وما جاؤوا لتبليغه؟ ومن مثل قوله تعالى : " وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " ¹.

(ق) : أجل معنى ذلك أم مصطلح اللغة يرادف كل كلام بلسان مبین؟

(ح) : كلا : فالإنسان لا يعبر عن حاجاته وأفكاره باستخدام "الكلام"، بل هناك عدة طرق مختلفة فلعلك شاهدت في الأشرطة العلمية الوثائقية الكتابة الهيروغليفية* التي تخبر عن بعض الأحداث والشخثيات الفرعونية من خلال رسم صور ورموز : فللموت صورة وللسلطة صورة، والسطوة صورة وللخضوع وللصاعة صور...

(ق) : وهذا ما نفعله نحن أحيانا، فعندما نريد أن نرمر لشجاعة شخص ما نرسم صورة أسد، كما قد نرسم صورة ثعلب لنعبر عن مكره وخداعه، وبعض الشركات التي تنتج كيميائية خطيرة تضع صورة لجمجمة وعليها (X).

(ح) : ثم أنه حتى مع افتراضنا أن اللغة هي الكلام المنطوق بأصوات، فإننا لا نستخدم "لسانا" واحدا بالضرورة؟.

¹ - سورة إبراهيم : الآية 04.

* - الهيروغليفية : هي لغة قدماء المصريين (الفراعنة).

فانظر إلى كثرة اللغات ألا يعد ذلك دليلاً على صدق ما أقول؟

(ق) : إنك تعمق حيرتي بدلاً أن تزيلها ! ما هو الثابت في كل هذا وما هو المتغير؟.

(ح) : فأنا الثابت فهو اللغة، إنها واحدة لقيامها على الفكر الذي يصنع الإنسان،

وأما المتغير فهو اللسان بتغير الزمان والمكان، والكلام بتنوع الأصوات والكلمات والرموز.

(ق) : إذن الآن يمكنني أن أقول بناء على ما فهمته منك أن اللغة أعم من اللسان،

وبالتالي فهي أعم من الكلام، باعتبار الكلام أحص خصوصيات اللسان أليس كذلك؟¹

والأهم من هذا كله، فالذي نستنتجه من الحوار أن مصطلح (لغة) هو متحرك، أما

اللسان فإنه في رؤيتنا سيأخذ مفهوماً مميزاً عن اللغة وهو مفهوم البنية التركيبية الثابتة، وفضلاً

عن هذا فإن القرآن الكريم هو مصدر المعرفة اللغوية والأدبية قد وظف مصطلح لسان ولم

يستخدم في خطابه مصطلح لغة ولو مرة واحدة وهنا يطرح السؤال : لماذا؟

فالجواب : أن اللسان يمثل البنية التركيبية الثابتة من مسند ومسند إليه قال الله تعالى :

"لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ"².

ومن البديهي إن اللغة تمثل بنية المفردة المتغيرة، لهذا تعددت اللغات، ومنها قالوا :

لغات العرب.

¹ - حوار أخذته من كتاب السنة الثالثة ثانوي إشكاليات فلسفية إشراف وتأليف وإعداد جمال الدين يوقلي حسن، ص 153-154.

² - سورة النحل : الآية : 103.

وفي المرحلة في التعدد تنوع واختلاف، وهما يفيدان الحركة، وفي التعدد تنوع واختلاف الحركة¹ أما اللسان فواحد، قال الله تعالى: "وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ" فيقصد به بنية تركيبية واحدة ثابتة وهي الميزان والمقياس والمرجع الذي يصاغ بها الكلام للفائدة.

وفضلا عن هذه الصياغة التركيبية للغة لها إمكانيات متشابهة في إنتاج جمل قصصية أو روائية في جميع اللغات المتباينة، وعلى هذا الأساس فإن الشعراء والكتاب المبدعين والفصحاء يمكنهم أن يزودونا بالمعارف المستخفة بين الأشياء وذلك من خلال الممارسة أو المعالجة المتخيلة للتراكيب الموجودة ضمن النظام الصوتي والنحوي والمعجمي والذي بهذه الطريقة يمكن أن يقال: إنهم يخلقون لنا عالما جديدا من خلال اللغة².

فالمسألة إذن مسألة تدريب مستمر على نطق أصوات اللغة وعلى الإحاطة بصيغها وما يكون ضروريا للفرد من مفرداتها، وعلى معرفة طرق صياغتها جملها المفيدة على غرار التدريب الذي يقوم بها الراغبون في اكتساب العادات وليس صحيحا أن اللغة العربية في دم العربي تظهر على لسانه ولو ولد في بيئة أجنبية. وليس مقبولا أن اللغة توقيفية من عند الله، وأن الله تعالى قضى أن تكون للعرب لغة ذات أصوات معينة وصيغ ومفردات وجمل بعينها وليس مستساغا أن المرء إذا نشأ على الكلام بلغ بقي أمينا على تمثيل هذه اللغة ونطقها على رغم المؤثرات الخارجية، بل إن الأدلة على عكس ذلك قائمة في التاريخ العربي نفسه³.

¹ - عمار ساسي، مصطلح في اللسان العربي، ص 170.

² - مازن الوعر، "فضايا أساسيا في علم اللسان الحديثة"، دار طلاس، دمشق، ط 1، 1988، ص 51.

³ - تمام حسان، "اجتهادات لغوية"، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 1428 هـ - 2007 م.

6-1- اللغة واللسان والكلام انطلاقاً من دي سوسور :

ومما نرتثيه هنا أن نتناول مفهوم "اللغة" عند بعض العلماء الغربيين المحدث انطلاقاً من دي سوسر ومن نهجوا نهجه، وطوروا مفاهيمه مع اصطدامنا بمعطيات ومناهج لا تخلو لدى هؤلاء من تداخلات بين هذا اللساني وذلك، قد تثبت عزيمة الباحث العامل أكثر مما تذلل السبيل للمضي قدماً فيما هو فيه من قراءات لسانية يرغب لها في أن تكون علمية أو على الأقل موضوعية.

يقول عبد الجليل مرتاض في كتابه "اللغة والتواصل" فإذا أحلنا ذهاباً مع التقاليد السائدة على فرد ينادي دي سوسور في هذا الموضوع المتصل بتعريف اللغة، فإن الرجل يتسائل ثم يجيب قائلاً: "ولكن ما اللغة؟ ففي نظرنا لا بد من التمييز وعدم الخلط بينها وبين اللسان، وصحيح أن اللغة ليست سوى جزء جوهري محدد منه، وهي في وقت واحد نتاج اجتماعي لمملكة اللسان وتواضعات ملحة ولازمة يتباها الجسم الاجتماعي لتسهيل ممارسة هذه المملكة لدى الأفراد¹.

وبناء على ما تقدم، فإن مفردات اللغة هي حركة دائمة وتجدد متواصل تبعاً لتجدد أحوال الناس وأنماط معاشهم وصور أفكارهم وأمساء أشخاصهم لأن المفردة في اللغة كالفرد في المجتمع، أما المستوى الصوتي فلا مجال معه لخلق أو إبداع أصوات جديدة وهذه العربية لم يرد فيها صوت منذ نشأتها². وهذا القرآن الكريم لم يبدع أصواتاً جديدة على أصوات العرب إنما احتفظ في البلاغ بها واحتفظ في البيان بتراكيبها، قال تعالى: "وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ

¹ - د. عبد الجليل مرتاض، "اللغة والتواصل"، مقاربات لسانية للتواصلين: الشفهي والكتابي، دار هومة، ص 49-50

² - عمار سلسي، المصطلح في اللسان العربي في آلية الفهم إلى أداة الصناعة، ص 103.

مُبين¹، لذلك تجلت مساحة الإبداع والمعجزة في ذلك النسق الكبير والعجيب بين المفردات في صياغة الخطاب.

فمنذ أن كانت التجربة العامة لكل البشر تتمثل في الكلام والإصغاء فإن حالة اللغة كصوت، تظهر بوضوح من خلال تلك التجربة التي تميز بين النظام الصوتي والنظام الكتابي، إننا نعني هنا أن أصوات اللغة في المرتبة الأولى قبل الرموز الكتابية أو ما تمثله اللغة كتابة بشكل عام².

وفضلا عن هذا، يبين لنا د. خليل أحمد* في كتابه دور اللسان في بناء الإنسان عند روكي الأرسوزي حيث يتكلم في الفصل الثاني من كتابه عن اللسان ويطرح السؤال قائلا: أين نجد العبقريّة الخالدة المخلدة؟ والأهم من هذا كله فإن نصوص الأرسوزي** واضحة في هذا المجال لا تحتاج عناء لاكتشاف الجوانب لأن اسم كتابه الأول ييوح بالجوّاب، فهو: العبقريّة العربيّة في لسانها. وهذا يعني أن العبقريّة موجودة في اللسان العربي، وأي أن اللغة عبرت عن تلك العبقريّة تعبيرا حيا بحيث يمكن إحياء العبقريّة العربيّة ثانية ببعث اللغة.

¹ - سورة الشعراء : الآية 193.

² - مازن الوعر، "قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديثة"، ص 45.

* - ولقبه : لقبه الوحيد الأستاذ، وقد اكتسب هذا اللقب بعد أن عرفته أشهر المدارس في لواء الإسكندرونه وسوريا والعراق، وعرفته كذلك النخبة من أبناء الوطن العربي عامة وعرفوه من خلال محاضراته وندواته، وهما المكانان اللذان كان يتصدرهما الأستاذ فعلا فعرف ذلك.

** - ولد الأرسوزي في حزيران سنة 1900 في مدينة اللاذقية على الساحل السوري، وقد لاحظ اختلافا بين مرجعين أرخا لمولوده : تقول لجنة تخليد الأرسوزي : أنه ولد في تموز سنة 1900 م في مدينة اللاذقية وتوفي سنة 1968 في مدينة دمشق.

وفي هذا السبيل يؤكد نظريته الأولى : "العبقرية العربية موجودة في لسانها" كما تؤكدها نصوصها الصريحة في كتبه جميعا، يقول في اللسان العربي : "إن لغتنا، التي هي أبلغ مظهر لتجلي عبقرية أمتنا هي مستودع لتراثنا"¹.

ومن هنا فإن الأرسوزي يفضل كلمة "لسان" عندما يكون الحديث عن اللغة العربية لأن العربي "خص" لهجته، بحث بكلمة "لسان" هذه الكلمة المؤلفة من الحروف الرشيقية ل، س، ن... وأطلق على اللهجات السامية كلمة "لغة" من "لغا، يلغو" وما يتضمن حرف "الغين" لما فيهما من غموض وإبهام...".

وما دامت العبقرية التي تمنح الشباب الدائم موجود في اللسان العربي، فلا بد من الاهتمام بهذا اللسان، تتبع نشأته ونموه ومرتقاه... فكيف نشأ اللسان العربي، وكيف نما، وكيف تجلت فيه، وكيف تبعث بداء منه ؟ ومن هذا المنطلق بدأ الأرسوزي جهده اللغوي سنة 1938م، وبعد أربع سنوات من الدرس قدم للناس ثمار ذلك الجهد، فنشر كتابه الأول سنة 1942، وظل يشرح نظريته للنساء حتى سنة وفاته 1968م، ففي ثلاثين عاما من الجهد اللغوي ترك لنا مادة يفيد التأمل فيها في بناء الإنسان وإثارة الأمة لتعود إلى عبقريتها المبدعة².

وفي رحاب هذه الأهمية اللغوية، فالأرسوزي توصل إلى إدراك السر في نشأة اللغة ونموها ومرتقاها وعرف الصلة بين اللغة والإنسان العربي، فهي مستودع التراث ومظهر العبقرية ودراستها تبعث عبقرية الأمة وتنهض بالأحفاد إلى وضوح البصيرة وقوة الشيمة عند الأجداد قائلا : "فاللسان العربي، من حيث تتخلص (فيه) مؤسسات الأمة وتتعدل بما تشير إليه

¹ - د. خليل أحمد، "دور اللسان في بناء الإنسان عند ركي الأرسوزي"، دار السؤال، دمشق، ط 2، 1401هـ - 1978م، ص 78.

² - نفسه، ص 99.

كلماته من اتجاهات ذهنية أصلية هو نفساني النشأة واجتماعي النمو، تكشف مفرداته عن النشأة وتشير قواعده إلى ذلك النمو"¹.

7- نشأة اللغة :

تعريف لفظ : نشأة

النشأة : تأتي بمعنى أول الأمر وبدايته، وحدث الشيء وتجدده، يقال أنشأ الله خلق، أي ابتداء خلقهم، ونشأ الشيء نشأ ونشوتاً، إذ حدث وتجدد ونشأ الشيء عن غيره أي تولد، وأنشأ الشيء، إذا أحدثه وأوجده.

فالمراد من نشأة اللغة : أول حدوثها وأصل بدايتها.

لا أصل على وجه التحديد، يعرف متى وأين أو على أية صورة ابتداء الكلام الإنساني، على الرغم من وجود افتراضات كثيرة في هذا الموضوع، إلا أنه من المعروف جيداً، لا توجد جماعة إنسانية، مهما قل حظها من الحضارة والمدنية، لا تمتلك لغة تفاهم بها وتتبادل الأفكار من خلالها. كالعلماء والمفكرين والباحثين اتجاهات وآراء حول نشأة اللغة، فقد اختلفت مذاهبهم وتنوعت آراؤهم ومع ذلك لم يتمكنوا من الوصول في بحوثهم إلى نتائج يقينية.

إن النظر في اللغة قديم جداً قد يرجع إلى وقت أن أخذت الجماعات البشرية في الكلام ثم دقا نسبياً بعد نشأة الكتابة، ولكن الدراسة "العلمية" حقا للغة جد حديثة، وتصورات البشر عن اللغة أخذت من نوع مجتمعهم، وتراثهم الثقافي وخاصة من دينهم، فالآلاه تحوت عند قدماء المصريين كان قلب "رع" ولسانه وعن طريقة نطقت وصية الله في

¹ - ينظر : د. خليل أحمد، المرجع السابق، ص 132.

الأرض فوجدت الخليفة وأيضاً اليونان كذلم قد تخيلوا خالقاً للغة والكتابة وكذلك حال عند الهنود وعند غيرهم من الأمم القديمة¹.

شغل القدماء بالبحث في نشوء اللغة، وفي تعدد اللغات واختلافها، ونجد شواهد على ذلك في "سفر التكوين" فالإنسان الأول قد اخترع أسماء للحيوان، وقصة بابل نفسر تعدد اللغات².

ثم إن اختراع الكتابة، التي تمثل الكلام بأي صورة من الصور، يعتبر نوعاً هاماً من أنواع النظر في اللغة، وهذا الاختراع حدث هام في تاريخ البشرية :

ليست نشأة اللغة قضية جديدة في الدرس اللغوي وإنما هي مشكلة قديمة شغلت الناس في سائل الأعصر وما زالت تستأثر باهتمام اللغويين وتحير بهم، لأنها من المشكلات العويصة التي يعسر حلها بصفة قطيعة ونهائية.

وبناء على ما تقدم، ستبقى هذه اللغة لغزاً يقلق الباحث وسراً كثيراً يمتنع عنه ولا يجد له تفسيراً مقنعاً مهما حاول كشفه بكل الطرق والوسائل المعرفية المتوفرة لديه، والسؤال المطروح لديه : كيف نشأت اللغة ؟ أكانت وحياً من عند الله علمها للأدمي وما هي، في هذه الحالة اللغة الأولى ولماذا تفرغت فيما بعد إلى لغات ولهجات مختلفة ؟ أم كانت من وضع الإنسان واصطلاح الجماعات اللغوية، وكيف تم ذلك ؟.

يقول د. "محمود السعران" في كتابه علم اللغة مقدمة للقارئ العربي : "إن اللغة لا تنشأ إلا في مجتمع" و "أن اللغة لا تستعمل إلى في مجتمع" و "إن الكلام يختلف باختلاف

¹ - د. محمود السعران، "علم اللغة مقدمة للقارئ العربي"، دار النهضة العربية، بيروت، بد ط، بد ت، ص 317.

² - المرجع نفسه، ص 317.

الطبقات الاجتماعية في المجتمع الواحد في العصر الواحد" و "إن لكل لغة من اللغات نظمها الصوتية والنحوية" و "إن مصير كل لغة كبيرة أن تنتشعب إلى لهجات"¹.

7-1- أصل نشأة اللغة :

تصدى للبحث في أصل نشأة اللغات كثير من الفلاسفة والمتكلمين واللغويين، وذهبوا في البحث مذهباً شتى، هذا يقول مصدرها التوفيق من الله، وذلك يقول مبدأها الطبيعة وآخر يقول منشأها الاصطلاح والتواضع.

ويفسر لنا أنيس فريجة حول نشأة اللغة، ولكن أصل الإنسان ونشأة لغته أمر يثير الخيال ويستأنف إلى العقل، ونعتقد أن أصل اللغة من أقدم المشاكل الفكرية التي جابهت عقل الإنسان. فأن كاتب قصة الخليفة عزاها إلى الله، الله علم آدم الكلام، وقد انقسم العرب إلى قسمين إزاء هذه المشكلة²، فقالت جماعة أن اللغة توقيفية، أي أن الله علمها الإنسان، وقالت جماعة أخرى أنها اصطلاحية توافقية.

ومن هذه التعريفات العامة للغة، طرح السؤال قائلين كيف نشأت اللغة؟ فبالطبع سؤال في غاية الأهمية والاستغرابية الأعجبية.

من المعلوم أن أصل اللغة وثيق الاتصال بأصل الإنسان ذاته وبطور جسمه وعقله. ما يؤخذ على هذا التفسير، إن قضية أصل اللغة ليست قضية لغوية بحتة، ولا تدخل في نطاق علم اللغة Linguistics بل في نطاق البيكولوجيا والانثروبولوجيا والفلسفة³.

¹ - د. محمود السعران، "علم اللغة مقدمة للقارئ العربي"، المرجع السابق، ص 13.

² - أنيس فريجة، "نظريات اللغة"، ص 18.

³ - المرجع نفسه، ص 17.

إن معرفتنا بتاريخ الإنسان قبل التاريخ المدون قد زدادت في القرن الأخير ولكن رغم تقدم معارفنا في هذا الحقل فإن أصل الإنسان ونشأته من حيوان أبكم إلى حيوان ناطق من حيوان لا يعقل، إلى حيوان عاقل¹.

منذ أواخر القرن التاسع عشر أخذ مفهوم "اللغة" طبيعتها، ووظيفتها، ودراستها في التغير، وقد أحدث ذلك التغير جهود متلاحقة بذلها علماء الغرب لدراسة معظم لغات العالم وصفا وتاريخا ومقارنة، وللوصول من ذلك إلى نظرية أو نظريات عامة في "اللغة" تكشف عن حقيقتها نشأة وتطورا، وبرز "القوانين" أو الأصول العامة التي تشترك فيها لغات البشر، وتعيين على تحديد وتدقيق مناهج الدراسة اللغوية ووسائلها².

وكانت تلك الجهود في الميدان اللغوي تستهدي وتناظر وتساير النهضة العلمية والفكرية العامة التي شهدتها الغرب في ذلك الزمان وفي هذا السبيل، لقد نتج عن تلك الجهود المترادفة القوية والتي لا تزال متتابعة قوية أن أصبحت دراسة اللغة "علما" من العلوم، له ما لأي علم مستقل موضوعه، ومناهجه ووسائله³.

إن أغلب ما يطلق عليه اللغويون "قوانين" لغوية ليس في جوهره إلا خلاصات مركزة تصف ما كان أو ما هو كانت في جانب من الجوانب، ولا يتضمن مقدا الحكم على نفس الظاهرة لو توفرت فيها نفس الشروط مستقبلا وهذا أصدق ما يكون على ما يعرف في الدراسات اللغوية "بالقوانين الصوتية"⁴.

¹ - أنيس فريجة، نفس المرجع، ص 17.

² - د. محمود السعران، "علم اللغة مقدمة للقارئ العربي"، ص 11.

³ - المرجع نفسه، ص 11.

⁴ - نفسه، ص 12.

هل لغة العرب توقيف أم إصطلاح :

اختلفت وجهات النظر حول لغة العرب هي توفيق ودليل ذلك قول جل تناؤه :
"وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا"¹، فكان ابن عباس يقول : علمه الأسماء كلها وهي هذه التي يتعارفها، الناس من دابة وأرض وسهل وجبل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها.

وروى خصيف عن مجاهد قال : علمه اسم كل شيء.

وقال غيرهما : إنما علمه أسماء الملائكة.

وقال آخرون : علمه أسماء ذريته أجمعين².

إن الطريقة التي يتحصل بها الإنسان اللغة، وتحديد ملامحها تقتضي معرفة أصل نشأة اللغة، وكيفية وصولها إلى ما هي عليه الآن، وفي هذا بذل المعنيون باللغة جهدا كبيرا واجتهدوا فيه اجتهادات مختلفة لعدم وجود دليل مادي يحدد كيفية وصول اللغة إلى هذه الدرجة العالية من الرقي وقد توزعت الآراء والاجتهادات في نشأة اللغة بين الاتجاهات الآتية :

2-7- الاتجاه التوقيفي :

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن اللغة توقيفية، فهي وقف من الله تعالى، ووحى منه علمها آدم أبا البشرية بدلالة قوله تعالى : **"وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ"**³.

¹ - سورة البقرة : الآية 31.

² - ابن فارس الصاحبي، "في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها"، مكتبة المعارف، بيروت، ص 32.

³ - سورة البقرة الآية : 31- 32.

واستنادا إلى ما جاء في الآيتين الكريمتين يرى أصحاب هذا الاتجاه أن اللغة هبة من الله للإنسان بما أتم خلقه، وأحسن تكوينه تكريما له، وتفضيلا على غيره من المخلوقات، إذ قال تعالى : "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا"¹.

ومن علامات هذا التفضيل والتكريم العقل واللغة، ليكتملا في هذا المخلوق فيجعلانه سيد المخلوقات، فاللغة لازمة للإنسان العاقل بما يفكر ليحيا الحياة التي أرادها له الخالق تعالى.

ويستدل أصحاب هذا الاتجاه على صحة ما ذهبوا إليه بقوله تعالى : "فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ"² إذ يرون في هذه الآية دليلا واضحا على معرفة آدم عليه السلام الكلام، وإلا فكيف كان بمقدوره أن يتلقى كلمات من ربه من دون معرفته الكلام.

وإذا كان البيان في اللغة يعني الإفصاح عن الآراء والمشاعر والأحاسيس، فإن الله تعالى هو الذي علم الإنسان البيان إذ قال : " الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ"³ والبيان بهذا المعنى لا يقع بغير لغة كاملة يعبر بها الإنسان عن آرائه وأغراضه.

¹ - سورة الإسراء الآية : 70.

² - سورة البقرة الآية : 37.

³ - سورة الرحمن الآية : 1-4.

ويذهب أصحاب هذا الاتجاه إلى أن الخالق تعالى خلق الجن والإنس، وفرض عليهم عبادته إذ قال : " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ " ¹ وأن هذه العبادة تقتضي معرفة اللغة، لأن اللغة وسيلة التفكير والتعبير، وهي أداة العقل في توجيه السلوك نحو ما يريده الخالق، وذلك لا يتحقق إلا بالمعرفة والمعرفة لا تقوم إلا باللغة، وعلى هذا الأساس فإن اللغة موقوفة من الله من وجهة نظر أصحاب هذا الاتجاه.

وفي ضوء ما تقدم رأي أصحاب الاتجاه التوقيفي أن اللغة التي عملها آدم من ربه هي لغة أهل الأرض لأنها هي التي تكلم بها أول مخلوق بشري على وجه الأرض، وعلى هذا الأساس يرون أن لغات الأمم الآن ما هي إلا لهجات تفرعت من تلك اللغة بدلالة قوله تعالى : " وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ " ²، إذ يرى من يتبنى هذا الاتجاه أن اختلاف الألسن هو اختلاف اللهجات لا تعدد اللغات، لذلك فإنهم يرون أن اللغات في بداية نشأتها كانت أكثر تقارباً بين الناس مما هي عليه اليوم.

ومما يستدل به على رقي اللغة ما دار من كلام بين ابني آدم إذ قال تعالى على لسان هابيل : " لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين (28) إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين " ³ وقوله على لسان قابيل : " قال يا ويلتنا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارني سوءة أخي فأصبح من النادمين " ⁴.

¹ - سورة الذاريات الآية : 56.

² - سورة الروم الآية : 22.

³ - سورة المائدة، الآية : 28 - 29.

⁴ - سورة المائدة الآية : 31.

إن هذا الكلام دار بين ابني آدم على الأرض وفيه دليل على أنهما كانا تتسم بالوضوح والكمال، وبه ينجح أصحاب الاتجاه التوقيفي على أولئك الذين بدأت بمحاكاة أصوات الطبيعة والحيوانات والطيور، ومن أصحاب هذه الاتجاه من أفلاطون اليوناني رأى أن أسماء الأشياء جاءت من قوة إلهية.

7-3- ابن فارس وفكرة التوقيف :

ويجدر بنا القول أن ابن فارس رغم إيمانه الشديد بفكرة التوقيف، وكمال اللغة العربية إلا أنه لم يستطع أن يتجاهل الأثر الاجتماعي في نمو اللغة وتطورها، ومن خلال هذا المفهوم نستطيع أن نلمح فكرة الاصطلاح وأن اللغة ظاهرة اجتماعية¹.

ولعل ما كتبه ابن جني (ت 392 هـ) في كتابه "الخصائص" تحت عنوان "القول على أصل اللغة إلهام هي أم اصطلاح" يعد من اشتمل وأدق كتب حول هذه المسألة في تاريخ الفكر اللغوي عند العرب.

ومما يجدر بنا القول في هذا المقام أن ظاهر الآية الكريمة "وعلم آدم الأسماء كلها" يؤيد النظرية التوقيفية، أي نظرية ابن فارس مما أدى ابن جني إلى أن يؤول تلك الآية على غيرها ما فهمها أشياخه، إذ رأي أن المقصود من قوله تعالى "علم" هو "أقدر" أي أوجد لدى آدم وبني آدم القدرة على وضع الأسماء. فالقدرة من عند الله، أما الوضع والاصطلاح فهما من عمل الإنسان².

¹ - ابن فارس، الصحاح، ص 33.

² - حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، ص 22-23.

وبناء على ما تقدم، ذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعة، كدوي الرياح وخرير الماء وبغيق الغراب وصهل الفرس... إلخ وخلاصة رأي هؤلاء أن الواضع أخذ بعين الاعتبار مسألة مشاكلة الألفاظ لمدلولاتها من حيث الصوت¹.

وشبيهه بالآراء السابقة، ما ذهب إليه بعض أئمة العربية، ممن كان يرى بأن اللغة إلهام وتوفيق من عند الله ولعلمهم تأثروا في ذلك بكون "اللغة العربية هي لغة الوحي" وخير من يمهل هذه النظرية من النحاة العرب، ابن فارس (توفي عام 395 م 1004 م) إن يقول: "إن لغة العرب توقيف ودليل قوله جل تناؤه، (وعلم أدام الأسماء كلها) فكان ابن عباس يقول: علمه الأسماء وهي هذه التي يتعارفها الناس من دابة وأرض وسهل وجبل وحمار وأشباه ذلك"².

7-4- اتجاه المواضع والإصطلاح:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن اللغة بدأت بمحاكاة الإنسان ما يسمع الحيوانات، والرياح وحفيف الشجر، فكان يحدث أصواتا يعبر بها عن ما أصبحت هذه الأصوات عرفا بين مستخدميها ثم تطورت بالاكتمال التقى مع هذا الاتجاه من علماء العربية ابن جني إذ رأى أن أصل اللغات الأصوات المسموعة كدوي الرياح، وحنين الرعد، وخرير الماء، وشحیح الغراب، ونزيب الظبي ونحوها.

ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد، ويرى أن هذا المذهب في اللغات مذهب مقبول علما أن ابن جني لم يستقر على رأي قاطع في أصل فهو في الوقت الذي يؤيد هذا الرأي أبي على أستاذة بأن اللغة البشر، وعلى مقبولية رأي ابن جني يمكن الرد عليه بأن مثل هذه

¹ - حنفي بن عيسى، المرجع السابق، ص 23.

² - نفسه، ص 22.

الأشياء يحاكيها الإنسان في الطبيعة لا ترقى إلى سد حاجاته من المفردات التي يحتاج إليه للتعبير عن المفاهيم والأفكار التي يريد التعبير عنها¹.

ومن بين أصحاب هذا الاتجاه ذهب إلى أن أصل اللغة محاكاة وتواضع بمعنى أنها بدأت أصواتها تعارف عليها الناس، ثم تواضعوا عليها لها نظاما خاصا فهم يرون أن اللغة ظاهرة اجتماعية نشأت مع نشوء الإنسانية، ونمت وتطورت بنمو تلك المجتمعات وتطوها، لذلك فإن الأصل في نشأة اللغة هي المجتمع، ويرون أنه لم يكن للغة أن تنشأ لولا اجتماع الناس ببعضهم وحاجاتهم للتعاون، والتفاهم، والتعبير عن أفكارهم وأحاسيسهم ويرى هؤلاء أن اللغة من وضع الناس، واتفاقهم على رموزها ودلالاتها واللغة من وجهة نظر هؤلاء مكتسبة لا موقوفة من الله.

وعلى هذا الأساس حد ابن جني اللغة بقوله: "أما حد اللغة فهي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم".

فاللغة عند ابن جني نظام صوتي اصطلاحي موضوع متعارف عليه، غير أن معارضي هذا الرأي يردون عليه بأن التواضع والاصطلاح به حاجة إلى قدرات عالية، ومستوى راق من أهل الشأن، وهذا ما قد لا يكون متوافرا في بدء الخليقة، لأن مبدأ التواضع والاصطلاح يقتضي أن يتفق الناس على وضع الاصطلاحات الصوتية، وهذا لا يتم إلا بأن يقترح البعض أسماء للمسميات ويوافق عليها الآخرون ويلزم هذا وجود وسيلة يتفاهمون بها، فبأية وسيلة يتفاهم هؤلاء إذا كان أصل اللغة محاكاة أصوات الطبيعة؟.

¹ - د. محسن علي عطية، اللغة العربية مستوياتها وتطبيقاتها، دار المناهج، عمان، الأردن، 1429هـ - 2008م، ص 19.

ومن أصحاب هذا الاتجاه من اليونان أرسطو إذا كان يرى أن اللغة من صنع الإنسان، وأنها نظام لفظي مكون من أسماء وأفعال وحروف¹.

أما اللغة التي تعلمها آدم عليه السلام فهي العربية غالباً، ثم رفعت بعد انتهاء حياة آدم والله أعلم. ذلك يقول تعالى عن جهنم وجوابها "يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ"² وهذا يعني أن جهنم تنطق بلسان المقال لا بلسان الحال.

وليس ذلك بعجيب فإذا كان الله تعالى قادراً على أن ينطق الجلود وكل شيء يوم القيامة، كما في قوله تعالى عن الكافرين: "وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ"³. فالله تعالى قادر أن ينطق جهنم، فليس لها أن تخرج على ناموس الأخرى العام، وبذلك تكون اللغة التي بدأت بها الحياة الدنيا هي اللغة التي نبدأ بها حياة الأخرى كذلك.

ونتيجة مما تقدم، إن العربية الفصحى إلهامية وليست اصطلاحية، بيد أنهم اكتفوا بأحاسيسهم أن الفصحى لغة عظيمة لا يمكن أن تكون من صنع البشر⁴. فاللغة العربية ولدت معربة، ألهمها الله تعالى العرب إلهاماً لتكون لغة القرآن الخالد.

وبناء على ما سبق، لقد اصطفى الله تعالى العرب ليكونوا الحملة الأوائل للقرآن واصطفى سيدنا محمداً "صلى الله عليه وسلم" من بينهم ليكون الرسول المصطفى الذي ينزل عليه القرآن، واصطفى اللغة العربية من بين اللغات لتكون الوعاء الذهبي الذي يقدم القرآن للناس كافة، طبقاً من ذهب... عليه أشهى طعام للعقول والأجسام.

¹ - محسن علي عطية، اللغة العربية مستوياتها وتطبيقاتها، ص 20.

² - سورة ق : الآية 30.

³ - سورة فصلت : الآية 21.

⁴ - د. عودة الله منيع القيسي، العربية الفصحى، ص 06.

وأحدث الآراء اليوم هو القائل : بأن اللغة نشأت كغيرها من الظواهر الاجتماعية نشأة سائجة ثم تطورت بمرور الزمن وتتابع التجارب، وقد أدى تباين المشاهدات التجارب وتنوعاتها، واختلاف البيئات والأوساط والطبائع إلى اختلاف اللغات¹.

7-5- الاتجاه التوفيقي :

يجتمع هذا الاتجاه بين الاتجاهين السابقين فيوفق بينهما إذ يرى أصحابه أن أصل اللغة إلهام، والاصطلاح فيها متأخر فهم يرون أن أصل اللغة إلهام من الله تعالى خص به الإنسان من دون سواه إذ علمها آدم عليه السلام فتقلت عنه إلى أبنائه، وهي بعد ذلك اصطلاح ووضع فيها يستحدث بين الناس، فاللغة من وجهة نظر أصحاب الاتجاه التوفيقي جذور ثابتة تتغذى منها سيقان تتفرع منها أغصان، وأوراق وأشجار وكل ما يتفرغ عن السياقات موضوع لذلك فإن أصحاب هذا الرأي يرون أن اللغة نشأت من الإلهام أولاً، ثم الاصطلاح والوضع الذي اقتضته الحاجة ثانياً².

8- من أسرار العربية :

من هذا المنطلق، فاللغة إذن - لم تبدأ - في أول أمرها بالمنطق والفكر، ومن ثم تبعا المنهج الوصفي في تتبع تاريخها ومحاولة الكشف عن حقيقتها السحيقة، ولم تتبع المنهج الفلسفي الإغريقي الذي ادعى أن اللغة منطقة³.

¹ - د توفيق محمد شاهين، دراسات لغوية (أصول اللغة العربية بين الثنائية والثلاثية)، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 1، 1980 ص 24.

² - د. محمد علي عطية، اللغة العربية مستوياتها وتطبيقاتها، ص 21.

³ - ينظر : المرجع السابق، ص 24.

ولكن لابد من "فلسفة" عامة تقوم عليها دراسة اللغة ونقصد بالفلسفة هنا مجموعة من المبادئ أو الأصول أو الأسس. ومن الخطأ أن ندرس اللغة مستعنين بفلسفة "خارجية" أي فلسفة مستمدة من غير موضوع الدراسة وهو "اللغة" أي من الخطأ أن نستعين بفلسفة مفروضة على الموضوع من خارج، أو فلسفة تحقق غرضاً آخر غير درس اللغة في ذاتها ومن أدل ذاتها، أو فلسفة قاصرة لا تصلح إلا لبعض جوانب الدراسة¹، إن هذه "الفلسفة" ينبغي أن تقوم على أساس فهم ماهية اللغة : وفي هذا الصدد نطرح السؤال : ما اللغة ؟ فيم تستعمل ؟ كيف تستعمل ؟ لما تستعمل ؟ متى تستعمل ؟ إلى آخر ما يكشف لنا عن حقيقة اللغة. وفي هذا السبيل أي أن هذه "الفلسفة" ينبغي أن تستقي عناصرها من طبيعة الأدوار التي تقوم بها في الحياة الإنسانية².

تعد اللغة الإنسانية السمة الوحيدة الأكثر تميزاً لنا كبشر، إن ملكة اللغة التي عادة ما نأخذها كقضية مسلم بها تحوي عدد من الخصائص الملحوظة بل المدهشة، فبدون اللغة كان من الصعب علينا خلق العالم الإنساني المتعارف عليه، إذ إن تقدمنا في كل شيء بدءاً في الموسيقى وانتهاء الحروب كان يصعب تحقيقه في غياب اللغة، تلك الخاصية الفريدة التي تجعلنا بشراً³.

وفي هذا الصدد، يبين لنا تراسك في كتابه **أساسيات اللغة**، فكل مخلوق تقريباً على وجه الأرض لديه نوعاً ما من نظام الإشارة إنها طريقة تمكنه من التواصل مع أفراد نظام

¹ - محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص 77.

² - المرجع نفسه، ص 77.

³ - ر.ل. تراسك ترجمة رانيا إبراهيم يوسف، "أساسيات اللغة"، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط 1، 2002، ص

الإشارة، إنها طريقة تمكنه من التواصل مع أفراد فصيلته وكذا أفراد الفصائل الأخرى، فالصراصير تستسقى والطيور تغرد والقردة توقوق وحشرات الليل تومض وحتى النمل يترك أثارا ذات رائحة حتى يتسنى لجماعته اتباع بعضها بعضا، ولا شك أنك مقتنع بتواجد بعض الإشارات والإيماءات الخاصة بقططك والتي تعني "أنا جوعان" "أريد الراج" علاوة على ذلك كشفت الدراسات الحديثة لعلماء الحيوان عن كون النظام الأشاري أكثر من شيء، وهذا ما يفوق المتعارف عليه، فعلى سبيل المثال قد يتطرق إلى أسماعك الآن أن فصيلة معينة من الحيتان مشهورة بأنها تغني أو النحل يؤدي رقصات معينة تعلن عن مكان تواجد الرحيق لأفراد الخلية¹.

والأهم من هذا كله، يرى تراسك إن المذهل في مثل هذه الاكتشافات هو الحقيقة القاتلة بأن اللغة البشرية مختلفة تمام الاختلاف عن كل الأنظمة الأثرية، مما يضطرنا إلى معاملتها كشيء مختلف كظاهرة فريدة حقا.

وهناك من يرى أن "نشأة اللغة" ترتبط "بنشأة الحضارة" فمنذ العصور البداية حيث عاش الإنسان في وحدة تامة مع الطبيعة كان متكيفا معها ومحكوما بما تمنحه إياه من طعام، منطلقين من أن اللغة هي وسيلة لنقل المقصود والآراء من شخص إلى آخر بإشارة اليد أو بالرأس أو بتبديل أسارير الوجه وحركة اليد.

إن كانت مسألة أصل اللغة تعد مسألة جوهرية إلى هذه الدرجة، فذلك لأن اللغة مشاركة في جوهر تحديد الإنسان نفسه، باعتبار أنها حكر عليه².

¹ - ر.ل. تراسك ترجمة رانيا إبراهيم يوسف، المصدر السابق، ص 13.

² - باسركالبيك، لوران ساغار، جيسلان درهان، سيسيل ليستين، "أجمل قصة عن اللغة"، ترجمة ريتا خاطر مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 2009، ص 20.

وفي هذا المنوال، يقول د. عودة الله منيع القيسي في كتابه العربية الفصحى : إن العرب هم عرب أقحاح من الجزيرة العربية، منذ عصور ما قبل التاريخ وليس لهم أي علاقة بخرافة السامية¹.

وانطلاقاً من هذا، فإن اللغة العربية الشريفة لغة القرآن الكريم، ليس لها علاقة بخرافة السامية، وإنما هي لغة "ألمها" الله تعالى العرب في شمال الجزيرة العربية إلهاماً، ولم ينتجها البشر العرب بالتواضع ألهمهم أصولها التي لا تتغير والتي يبنى منها كل ما يأتي من فروع تنامي مع الأيام².

ومصدقا لذلك... أن هذه اللغة الفصحى إلهام لا مواضعة واصطلاح.

اختلف الدارسون في حقيقة اللغة وطبيعتها أهي عقلية، وظيفتها التعبير عن الأفكار أم هي ظاهرة اجتماعية وظيفتها التوصيل والتواصل وقررنا أن للجانبين وجود وأثاراً، وأن اللغة تمر بدورة من مراحل ثلاث، هي الطاقة أو القدرة أو الخليقة، ثم تفعيل هذه الطاقة وقدرتها على الإنتاج وهذه هي السليقة، ثم الإنتاج نفسه، الممثل في المنطوق الحي وهذا المنطوق أسبق وأوفى نصيباً في تشكيل اللغة وبنائها، فالإنسان يسمع فتتطبع في ذهنه آثار ما سمع، ويستطيع بعد التوليد من هذا المخزون، فيخرج وفقاً لهذا المخزون إن كان المخزون فصيحاً كان المولد كذلك، وإن كان عامياً، جاء المنطوق على مثاله³.

ومن هنا كان لابد لنا - إن أردنا الإصلاح - أن نركز على المنطوق ومعناه أن اللغة في جملها من صنع الإنسان، وتعتمد في ذلك على منهجه وسلوكه في هذا الصنع،

¹ - د. عودة الله منيع القيسي، "العربية الفصحى"، مكتبة نور الكتب، القاهرة، 2010، ص 19.

² - نفسه، ص 19.

³ - كمال بشر، "اللغة العربية بين الفهم وسوء الفهم"، دراسات عربية في مكتبات وعلم المعلومات، دار غريب، 1998، ص 10.

وبعارة أخرى، اللغة تكتسب عن طريق الممارسة والخبرة، بمعونة الطاقة أو القدرة التي يتم تفعيلها دائما وأبدا، وفقا لخواص هذا المكتسب وطبيعته، وهكذا دواليك طوال فترة الاكتساب التي قد تطول أو تقصر، فالطفل يسمع ويلاحظ ويخزن، ثم يحاول بنفسه ولكنه في كل الحالات في حالة إلى وسط لغوي يأخذ منه ويسير على دربه، ومن تم كانت القدرة أهم عامل من عوامل صنع اللغة واكتسابها، فكيفما يكن المسموع يكن الإنتاج أي المحصول اللغوي للطفل (وغيره) ¹.

لا يستخدم الناس اللغة لمجرد الإشارة إلى حالات شعورية أو إدعاءات أرضية، بل لتسكيل عقول بعضهم بعضا، يمكننا القول حينئذ أن اللغة جهاز مهندس بإتقان لوصف الأماكن، والناس والأشياء الأخرى، والأحداث وحتى الأفكار والمشاعر نستخدمه لإعطاء الاتجاهات وحكاية الماضي، وتوقع المستقبل، وللأخبار بالقصص الخيالية، وللمداهنة والخداع، ونخترط في النميمة وهي طريقة نافعة في نقل أخبار عن آخرين. وفي هذه المرحلة إننا نستخدم اللغة لنقل الخبرة للآخرين، وبتقاسم خبراتنا نجعل التعلم أكثر كفاءة، وأقل خطرا في الغالب، فالأفضل أن تطلب من أطفالك ألا يلعبوا وسط حركة المرور بدلا من أن تدعهم يكتشفون بأنفسهم ما الذي سيحدث لهم لو فعلوا ذلك ².

وفضلا عن هذا حتى تغريد الطيور - على كل ما وقع من تعقيد - هو مقلوب ونمطي إلى حد بعيد، وأكثر شبها بالضحك البشري منه بالخطاب البشري، والجدير

¹ - كمال بشر، المرجع السابق، ص 10 - 11.

² - مايكل كورباليس ترجمة محمود ماجد عمر، "في نشأة اللغة من إشارة اليد إلى نطق الفم" والعنوان الأصلي للكتاب (Fronfau to mouth the origins of laufuage by wichel c corballisprinceton unic=versity press, 2002, P07, ص 07).

بالملاحظة إن أغنية أي طائر مكررة إلى حد الرثابة. أما الحديث البشري كما هو معلوم، فهو - في مباينة واضحة - ذو تنوع لا نهائي من الناحية الفعلية¹.

لعله من الثابت أن الإنسان وحده دون غيره من أعضاء المملكة الحيوانية الذي يستخدم الأصوات في نظام محدد للاتصال بأبناء جنسه. فقد عرّف الفلاسفة الإنسان بأنه حيوان ناطق، وإن ناطقة الإنسان لتسند على ركيزتين هما: ممارسة التفكير، وممارسة الحياة في جماعة. وما كان هذا أو ذلك يتم إلا باللغة أعظم الأدوات التي استعملها البشر للكشف عن النفس وعن غيرهم وعن الكون من حولهم.

واللغة عند الإنسان لها جانبان لا ينفصلان الأول: جانب اللفظ أو الشكل متمثلاً في المنطوقات، والثاني جانب المعنى أو المضمون ويتمثل في المفاهيم والإنسان وحده بفضل ما لديه من خبرات سابقة، لوجود مركز للذاكرة بمخه يستطيع تفسير الرموز الصوتية التي تصل إلى مخه في صورة إشارات كهربية إلى معان.

لماذا تميزت لغة البشر عن لغة الحيوانات؟

إن كان لدينا الكثير من الأبحاث في قدرة بعض الطيور على تعلم كلمات تصل إلى 500 كلمة، وكذلك الشمبانزي والكلاب وغيرها من التجارب.

تعد اللغة من أهم مميزات الإنسان الاجتماعية والحضارية والإنسانية، وفي هذا السبيل تعرف (اللغة) وتفهم بأنها ظاهرة ليس كأية ظاهرة وإنما هي ظاهرة فكرية عضوية خاصة بالإنسان دون غيره من الكائنات.

¹ - مايكل كوربايس ترجمة محمود ماجد عمر، المرجع السابق، ص 07.

ولمعرفة اللغة ونشوتها وأهميتها، يعرف **الاند** اللغة بأنها (كل نسق من الإشارات يمكن أن يستعمل للتواصل) ويعطي البعض تعريفا آخر للغة وهو أنها تلك القابلية التي يتوفر عليها الإنسان لاختراع الرموز بكيفية متعمدة، وتختلف اللغة بناء على هذين التعريفين عن اللغة التي يستعملها الحيوان، إن الحيوان يستخدم إشارات في تواصله مع الحيوانات الأخرى من نفس النوع.

فالنملة مثلا كما تؤكد ذلك دراسة للعالم **فون فريش** تقوم برقصات معينة تفهم منها بقية النمل أن هناك طعاما يوجد على مسافة معينة، إلا أن الإشارات التي يستخدمها الحيوان إشارات مرتبطة بموضوعات معينة ومحدودة غريزيا، وفي غالب الأحيان تكون موروثية، وعلى العكس من ذلك فإن اللغة التي يستخدمها الإنسان ليست غريزية، وإنما مكتسبة وهي في غالبيتها اتفاقية أي اتفقت عليها الجماعة، فعالم الرياضيات مثلا يقول : افترض أن "س" هي ... ويمكن أن يعطي للرمز "س" المعنى أو القيمة التي يريد أن يكون ملزما بمعنى معين أو قيمة معينة، وهكذا فالرمز الذي يستخدمه الإنسان رمز يتصف بالمرونة من أن الإشارات التي يستخدمها الحيوان إشارات جامدة، أو متماسكة حتى على تعبير برعسون.

إذا الإنسان هو حيوان ناطق، وهذا ما يجعله متميزا في عالم الكائنات الحية ؟

فمنذ أن سلمنا وبصعوبة بأن أصل الإنسان **قرد**، لم نكل ولم نمل من التنقيب عما يجر الإنسان من الوضع الحيواني، وتشكل اللغة الحد الأخير الفاصل الذي يميز الإنسان عن الحيوان¹.

¹ - ت : ريتا خاطر، "أجل قصة عن اللغة"، ص 20.

وانطلاقاً من هذا، فالإنسان هو الكائن الوحيد الذي يمكن وصفه بالكائن الناطق أو المتكلم إن صح التعبير، ولكن على أساس هذا المفهوم ألا نلاحظ بأن هناك بعض الحيوانات تستطيع أن تنطق؟ ألا يؤهلها هذا الفعل بأن توصف بالكائنات الناطقة؟ فالإجابة تكون بأن النطق ربما، أما الكلام الذي نعرفه ونتحدث عنه من الناحية العلمية والفلسفية فبالطبع لا، لأن الحيوان يمكن أن ينطق كالبيغاء مثلاً ولكن لا يملك القدرة على الكلام لأنه لا يملك العقل الذي يؤهله بأن يتكلم ويفهم ما يقول.

9- النظام التواصلي عند النحل :

يعد نظام الخلية في مملكة النحل أرقى الأنظمة عند الكائنات الحية ما عدا الإنسان، ولعل أصفى صورة لهذا النظام هي النمط التواصلي عند النحل¹. ومن الدراسات الرائدة في هذا المجال، الدراسة التي قام بها العالم الألماني فون فريش Forl von frish في مؤلف موسوم بـ The domcime الذي ظهر سنة 1945، وفي رحاب هذه الأهمية، كان حرصه الشديد على رصد جميع الحركات وفي مواقف متعددة، وإخضاعها للملاحظة الدقيقة وإجراء تجارب مختلفة على النحل الذي كان يحتفظ به، وإجراء هذا نيين له أن النحل يستجيب بعضه لبعض عن طريق نظام معقد من الحركات².

وبناء على ما سبق استكشف فون فريش أن لكل مسافة حركة خاصة تقوم بها النحلة، وأثناء قيامها بهذه الحركات تأخذ بعين الاعتبار اتجاه مصدر الغذاء، فهي تستطيع أن تدل على مصدر الرحيق حتى وإن كانت في مكان مغلق وباتجاه عمودي لا أفقي³، وبهذا

¹ - أحمد حساني، "دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات"، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 04، الجزائر، ص 2000، ص 79.

² - المرجع نفسه، ص 79.

³ - نفسه، ص 80.

الأمر نستطيع أن ندرك أن هذه الاكتشافات مثيرة إلى درجة الاعتقاد بوجود نظام تواصلية عند النحل يوقى إلى لغة البشر.

فعلى هذا الأساس فإن الحديث عن وجود ملكة لغوية لدى الحيوانات على الأرجح كلام مبالغ فيه، لأن اللغة البشرية هي نمط تواصل فريد جدا من نوعه، فالحيوانات تتواصل فيما بينها بواسطة الحركات على سبيل المثال (يمد قرد الشمبانزي يده مثلا ليستجدي الطعام) أو بواسطة وضعية الجسد (يعتني الطاووس بهندامه ليغري جميلته) أو عبر الروائح (بحيث أن بعض السنوريات تبول لتعلم منطقتها، وكذلك تعتمد الفراشات إلى جذب شريكها بواسطة الهرمون¹ الفروز* (Phermones) الذي تقذفه خارج جسمها.

9-1 - طريقة التواصل بين النحل :

فرقصة النحل - مثلا - تسمح لهذه الحشرة بأخطار أحواتها بوجود أزهار باتجاه الشرق يمكنها أن تجرس مونتتها منها... إنها تزودهم بمعلومات حول مكان وجود الطعام هذا كل ما في الأمر ولكنها - مثلا - لا تدلهم على الغنيمة الجميلة التي تتخذ شكل فيل².

فبناء على ما تقدم، فالغاية من هذا تقوم النحلة التي تجد الطعام (الرحيق) برقصات دائرية تحرك فيها أجنحتها وذيلها، تخبر من خلالها ببقية العائلات بمكان وجوده وموضعه وبعده عن الخلية، مستعينة في ذلك بمعالم منها : وهما موضع الخلية وموضع الشمس وهذا ما يسمح لبقية العائلات من الوصول إليه بدقة.

¹ - ترجمة : ريتا خاطر "أجمل قصة عن اللغة"، ص 21.

* - إفراز غدي شبيه بالهرمون، يقذف خارج الجسم

² - ترجمة : ريتا خاطر، المرجع السابق، ص 22.

فمن هذا نستنتج بأنه إنكار بوجود لغة يتواصل بها النحل. وخلاصة القول هي أن التواصل الحيواني خال من الحوار.

وفي هذا السبيل، فالأفعال الحيوانية لغير البشر فليس فيها انتظام لعدم الفكر الذي يعبر به الفاعل على الترتيب فيما يفعل، إذ الحيوانات إنما تدرك بالحواس ومدركاتها متفرقة خلية من الربط لأنه لا يكون إلا بالفكر، ولما كانت الحواس المعبرة في عالم الكائنات هي المنتظمة، وغير المنتظمة إنما هي تتبع لها، اندرجت حينئذ أفعال الحيوانات فيها، فكانت مسخرة للبشر واستولت أفعال البشر على عالم الحوادث، بما فيه، فكان كله في طاعته وتسخيره¹.

وهذا معنى الاستخلاف المشار إليه في قوله تعالى "إني جاعل في الأرض خليفة"² فهذا الفكر هو الخاصة البشرية التي تميز بها البشر عن غيره من الحيوان. انطلاقاً من هذا التوجه يمكن لنا القول وعلى قدر حصول الأسباب والمتسببات في الفكر مرتبة تكون إنسانيته... والله خلق الإنسان وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً³.

10- ماهية اللغة ؟

اللغة نظام لساني، تكشف جوهر الإنسان وفكره، فهي مرآة ثقافته وهويته وتراثه والمعبرة عن أغراضه وتطلعاته.

¹ - ابن خلدون، "المقدمة"، ص 840.

² - سورة البقرة : الآية 30.

³ - ابن خلدون، "المقدمة"، ص 840.

والبحث في اللغة بحث في الإنسان نفسه، فهي خاصة من خصائص الإنسان والوسيلة الاجتماعية التي اقتضتها حياته، لبقاء المجتمع وتماسكه والجامع لعوامل تكوينه، والعامل الهام في وحدة الجماعات البشرية والمبرزة لتراثه الثقافي والحضاري والحفاظة له.

يقول م. م لويس : "يجب أن نستعمل الاتصال اللغوي وسيلة لتوجيه الرغبة إلى الوصول إلى تكامل المجتمع، وكذلك لتوجيه الرغبة في استعمال الاتصال وسيلة لهذا التكامل، فهي وسيلة التعاون الاجتماعي.

واللغة ليست مكونا فسيولوجيا فحسب وإنما هي ظاهرة اجتماعية حية، وسلوك ينشط على مستوى الفرد أو الجماعة بالتفاعل الاجتماعي، وهي عنصر الاتصال والتواصل بين الفرد والآخر، وتنمي دواها اللغوية من مكان إلى آخر، ومن زمان إلى آخر.

اللغة فعالية إنسانية تتباين بلا حدود معلومة عندما تنتقل من جماعة اجتماعية إلى أخرى لكونها إرثا تاريخيا بحثا لتلك الجماعة وهي ناتجة عن الاستخدام الاجتماعي المستمر لمدة طويلة، وهي تتباين كما تتباين جميع الجمود الخالفة - ربما ليست بالوعي نفسه - لكنها تتباين بدرجة الصدق نفسها كما في الأديان والمعتقدات والعادات والفنون لدى الشعوب المختلفة... فاللغة وظيفة "حضارية" مكتسبة غير غريزة.

10-1- في المجتمع واللغة (La sotieté et la langue) :

ليس المجتمع سوى مجموعة أفراد يحكمهم نظام ذو قواعد كما أن اللغة ليست سوى جملة مفردات يحكمها نظام ذو قواعد، وإذا كان من العقل تأكيد العلاقة الجديدة بين اللغة

والمجتمع فإن الحقيقة لا تقبل ذكر المجتمع إلا باللغة، كما لا تقبل ذكر اللغة إلا بالمجتمع، انطلاقاً من تصور الوظيفة الأساسية للغة هي الإبلاغ¹.

والوظيفة الأساسية للمجتمع الاتصال في العام والتعارف في الخاص قال الله تعالى :
"وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا"²، والتعرف هو في الحقيقة مصطلح واسع وجامع لمعاني
 الاتصال والإبلاغ. وعلى هذا الأساس فاللغات تأخذ سلوكها من المجتمعات وانطلاقاً من
 هذا كانت حركية اللغة من حركية المجتمع وحركية الكلام من حركية الفرد، وكان تغير الكلام
 من تغير الفرد³.

- إن اللغة هي أصوات التفاعل في هذا الكون وقد يكون من الأسرار الكبيرة والعجيبة
 التي لا يتوقف القلم سيولة في استخراجها وتحريرها.
 - إن الله تعالى حين خلق آدم عليه السلام جعل من الأساسيات الأولى في التفاعل مع
 الحياة وسنتها أن علمه⁴ الأسماء كلها، قال الله تعالى : **"وعلم آدم الأسماء كلها"**
 وقوة اللغة في مصطلحها ودقة معناه وسداد إبانته واعتدال ميزانه وانسجام أصواتها
 وخفة النطق به على قاعدة الاقتصاد التي تفيد دقيق التوازن بين المجهود والمردود فصل
 الخطاب⁵.

- ولما كانت اللغة وضعاً واستعمالاً، وكان أساس وظيفتها الإبلاغ والإبانة، كان لزاماً
 إليها صفة الوظيفية في الراهن لتؤدي دورها في صناعة فعل الاتصال مع النفاذ إلى

¹ - عمار ساسي، "المصطلح في اللسان العربي"، ص 16.

² - سورة الحجرات، الآية : 13.

³ - عمار ساسي، المرجع السابق، ص 16.

⁴ - نفسه، ص 04.

⁵ - نفسه، ص 09.

عمق المجتمع من غير عجز مع الحضور الإيجابي الفاعل في كل مجال من مجالات الحياة.

- والبحث في اللغة هو بحث في المجتمع، فهي أس التفاعل الاجتماعي، وبوابة الولوج في النشاط الإنساني بتجلياته المتنوعة، وبتفاصيله الدقيقة، فاللغة كما قال جاك دريدا: "تحمل العالم في جرفها وهي الهواء الذي نتنفسه".

10-2- اللغة والمجتمع :

ولقد بين محمود السعران في كتابه (اللغة والمجتمع رأي ومنهج) إن النظرية "الكلاسيكية في اللغة تقوم على أساسي "منطقي" أو "رياضي" أو "نفسي" أو "ألي" تؤدي إلى اعتبار اللغة "مرآة" ينعكس عليها الفكر، أو أداة عاكسة للفكر أو "مستودعا" للفكر المنعكس، أو وسيلة لتجسيم الفكر أو التعبير عنه، إلى أشباه هذا¹، وما يؤخذ على هذا التفسير، أي أن وظيفة اللغة عند أصحاب هذه النظرية هي "التفاهم" أو "توصيل الفكر" أو "التعبير عن الفكر" ودلالة على هذه النظرية هي أنها لا تمكن حتى تحليل جميع أشكال "السلوك الكلامي".

فليس ثمة "توصيل" للفكر في أنواع كثيرة من "الوظائف الكلامية" كالمونولوج ولا توصيل للفكر في استعمال اللغة في "السلوك الجماعي" مثلا كالصلاة والدعاء، وفي استعمال اللغة المخاطبات الاجتماعية التي لا تستهدف غاية كلغة التحيات، وفي التلذذ بالأصوات واللعب بها. والأصح والأدق في هذا هو أن ننظر إلى اللغة على أنها وظيفة اجتماعية، وأيضا على أنها طريقة من العمل².

¹ - محمود السعران، "علم اللغة مقدمة للقارئ العربي"، ص 79.

² - المرجع نفسه، ص 79-80.

وما دامت اللغة جزءاً من الحياة الاجتماعية، وما دام المجتمع العربي يشارك في الحياة الدولية بالأخذ والإعطاء فلا بد للغة العربية من أخذ سبيلين¹ :

- أ- فأما أن تحيا مع المجتمع وتتغير صورتها بالأخذ والعطاء.
- ب- وإما أن تساعد عوامل المحافظة عليها على تجميد تطورها فينفرد المجتمع بالتطور دون اللغة فتتجسر اللغة وتتخلف ويعتمد المجتمع على لهجاته العامية يحاول إنمائها والحياة بها وتصبح الفصيحة لغة مكتوبة فقط بعيدة عن حياة المجتمع.

ومن هنا ندرك أن اللغة لا يمكن أن تنشأ إلا في مجتمع، ولا يمكن استخدامها إلا في مجتمع، فالكلام يختلف باختلاف الطبقات الاجتماعية الموجودة في المجتمع الواحد والعصر الواحد علماً أنه يمكن لشعبين لهما نفس التربية والنشأة في نفس المكان الجغرافي والوقت واحد أن يختلف كلاهما، والسبب في ذلك راجع إلى اختلاف مجموعة من العوامل الاجتماعية بينهما، وبشكل عام فإن اللغة تختلف باختلاف الطبقات الاجتماعية.

فقيمة اللغة في مضمونها الفكري والعقلي ليس هناك لغة دون فكر الفكر هو شرط للغة واللغة علامة دالة على وجود العقل والعقل يجعل فينا القدرة على التفكير والتفكير ضروري حتى نتمكن من الكلام. أن القول بأن الكلام فقط هو ما يمكن من التمييز بين الإنسان والحيوان.

¹ - تمام حسان، "اجتهادات لغوية"، عالم الكتب، القاهرة، ط 01، 1428 هـ - 2007م، ص 21.

10-3- اللغة والفكر :

وإذا كانت اللغة خاصية إنسانية، والإنسان هو الكائن الوحيد الذي يفكر، فلا بد وأن توجد علاقة بين الفكر واللغة.

إن علاقة الفكر باللغة علاقة بالكنيكية أو جدلية فمن جهة، الفكر يصنع اللغة ومن جهة أخرى اللغة تصنع الفكر، فنحن نفكر ثم نعبر عن أفكارنا بواسطة اللغة، إلا أن ذلك لا يعني أن اللغة هي مجرد وسيلة يمكن أن نستبدلها بوسيلة أخرى لأن الأفكار ترد إلى الذهن وهي تلبس توب اللغة.

ومن هنا نطرح السؤال قائلين :

هل بإمكان اللغة أن تعبر عن جميع أفكارنا ؟

إن الإنسان كثيرا ما تكون لديه أفكار ويبقى يبحث عن الألفاظ التي تناسبها، فتفكيره الطويل وتردده في الكتابة دليل على عدم وجود ألفاظ جاهزة تحمل هذه المعاني، وإن وجدت فهي لا تجسد المعنى كما ينبغي لذلك قيل "إن الألفاظ قبور المعاني". وانطلاقا على هذا الأساس، فالفكر فيض من المعاني لاتسعتها الألفاظ.

في الاهتمام، فاللغة تصور ما يخطر في الفكر من (المعاني) وهي التي تجعل المعاني محفوظة باقية وكذلك يقول أحد الفلاسفة "الأفكار الشيء لا تودع في الألفاظ كالشرارات التي لا تبزف إلا لتموت".

10-4- تأثير الفكر في اللغة :

للفكر أثر في اللغة عظيم، ولو لا الفكر لفقدت اللغة خواصها، ولم يكن لوجودها أية فائدة، فإن الفكر هو الذي يربط الألفاظ بمعانيها فيعمد إليها وهي أصوات فارغة، فيردها كالأصداف تحمل من درر المعاني ما يبهر العقل، أو كالأغصان تحمل من الثمار ما تشتهيئه النفس¹.

والجدير بالذكر، فالفكر هو الذي يتوسل به الإنسان إلى توسيع نطاق اللغة وتنظيمها فيدخل فيها عند الحاجة كلمات جديدة، أو يبتدع فيها أساليب طريفة، ويضع لها قواعد تساعد الناس على تعلمها، وتحفظهم من الخطأ عند النطق بها².

10-5- تأثير اللغة في الفكر :

للفكر تأثير في اللغة كما أسلفنا بيانه، وهذا لا ينم عن أن يكون للغة تأثير في الفكر من بعض الوجوه، انطلاقاً من هذا التوجه، يمكننا القول تأثر اللغة في الفكر من جهة أن المعاني لا تتمايز ولا تخرج في وضوح إلى أن يشار إلى كل معنى بلفظ يخصه، إذن فاللغة وسيلة إيضاح المعاني الغامضة وتنسيق المعاني المختلطة، فنذكر ههنا أيضاً، أن الرجل الذي يريد أن يؤدي المعنى في صورة منتظمة يفكر أولاً في اختيار الألفاظ والأساليب أكثر ممن لا يبالي أن تقع صور المعاني في ذهن مخاطبه مبهمه مختلطة³.

¹ - محمد الخضر حسين، "دراسات في العربية وتاريخها"، الدار الحسينية للكتاب، القاهرة، بد ط، 1421 هـ، 2000م ص 11.

² - المرجع نفسه، ص 11-12.

³ - محمد الخضر حسين، "دراسات في العربية وتاريخها"، المرجع السابق، ص 12.

وهكذا نرى أن التفكير لا يتفتح إلا بفضل اللغة ولما كانت اللغة بمثابة الأداة للفكر، فإن كلا منهما يكمل الآخر، ويعد طرفاً لا يمكن الاستغناء عنه في تفتح الشخصية¹، فالتقدم الذي أحرزته الإنسانية في مختلف ميادين العلم يرافقه دائماً تقدم في ميدان اللغة، حتى أن البعض يعتبر العلوم أنواعاً من اللغات. فمن الناس من يتحدث عن لغة العلم، ولغة الأرقام... والرياضيات عند هؤلاء إن هي إلا لغة خاصة اصطنعها الفكر كما أن الموسيقى والرسم والتمثيل وغير ذلك من الفنون إن هي إلا لغات خاصة يتجسم فيها الجمال.

أن التفكير والتعبير شيء واحد، وأن اللغة في الواقع ما هي إلا فكر ناطق، بل أننا لا نستطيع أن نضع حداً فاصلاً واضحاً بينهما. لا نستطيع القول، إلى هنا ينتهي التفكير، وهن هنا تبدأ اللغة. كما أننا لا نستطيع أن نعتبر إحدى هاتين الظاهرتين واسطة والأخرى غاية، إذ أنهما في الواقع شيء واحد أحدهما امتداد للآخر ومن هنا أيضاً ندرك دقة تعريف ابن جني عندما قال أن اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم. فاستعماله لكلمة "يعبر" هنا هو إدراك دقيق لطبيعة العلاقة التي تربط اللغة بالفكر².

من خلال هذا كله يتضح لنال أن العلاقة بين اللغة والفكر قائمة على الإتحاد بينهما، كل منهما يتأثر بالآخر ويؤثر فيه، فالنظرة إلى الفكر واللغة باعتبارهما عمليتين متفصلتين نظرة خاطئة، ويتجسد هذا الخطأ إذا نظرنا إلى الكلمة المفردة، فالكلمة الخالية من المعنى ليست كلمة على الإطلاق وإنما هي صوت الجوف. ولذلك فإن المعنى هو المعيار الأساسي الضروري للكلمة ذاتها، فالمعنى هو الكلمة منظوراً إليها من الداخل، من الفكر ومن هنا يكون اللغويون على حق تماماً حين ينظرون إلى معنى اللفظة كظاهرة لغوية، ويترب على ذلك ونتيجة لعلاقة الترابط بين الكلمة والفكرة، إن الفكر إذا تغير أو تطور تغيرت معاني

¹ - حنفي عيسى، "محاضرات في علم النفس اللغوي"، ص 266.

² - حلمي خليل، المولد، ص 28.

الكلمات وتطورت هي الأخرى أو كما قال إدوارد سابير إن نمو وتطور اللغة يعتمد إلى حد كبير على نمو وتطور الفكر¹.

إن العلاقة بين اللغة والفكر علاقة تكامل، فلا وجود لأحدهما دون الآخر، وانعدام التناسب بين الفكر واللغة لا يعود إلى اللغة ذاتها وإنما يعود إلى الإنسان نفسه.

10-6- أهمية اللغة في التبليغ الثقافي :

لكل شعب ثقافته التي يتميز بها عن غيره، وتنعكس هذه الثقافة على لغة هذا الشعب، فاللغة في أي مجتمع هي مرآة ثقافته، وهي الوسيلة التي تستخدمها الشعوب لتعبير عن العناصر المختلفة للثقافة عاداتها وقوانينها وتقاليدها ومفاهيمها، ويوجد تكامل بين اللغة والثقافة، وكلاهما يكتسب بصورة اجتماعية فالتكامل بين اللغة والثقافة على درجة كبيرة من الأهمية وتبرز الأهمية بوضوح في مجال تعليم اللغات عامة وتعليم اللغة العربية على الخصوص.

10-7- اللغة والاتصال :

اللغة أداة التبليغ والاتصال بين أعضاء الجماعة الإنسانية، تميز الإنسان عن غيره من المخلوقات فهو الكائن الحي الوحيد الذي يستعمل الرمز للدلالة على المعاني، أو للتعبير عن أفكاره وعواطفه، وقد تكون هذه الرموز صورة أو كلمة أو إشارة أو حركة تصدر عن أي جزء من أجزاء الجسم أو غير ذلك.

إن اللغة وعاء التجارب، ودليل النشاط الإنساني ومظهر السلوك اليومية الذي تقوم به الجماعة ويسميه أصحاب الدراسات الشعبية الأنثروبولوجية "ثقافة" وذلك بأن نشاط المجتمع ممثلاً في "نشاط أعضائه هو ثقافة هوذا المجتمع، ويتكلم أصحاب الدراسات الشعبية عن

¹ - حلمي خليل، المرجع السابق، ص 28-29.

"ثقافة" مادية وأخرى غير مادية وتشتمل "الأولى" على الأشياء المادية التي يهتم بها أعضاء الجماعة، كالمساكن، والأزياء والزخارف والأدوات وما إلى ذلك على حين يقصد "الثانية" النظم الاجتماعية كالدين والقانون، وكل أنواع العادات العرفية وفيها اللغة¹.

ومن هذا المنطلق ليست اللغة إذا عنصرا من عناصر الثقافة بل إنما أساس كل أنواع النشاط الثقافي ومن ثم فهي أقرب الأدلة وأقواها عند استقصاء الملامح الخاصة لأي "مجتمع معاصر".

10-8- المتكلم وسيلة الاتصال (اللغة) :

وهكذا نجد متكلماً وسامعاً، واللغة التي عبر عنها بوسيلة الإتصال في المثال السابق هي مجموعة من الأصواب والكلمات، والمفردات، الجمل، والعبارات، وكلها تؤدي إلى النظام المتعارف عليه وهو النظام اللغوي الذي يتلقاه الإنسان في بداية حياته عن طريق التقليد، والمحاكاة، وعن طريق التقائية. وهذا ما يدل دلالة واضحة على أن الإنسان يتعلم الكلام أولاً قبل أن يتعلم القراءة، ويستدل اللغويون على ذلك بأن تاريخ وجود الإنسان على وجه الأرض متقدم جداً، إذ يعود إلى مئات الآلاف من السنين ولذلك لا يمكن تصور وجود المجمع الإنساني دون أن تكون هناك وسيلة تفاهم وإتصال بين أفرادها عبر هذه الحقب التاريخية القديمة². والحقيقة التي لا مرأى فيها، هي أن تاريخ اللغات قديم أيضاً بقدم الوجود البشري نفسه، ولكنها كانت مشافهة ومنطوقة قبل أن تكون مكتوبة ومقروءة. ذلك أن تاريخ اللغات المكتوبة يعد قصيراً جداً بالنسبة للمنطوقة إذ الإنسان ينطق أولاً ثم تأتي مرحلة

¹ - د. تمام حسان، "اللغة بين المعيارية والوصفية"، ص 15.

² - محمد وطاس، أهمية الوسائل التعليمية في عملية التعلم عامة (وفي تعليم اللغة العربية للأجانب خاصة)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص 187.

القراءة ثم الكتابة، وقد لا يتعلم ومع ذلك فهو يتكلم لغة الأم وهي لغة قومه وأهله، وإلى اليوم لا زال أناس يتكلمون اللغات دون أن يعرفوا القراءة ولا الكتابة.

يقول اللغوي الفرنسي أندري ماريتني : **André Martinet**

Ceci ne doit pas faire oublier que les signes du langage humain en vacaux, que pendant des centaines de milliers d'années, ces signes exclusivement vocaux, et qu'aujourd'hui encore, les êtres humains en majorité savent parler sans savoir lire. On apprend à parler avant d'apprendre à lire)¹.

"ومعنى هذا القول أن الكلام والنطق يسبقان القراءة الكتابة، ولعل عصرنا الحاضر يشهد على ذلك. فالأغلبية الساحقة من الناس اليوم تتكلم ولا تعرف القراءة وهذا ما يدل على أننا نتعلم الكلام قبل أن نتعلم القراءة".

ولكي يدرك الإنسان اللغة وما تحتوي عليه من مقرات وألفاظ وأصوات، فلا بد أن يستمع المرة بعد الأخرى، ولا بد من حاسة السمع أن تلعب دورها الإيجابي، لأن هذه المرحلة هامة في اكتساب العادات اللغوية، وهي مرحلة الإستماع إلى اللغة المنطوقة من طرف الآخرين، ثم تتلوها مرحلة الكلام ليتم التفاعل والتجارب بين أفراد المجتمع الواحد، وبهذه الطريقة تتحقق الظاهرة الاجتماعية التي نادى بها علماء اللغة، وهذه الظاهرة تتعلق باللغة نفسها عندما قالوا عنها بأنها ظاهرة اجتماعية وسلوك اجتماعي تتوارثه الأجيال حقبا وأزمنة تتطور بتطور الحياة الاجتماعية الإنسانية.

¹ - André Martinet, Eléments de Linguistique générale, P 8.

وقد أخذت الطرق التربوية والتعليمية اليوم في مجال تعليم اللغات تهتم بالجانب السمعي عند آخذه في الاعتبار ما تقدمت الإشارة إليه في أن اللغة نظام منطوق يستوجب عنه إيجاد طرف مستمع وأن مهارة النطق تكتسب عن طريق الاستماع، والسامع يصبح بعد عملية التعلم ناطقا ومتكلما في نفس الوقت بعد التكرار المستمر والخبرة التي يمر بها السامع.

10-9- أهمية اللغة :

وتجدر الإشارة على أهمية اللغة، فهي أحد وجهي الفكر، ووطن القوم، فإذا عملنا لوضع لغتنا في مكانها المتميز كما هي في طبيعتها، وكما كانت في طبع العربي إذا فعلنا ذلك قطعنا الشوط الأكبر للتفوق في خدمة الأمة والعلم والإنسانية...¹.

"إن أهمية اللغة لفهم الثقافة حق الفهم أمر أخذ يحس به من يعرضون لدراسة الحضارات، وذلك لأن أي نظام لغوي تعبير عن نظام إدراك جماعة من الجماعات لبيئتها ولنفسها، وإن لم يكن هذا التعبير كاملا ومن ثم فلا يستطيع أن يفهم حضارة ما حق الفهم من يجهل وسيلتها اللغوية في التعبير"².

ومن ههنا، إن ضالة ذبوع علم اللغة في مواطنه قد حدث ببعض العلماء إلى محاولة تبسطه وتقريبه من أذهان جمهرة المثقفين ففي هذه المرحلة ظهرت مؤلفات من هذا القبيل أكثرها بالإنجليزية والفرنسية ولا يزال أصحاب هذه الدراسة يدعون إلى مواصلة هذا الاتجاه وتنميته وإلى توجيه الأنصار بخاصة إلى ما قد ينفع به هذا العلم مناهج تعليم اللغات³.

¹ - د. أسعد أحمد علي، "تهديب المقدمة اللغوية للعلايلي"، دار السؤال للطباعة والنشر، دمشق، ط 2، 1401 هـ - 1981 م، ص 43.

² - محمود السعران، "علم اللغة مقدمة للقارئ العربي"، ص 19.

³ - نفسه، ص 19.

ومع ذلك فإن اللغة لا يمكن أن تعتمد كلياً على الجينات لأنها تتأثر بتأثيراً قويا بالثقافة، وفي الحقيقة فنحن نصبح عاجزين فعليا في ثقافة لتكلم لغة مختلفة مكا لم نلجأ إلى الإشارة، وهناك ما قد يغري المرء بأن يعتقد أن اللغة هي آلية للحفاظ على سلامة الثقافة وإبقاء الأجنب خارجها، وفي هذا الصدد كثير من الخصائص الإنسانية تعتمد بوضوح لا على الشفرة الجينية بل على الثقافة التي يتصادف أن نكون جزءاً منها¹.

وضمن التوجه نفسه يطلق ريتشارد دوكنز على هذه الخصائص المحددة ثقافيا اسم "المذكرات" وهي تضم القصص والأغاني والمعتقدات والمخترعات والنظم السياسية والمطبخ وفي الحقيقة كل ما نعهده فعلا جزءاً من الثقافة².

ولقد علمنا التاريخ الثقافي والحضاري للأمم والشعوب، أن في ازدهار اللغة ازدهار للحياة العقلية، وتقدما في مضمار العلوم والفنون والأداب، وأن في قوة اللغة قوة للأمية الناطقة بها، وأن اللغة تكتسب قوتها من إبداع أهلها بها، ومن تفوقهم في هذا الإبداع الذي يشمل نواحي الحياة العامة³، وبمعكس ذلك يكون في ضعف اللغة ضعف للأمة الناطقة بها، ويمكننا القول حينئذ أن هذا الضعف يسري إلى مفاصل المجتمع وإلى مرافق الحياة جميعا وفي هذا السبيل يكون التراجع الذي قد يؤدي إلى العجز الثقافي والحضاري وجمود الحياة⁴.

إن رصد ملامح الثقافة العربية من خلال المسألة اللغوية في الفكر العربي المعاصر يحملنا على استكشاف ثلاث أزمت كبرى اختزقت سلطة اللغة العربية خلال تلك الحقبة،

¹ - محمود السعران، المرجع السابق، ص 19.

² - نفسه، ص 19.

³ - د. عبد العزيز بن عثمان التويجري، "حاضر اللغة العربية"، ص 07.

⁴ - نفسه، ص 7-8.

اثان منها انتهتا إلى توازن نسبي والثالثة استعصت وما ننفك تلقي بتحديات القاهرة، وثلاثتها هي أزمة اللغة العربية مع اللغات الأخرى، وأزمتها مع العلم اللغوي وأزمتها مع نفسها¹.

كان رواد الفكر العربي المعاصر على وعي بأن اللغة العربي تحمل معها مجدا تاريخيا جليلا لأنها كانت في معظم القرون لغة الغالب وبفضل ذلك تعامل أهلها مع اللغات الإنسانية تعاملًا نبيلًا خلا من كل العقد الثقافية والمربكات النفسية، ولكن حركة الاستعمار بعد أن يتسنى من خلخلة الصلة بين الهوية الدينية والهوية اللغوية تفرغت بالكلية إلى ربط المعرفة العلمية باللغة الأجنبية : الإنجليزية والفرنسية تخصيصًا وظلت العربية تقاوم داخل قلاع غدت كالرموز في تجسيد العلاقة المكيمة بين الثقافة واللغة : جامع الأزهر وجامع الزيتونة وجامع القرويين².

وإذا نظر المرء خارج أوروبا، إلى الثقافة اللغوية التي اعتمد عليها الأوروبيون بشكل كبير ومفيد جدا فإن الحاجة لم تنزل ماسة إلى كتابات وتفسيرات جديدة، فقد تمت في الواقع دراسة كثير من المؤلفات اللغوية الصينية والعربية والهندية بشكل واسع النطاق، ولكن هذه الدراسة كانت إلى حد كبير من زاوية مكانة هذه المؤلفات في التاريخ الثقافي والأدبي لهذه الشعوب نفسها³، ولكن المعالجة العلمية التي تربط الكتابات المتفردة في هذا الميدان بالنظرية اللغوية الحالية وتطبيقاتها، وسف تسد ثغرة واسعة في فهمنا لتاريخ العالم الثقافي⁴.

¹ - د. عبد السلام المسدي، "التفكير اللساني في الحضارة العربية"، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، كط 3، 2009، ص 11.

² - المرجع نفسه، ص 11.

³ - ر.ه. روبرت ترجمة د. أحمد عوض، "موجز تاريخ علم اللغة في الغرب"، ص 12.

⁴ - نفسه، ص 12.

وبناء على ما تقدم فلقد كثرت الآيات والروايات التي تتحدث على مكانة التبليغ والدعوة وأهميتها في حياة الأمم والشعوب على طول التاريخ، وذلك نظرا لارتباطهما بمختلف مفاصل المجتمع البشري ومستوياته ومتطلباته الأخروية والدينية.

الفصل الثاني

اللغة العربية

1- أصل العرب :

1-1- مفهوم كلمة العرب :

العرب هم جيل من الناس نزلت عليه الشمس منذ القدم في هذه الجزيرة التي كانوا قطعة انزلت من السماء مع الإنسان الأول، فلا يزال أهلها أبعد الناس منزعا في الحرية الطبيعية وأسندهم منافسة في مغالبة الهمم، كأنما ذلك فيهم ميراث الطبيعة الأولى، فهم منه يبتون وعليه يموتون، وقد أصبحت بقاياهم الضاربة في بوادي العربية مصر وسورية لهذا العمل...¹.

ولا جرم كانوا أهل هذه اللغة المعجزة التي ناسبهم بأوضاعها في معاني التركيب، حتى كأنما كتب لها أن تكون دين الألسنة الفطري، لتصبح بعد ذلك أن تكون لسان دين الفطرة.²

1-2- أصل العرب :

العرب أحد الشعوب السامية، نسبة إلى سام بن نوح، وهي الأمم التي ذكرت الثوراة أنها من نسله، وتسمى لغاتها باللغات السامية أيضا، كالعربية والعبرانية، والسريانية، والحبشية، والآرامية وغيرها وهي تسمية استحدثتها بعض المتأخرين من علماء اللغات.³

¹ - مصطفى صادق الرافعي، "تاريخ آداب العرب"، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 2، 2005، ص 32.

² - المرجع نفسه، ص 32.

³ - نفسه، ص 35.

1-3- موقع العرب :

العرب لغة : الصحاري والقفار، والأرض المجذبة التي لا ماء فيها ولا نبات، وقد أطلق هذا اللفظ منذ أقدم العصور على جزيرة العرب، كما أطلق على قوم قطنوا تلك الأرض، واتخذوها موطناً لهم¹، وجزيرة العرب يحدها غرباً البحر الأحمر وشبه جزيرة سيناء، وشرقاً الخليج العربي وجزء كبير من بلاد العراق الجنوبية، وجنوباً بحر العرب الذي هو امتداد لبحر الهند، وشمال بلاد الشام وجزء من بلاد العراق على اختلاف في بعض هذه الحدود، وتقدر مساحتها ما بين مليون ميل مربع إلى مليون وثلاثمائة ألف ميل مربع.

والجزيرة لها أهمية بالغة من حيث موقعها الطبيعي والجغرافي، فأما باعتبار وضعها الداخلي فهي محاطة بالصحاري والرمال من كل جانب، ومن أجل هذا الوضع صارت الجزيرة حصناً منيعاً لا يسمح للأجانب أن يحتلوها وييسطوا عليها وسيطرتهم ونفوذهم ولذلك نرى سكان الجزيرة أحراراً في جميع الشؤون منذ أقدم العصور. أما بالنسبة للخارج فأنها تقع بين القارات المعروفة في العالم القديم، وتلتقي بها براً وبحراً².

ولأجل هذا الوضع الجغرافي كان شمال الجزيرة وجنوبها مهبطاً للأمم ومركزاً للتبادل التجاري والثقافة، والديانة والفنون.

وقد اختلف العلماء في أصل القبائل التي تسكن الآن شبه جزيرة العرب، ويرى جميع المؤرخين من العرب أن القبائل الأصلية في بلاد العرب الشمالية في سلالة إسماعيل، أما العرب

¹ - صفى الرحمن المبار الكفوري، "الرحيق المختوم بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، دار المعارف، الدار البيضاء، المغرب، ب ط، 1423هـ - 2002م، ص 09.

² - نفسه، ص 09.

في الجنوب الذي سكنوا الأراضي الجبلية عدة قرون قبل ظهور أبناء إسماعيل على مسرح التاريخ، فيعتقد بعض العلماء أنهم من سلالة قحطان¹.

فلا ريب في أنهم من الساميين كأهل الشمال ويظن آخرون أن السكان الأولين لبلاد العرب الجنوبية كانوا قاسين أو حاميين، ويعتقد بعض المستشرقين من الألمان أن أبناء قحطان قد امتزجوا بأبناء قريش أيام العرب القدماء، وكونوا شعبا واحدا².

ويبدو لنا أن الشعب العربي قد تكوّن قبل ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم بمدة ليست بالقصيرة. ويقسم العرب المحدثون أنفسهم قسمين : أهل البدو، وأهل الحضرة، أو بعبارة أخرى : أهل الخيام وأهل الحيطان. ولكن هذا التقسيم لا يكفي، وقد قسمهم "إديسون.ل. كلارك" في كتابه "العرب والترك" خمس طبقات، مبتدئا بالدرجة الأولى من السلم هكذا³:

- 1- العرب الذين استقروا وصاروا يشتغلون بالزراعة، ولو أن كثيرا منهم لا يزالون يسكنون الخيام وقد حرمت هذه الطبقة من العرب حقوقها الوطنية، واحتقرهم إخوانهم البدو، لتغيير طريقتهم وأسلوبهم في المعيشة والحياة.
- 2- القبائل الرحالة التي تجول حول البلاد المسكونة، ويختلطون بسكانها، وقد فقد كثيرا من أخلاقهم العربية.
- 3- الطبقة الثالثة طبقة العرب الذين يسكنون المدن والقرى التركية، وقد أضعوا لغتهم ونسوا أخلاقهم العربية.

¹ - عطية الأبراشي، "تاريخ الأدب السامية"، (بحث مستفيض عن اللغة العربية وخصائصها وثروتها وأسرار جمالها)، دار الحداثة، بيروت، لبنان، ط 2، 1984، ص 86.

² - نفسه، ص 88.

³ - نفسه، ص 86.

4- الطبعة الرابعة سكان المدن والقرى من بلاد العرب خاصة، وقد صاروا في عزلة عن بقية العالم.

5- القبائل البدوية العظيمة التي تسكن بلاد العرب، ولا يزالوا محافظة على الأخلاق العربية والعادات البدوية، والملابس والنظم التي ورثوها عن آبائهم الأولين، ولا شك أن الطبقة الأخيرة من العرب تمثل البدو الحقيقيين في كل ناحية من النواحي.

4-1- أقسام العرب :

وأما أقوام العرب فقد قسمها المؤرخون إلى ثلاثة أقسام بحسب السلالات التي ينحدرون منها¹:

1- العرب البائدة : وهم العرب القدامى الذين لم يمكن الحصول على تفاصيل

كافية عن تاريخهم مثل : عاد وثمود وطسم وجديس وعملاق وسواها.

2- العرب العاربة : وهم العرب المنحدرة من صلب يعرب بن يشجب بن

قحطان، وتسمى بالعرب القحطانية.

3- العرب المستعربة : وهي العرب المنحدرة من صلب إسماعيل وتسمى بالعرب

العدنانية.

أما العرب العاربة، وهي شعب قحطان فمهدّها بلاد اليمن، وقد تشعبت قبائلها

وبطونها فاشتهرت منها قبيلتان² :

أ- حمير، وأشهر بطونها زيد المجهور وقضاعة، والسكاسك.

¹ - صفى الرحمن المبار كفوري، "الرحيق المختوم"، ص 11

² - نفسه، ص 10.

ب- كهلان، وأشهر بطونها همدان، وأثمار وطيب، ومذحج، وكندة، ولخم، وجدام، والأرد، الأوس، والخزرج، وأولاد جفنة ملوك الشام.

وهاجرت بطون طهلان عن اليمن وانتشرت في أنحاء الجزيرة، وكانت هجرة معظمهم قبيل سيل العرم حين فشلت تجارتهم، لضغط الرومان وسيطرتهم على طريق التجارة البحرية وإفاسدهم طريق البر بعد احتلالهم بلاد مصر والشام.

وأما العرب المستعربة فأصل جدهم الأعلى وهو سيدنا إبراهيم عليه السلام من بلاد العراق، ومن بلدة يقال لها "آر" على الشاطئ الغربي من نهر الفرات، بالقرب من الكوفة، وقد جاءت الحرفيات والتنقيبات بتفاصيل واسعة عن هذه البلدة وعن أسرة إبراهيم عليه السلام، وعن الأحوال الدينية والاجتماعية في تلك البلاد¹.

ومعلوم أن إبراهيم عليه السلام هاجر منها إلى حاران أو حران، ومنها إلى فلسطين، فاتخذها قاعدة لدعوته وكانت له جولات في أرجاء هذه البلاد وغيرها.

وقد استعمل العلماء الأديبون قرب نهاية القرن الثامن عشر لفظ "الساميين" اسماً مشتركاً لتلك المجموعة من الشعوب التي ينتمي إليها الأراميون والآشوريون والعبريون، التي تتضح قرابتها من لغاتها دون لبس أو إبهام، وبعد هذا أسند من الاسم إلى بقية الفصيلة السامية بعد أن كشف علم الآثار عن شعوب أخرى لها صفات مماثلة "وهم البابليون والفنقيون والعرب والأحباش"².

¹ - صفى الرحمن المبار الكفوري، "الرحيق المختوم بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، ص 11.

² - عبد الغفار حامد هلال، "أصل العرب ولغتهم، بين الحقائق والأباطيل"، دار الفكر العربي، ملتزم الطبع والنشر، القاهرة، 1417هـ - 1997م، ص 2-1.

ويدور نقاش وجدل حول الموطن الأصلي للساميين الذي نزل فيه أبناء سام ابن نوح بعد نزوحهم من الموطن الأصلي للبشرية كلها.

والأمر الذي لا شك فيه، ذهب فريق إلى الموطن الأصلي للساميين كان بلاد أرمينية* بالغرب من حدود كردستان وهو الموطن الأصلي للشعبين السامي والآري معا، ثم انحدروا منه إلى المناطق الأخرى بأرض الرافدين وسوريا وفلسطين والجزيرة العربية على حدما ذهب إليه د. لويس عوض.

وأشهر نظرية قسمت اللغات على هذه الأسس هي نظرية مكس مولر (Maxmuler) التي ترجع جميع اللغات الإنسانية إلى ثلاث فصائل هي :

الفصيصة الهندية - الأروبية، والفصيصة السامية** - الحامية، والفصيصة الطورانية، والذي يعنينا من هذه الفصائل هو الفصيصة الثانية وهي : السامية - الحامية لأن اللغة العربية تنتسب إلى أحد شقيها أو قسميها وهو اللغات السامية¹.

* - أرمينية : قصد بعض القائلين بذلك من أترمينية شرقي آسيا الصغرى والأقليم الذي يقع بين طوروس والغرات، ومن هؤلاء بيترز Petess.

¹ - د. سلمان بن سالم بن رجاء السليمي، "إبدال الحروف في اللهجات العربية، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، ط 1، 1415هـ - 1990م، ص 18.

** - مصطلح "السامية" تسمية ظهر في مسرح الأبحاث للمرة الأولى عام 1781 في دراسات المستشرقين، حيث قال المستشرق شلوزر : "من المتوسط إلى الفرات ومن بلاد ما بين النهرين إلى شبه الجزيرة العربية تسود، كما هو معروف لغة واحدة، وعليه فالسوريون والبابليون والعبريون والعرب كانوا أمة واحدة. والفينيقيون الحاميون أيضا يتكلمون بهذه اللغة التي أود أن أدعوها "سامية".

أما الحيز الفضائي لهذه الشعوب فقد حدده العلماء "بجبال آسيا الصغرى وجبال إيران والخليج الفارسي والمحيط الهندي والبحر الأحمر والبحر المتوسط إلى ميناء اسكندرون. من القاموس اللساني أ. د عبد الجليل مرتاض، ص 60.

2-1- أهم فرع اللغة السامية¹:

- 1- اللغة الأكادية التي هاجر أصحابها من الجزيرة العربية إلى العراق حوالي سنة 3500 ق.م.
- 2- اللغة الكنعانية التي يعتقد أن ذويها نزحوا من الجزيرة العربية أيضا زهاء سنة 2500 ق.م حيث استوطنوا بلاد الشام.
- 3- اللغة العبرية، ويراد بأصحابها جملة الشعوب التي تنتسب إلى إبراهيم الخليل، وهي قبائل كانت تتجول في صحراء سيناء وشمال الحجاز إلى أن استولوا على فلسطين حوالي نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد.
- 4- اللغة الآرامية وأصحابها هاجروا كذلك من الجزيرة العربية صعودا نحو الشام حوالي القرن الخامس عشر قبل الميلاد.

2- تعريف اللغات السامية :

ويطلق اسم اللغات السامية على : اللغة الأكادية (البابلية والأستورية)، والكنعانية (الأجريتية والفينيقية والعبرية) والآرامية، والعربية، واليمينية القديمة والحبشية. وأول من استخدم هذا الوصف على إطلاقه على هذه اللغات العالمان الألمانيان شلونزر (Sehlizer) وإيكهورن (Eichhern) في أواخر القرن الثامن عشر.

وقد أخذ هذا الوصف من جدول تقسيم الشعوب الموجودة في التوراة ذلك الجدول الذي يرجع كل الشعوب التي عمرت الأرض بعد طوفان نوح عليه السلام إلى أولاده الثلاثة : سام، وحام، ويافث غير أنه يلاحظ على جدول تقسيم الشعوب في التوراة أنه قد بنى على اعتبارات سياسية وحدود جغرافية.

¹ - عبد الجليل مرتاض، القاموس الوجيز في المصطلح اللساني، ص 354

وفي نهاية هذا المطاف معظم المؤرخين والباحثين على أن الجزيرة العربية كانت المهده الأول للساميين ويؤكد ذلك بأن الجزيرة العربية كانت في عصور سحيقة خصبة تجري فيها الأنهار وتجد الزراعة ويكثر الرعي وكانت صالحة للصيد، والقنص، ويمكنها أن تفي بحاجات الآلاف المؤلفه من البشر¹.

2-2- تاريخ اللغة العربية :

اللغة العربية ذات تاريخ طويل، ترتبط بداياته بتكون العربية في إطار اللغات الأفروآسيوية، ويمضي تاريخها من الجاهلية إلى عصر الحضارة الإسلامية لتصبح أهم لغات الحضارة على مدى عدة قرون، ثم كان على العربية بعد مرحلة من الانحسار أن تعبر عن قضايا الحضارة الحديثة إلى أن أصبحت من أهم اللغات في العالم المعاصر².

2-3- انحدارها من الساميات :

اللغة العربية احدى اللغات السامية، واللغات السامية فرع من أسرة لغوية كبيرة، هي الأسرة الأفروآسيوية، إن اللغويين المحدثين يقسمون اللغات المختلفة إلى أسر، فأسرة اللغات الهندية الأوروبية تضم عددا كبيرا من اللغات الهندية والإيرانية والأوروبية، أما الأسرة التي تنتمي إليها العربية فهي الأسرة الأفروآسيوية، وتضم عدة أفرع بكل منها مجموعة لغات³.

¹ - د. عبد الغفار حامد هلال، "أصل العرب ولغتهم"، ص 15.

² - د. محمود فهمي حجازي، ود. النعمات القاضي، وعبد الحميد السيوري ود. عبد الحكيم راضي في "العربية نصوص ودراسات" القاهرة، 1979، ص 05.

³ - المرجع نفسه، ص 05.

وبناء على ما تقدم، فاللغات السامية هي فرع كذلك من الأسرة الأفروآسيوية، ويضم هذا الفرع إلى جانب العربية عدد من اللغات التي كان لها شأن في التاريخ الحضاري للشرق القديم والوسيط.

وهي أخت اللغات التي كان يتكلم بها الكلدانيون والأشوريون في العراق والسريانيون والفينيقيون في الشام والحبشة فيما وراء الساحل الغربي من البحر الأحمر -بحر القلزم، ولها صلة عظيمة جدا بلغة قدماء المصريين.

وكانت هذه اللغات في العصور الأولى متشابهة بحيث يعتبرن كلهن لهجات لغة واحدة: "هي اللغة الأولى القديمة التي انصهرت في هذه اللغات من بعد"¹.

"ومن هنا استطاع سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام أن ينتقل بين العراق والشام ومصر والحجاز وأن يتفاهم مع جميع سكان تلك الأقطار، إذ لم يكن يومئذ يبين لغاتها من فرق إلا كما يوجد الآن بين لهجات العربية في المغرب ومصر والشام وسائر هذه البلاد".

2-4- اللغة العربية قبل الإسلام :

كانت العربية قبل الإسلام لغة محلية، يقتصر انتشارها على النصف الشمالي من الجزيرة العربية، ولذلك تسمى باسم اللغة العربية الشمالية، وقد وصلت إلينا العربية الشمالية في نقوش قديمة، وعرفناها أيضا في الشعر الجاهلي، ثم في القرآن الكريم وحفظت لنا كتب اللغة ملامح من لهجاتها القديمة².

¹ - أنور الجندي، "الفصحى لغة القرآن" الموسوعة الإسلامية العربية، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت-لبنان، 1402هـ - 1982م، ص 22.

² - د. محمود فهمي حجازي، العربية نصوص ودراسات، ص 7.

يبين لنا د. عبد الغفار حامد هلال في كتابه أصل العرب ولغتهم بين الحقائق الأباطيل، حيث استنتج في بحثه الطويل في فقه اللغة العربية إلى أن اللغة العربية هي إحدى فروع الشجرة التي خرجت منها اللغات الهندية الأوروبية - فالعرب موجة متأخرة جدا من الموجات التي نزلت شبه الجزيرة من طريق بادية الشام حاملة معها لغتها القوقازية المتفرعة من المجموعة الهندية الأوروبية، ويرى أن ينسحب هذا الحكم على بقية اللغات السامية أخوات العربية¹، فيقول :

"وإذا اعتبرنا اللغة العربية نموذجا لبقية اللغات السامية خرجنا بأن ما يسمونه مجموعة اللغات السامية هو أحد الفروع الرئيسية التي خرجت من هذه الشجرة، ثم تفرعت إلى فروع ثانوية كانت العربية أحدها"².

ويرجع ذلك الاهتمام البالغ باللغة العربية - في حقيقة الأمر - إلى تلك المكانة التي صارت إليها بعد ظهور الإسلام، إذ أنها صارت لغة القرآن الكريم والحديث الشريف، بل لغة الدين بوجه عام، وصار اهتمام العلماء بها عن رغبة قوية في معرفة أسرار تلك اللغة التي نزل بها القرآن، فسعوا إلى حفظ تراثها اللغوي والدفاع عنه، وكان الناس على عهد الرسول يسألون فيما صعب عليهم فهمه من ألفاظ القرآن، ولعد وفاته كانوا يرجعون إلى أهل العلم بحثا عن تفسير كلمة أوفهم معنى مستغلق، وكانوا لا يتحرجون من التنقيب في الشعر حتى يعبروا على ضالتهم ويصلوا إلى هدفهم، وتنقل المصادر عن ابن عباس، ترجمان القرآن، عبارات تؤكد هذا النهج، إذ ورد فيها قوله : "الشعر ديوان العرب، فأذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله رجعنا إلى الشعر فألتمسنا إلى ذلك فيه.

¹ - د. عبد الغفار حامد هلال، "أصل العرب ولغتهم بين الحقائق والأباطيل، ص 08-09.

² - نفسه، ص 09.

وانطلاقاً من هذا، فالعربية ليست كما يدعي بعض اللغويين العرب، لغة متميزة تنفرد بخصائصها لا توجد في لغات أخرى، ومن جهة أخرى ومن جهة أخرى لا يمكن وصفها بالاعتماد على النظريات "العربية" التي بنيت لوصف لغات أوروبية، بل العربية لغة كسائر اللغات البشرية¹.

وضمن هذا الاهتمام، فاللغة العربية بصفقتها "لغة" تنتمي إلى مجموعة اللغات الطبيعية وتشارك معها في عدد من الخصائص (الصوتية والتركييبية والدلالية) ومن البديهي تضبطها قيود ومبادئ تضبط غيرها من اللغات.

ونذكر ههنا أيضاً أنها بصفقتها "عربية" تختص بمجموعة من الخصائص التي لا توجد في كل اللغات، وإنما توجد في بعض اللغات. والأمر المؤكد هو كونها "عربية" لا يعني أنها تنفرد بخصائص لا توجد في أية لغة من اللغات، ومما لا شك فيه هو لا نكاد نجد ظاهرة في اللغة العربية إلا ونجد لها مثيلاً في لغة أو لغات أخرى، هند أوربية كانت أو غير هند أوربية².

فالإسلام هو شرعة هذه الأمة ومنهاجها كما أوحاه الله إلى رسول المبعوث إليهم رحمة منه وفضلاً، يأخذون ما آتاهم، وينتهون عما نهاهم، يتخذون وحيه المجموع في كتابهم إماماً، عرفوا وجه الحكمة فيما يأخذون وما يدعون أو لم يعرفوه، إيماناً وتسليماً "وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله"³.

¹ - عبد القادر الفاسي الفهري، "اللسانيات واللغة العربية"، (نماذج تركيبية ودلالية)، دار توبقال للنشر، ط 4، 2000، ص 56.

² - نفسه، ص 56.

³ - سورة الأنعام : الآية 153.

3- تعريف الحضارة لغة واصطلاحاً :

أما الحضارة (بفتح الحاء وكسرهما) فهي -لغة- الأقامة في الحضرة، والحضر خلاف البدو، وبهذا المعنى استعملها القطامي الشاعر في قوله، مفتخراً ببداوة قومه، مستخفاً بساكني القرى والمدن¹ :

فمن تكن الحضارة أعجبتة

فأي رجال بادية ترانا ! ؟.

والمعنى الاصطلاحي للحضارة، هي على كل ما ينشئه الإنسان في كل ما يتصل بمختلف جوانب نشاطه ونواحيه، عقلاً فخلقاً، مادة وروحاً، دنيا وديناً.

فهي - إذا في إطلاقها وعمومها - قصة الإنسان في كل ما أنجزه على اختلاف العصور وتقلب الأزمان، وما صورت به علائقه بالكون وما وراءه، وهي في تخصيصها بجامعة من الناس أو أمة من الأمم - فهي تعد تراث هذه الأمة أو الجماعة على وجه الخصوص، الذي يميزها من غيرها من الجماعات والأمم². وفي ظل هذا الاهتمام هي نظير المدينة، التي هي في أصل الاستعمال سكني المدن، والتي تقابل الكلمة الأوربية (Civilisation).

وبناء على ما تقدم، فالحضارة هي أحوال عادية زائدة على الضروري من أحوال العمران، زيادو تتفاوت بتفاوت الرفه وتفاوت الأمم، في القلة والكثرة تفاوتاً غير منحصر، ويقع فيها عند كثرة التفنن في أنواعها وأصنافها فتكون بمنزلة الضائع، ويحتاج كل صنف منها إلى القومة عليه، والممرة فيه³، وبقدر ما تزيد من أصنافها تزيد أهل صناعتها، ويتلون ذلك

¹ - د. محمد محمد حسين، "الأسلام والحضارة الغربية"، دار الفرقان، بيروت، ب ط، ب ت، ص 05.

² - نفسه، ص 06.

³ - تاريخ العلامة ابن خلدون "ميج الأول المقدمة"، ص 656.

الجيل بها، ومتى اتصلت الأيام وتعاقبت تلك الصناعات، حذق أولئك الصناع في صناعتهم، ومهروا في معرفتها. وبناء على ذلك، فالأعصار بطولها وانفساخ أمدها وتكرر أمثالها تزيد استحكاما ورسوخا... وهذه هي الحضارة¹.

ويمكن القول، حينئذ أن الحضارة هي تفنن في الترف وإحكام الصانع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله².

3-1- مفهوم الحضارة في الإسلام :

ولقد عمد الإسلام إلى إقامة مفهوم كامل للحضارة : قوامه الحركة المادية والمعنوية في نفس الوقت وحياطة التقدم المادي بالأخلاق والتقوى وتوجهه إلى صالح الإنسانية وحماية المجتمعات من الفساد والانحراف.

فالحضارة التي أنشأها الإسلام جماع الروحية والمادية، والعقل والقلب، والدنيا والآخرة، وقد رسمت حضارة الإسلام منهجا ثابتا قوامه النظرة الإنسانية وطابع التوحيد والعدل والإخاء واستصفت كل ما كان في تراث الأمم والحضارات القديمة فصهرت الجوانب الصالحة منه في بوتقتها، وطلت تقود العالم كله بسلاح الخلق والتقوى والرحمة والإخاء، ولم تستطع المؤثرات الطارئة أن تغير من خصائص الإسلام وقيمه الإسلامية، وهذا الترابط بين التقدم وبين المعنويات والماديات والمحاذير القائمة كالحديد والأخلاق والضوابط دون أن يفقد التقدم أخلاقيته أو تقواه، هو وحده نقطة الخلاف بين الحضارة في مفهوم الإسلام والحضارة في

¹ - تاريخ العلامة ابن خلدون ، المرجع السابق، ص 656.

² - نفسه، ص 304.

مفهوم الغرب، وهذه هي نقطة الاختلاف بين الحضارة في مفهوم الإسلام والحضارة في مفهوم الغرب¹.

ويمكن القول حينئذ، أن الحضارة الغربية وريثة الأصول الإسلامية لم تلبث أن ارتدت إلى أصولها اليونانية الوثنية والرومانية العبودية، ووصلت بين الروح والمادة، والعقل والقلب والدنيا والآخرة وأعلت الجانب المادي وحده أعلاء الحاملا واعتبره الأساس الوحيد لبناء الفكر والمجتمع، وانتقصت كل ما يتصل بالدين والأخلاق والمعنويات والقيم الروحية وحررت الحضارة من ضوابطها وحدودها وهدفها الأصيل الذي يرمي إلى إسعاد البشرية عامة وليس إسعاد فئة خاصة أو أمة خاصة أو عنصر خاص².

وبناء على ما أو مانا إليه أنفا، فقد تتمثل مقومات الحضارة الإسلامية في عناصر أساسية أهمها :

قامت الحضارة الإسلامية على أساس مفهوم الإسلام، وقد أمدتها القرآن بالروح والهدف ومؤشرات الحركة وضوابط العمل وأعطائها القوة والتماسك، والموازنة بين مقاصد الروح ومطالب البدن والبعد عن الزهد والترف معا والتحرر من الجمود والتحلل معا، والجدير بالملاحظة فقد اتسمت الحضارة الإسلامية بالسماحة والإنسانية والعالمية فقد حرصت على حماية حرية غير المسلمين واحترمت شعائهم وفتحت أمامهم أبواب العمل، وقد تمثلت مفهومها أساسيا هو طابعها الأصيل : هو الجمع بين الدنيا والآخرة وبناء الحياة والعمل فيها

¹ - أنور الجندي، "الحضارة في مفهوم الإسلام" دار الأنصار، لبنان، ب ط، ب ت، ص 6-7.

² - المرجع نفسه، ص 08.

على أساس من الأخلاق والتقوى والإخاء الإنساني والرحمة¹، ولقد ربطت العالم بالدين والسياسة بالأخلاق. كما اتسمت بالبساطة والبعد عم التعقيد والصراع.

فالإسلام عبادة ومعاملة، وهو نظام مجتمع ومنهج حياة، فيه رحابة التقبل لكل جديد متى كان صالحا، والتفتح على آفاق الأمم والحضارات يأخذ منها ويدع ويعطيها أيضا². ومن هنا نستنتج أن حضارة الإسلام كانت حضارة جامعة وحضارة وسطية ولها أساس ثابت مستقبل للمتغيرات، فلقد كرمت العلم وشرفت العقل ولم تنس تكامل القلب والعقل، واتسمت بطابعها المميز الذي لا ينصهر في الحضارات أو العقاد، وكذلك حافظت على مقوماتها الأصلية.

3-2- اللغة العربية والحضارة :

إن الدور الحضاري الذي قامت به اللغة العربية، كما أن هناك كتبا تناولت هذا الموضوع بشيء من الدقة والأصالة، والشرح وبالْحجة اليقين... إنما الذي يجب أن يذكر هو دور اللغة العربية التاريخي الذي قامت به في إفريقيا وخارج الحدود العربية وغير إفريقيا باعتبارها لغة الدين الذي دانت به تلك الحكومات والممالك التي قامت في كثير من البلدان ولاسيما في إفريقيا والامبراطوريات كإمبراطورية مالي وغانا، ومملكة سانغاي، وقد كانت اللغة العربية هي لغة الإدارة والتعليم فيها³، ومنذ ذلك الوقت وبدخول الإسلام إلى هذه الأماكن أصبحت تدرس في معظم أنحاء إفريقيا والعالم الإسلامي حيث يعيش أقوام غيرنا ناطقين بها ولكنهم أقبلوا على تعلمها نظرا لدورها الحضاري والديني...⁴، ومع هذا فقد أدركت إفريقيا

¹ - أنور الجندي، "الحضارة في مفهوم الإسلام"، ص 08.

² - نفسه، ص 09.

³ - محمد وطاس، أهمية الوسائل التعليمية في عملية التعلم عامة وفي تعليم اللغة العربية للأجانب خاصة، ص 266.

⁴ - نفسه، ص 266.

أهمية اللغة العربية كأداة اتصال بينها وبين العالم كله ما دامت قد أصبحت لغة رسمية غي هيئة الأمم المتحدة وما يتبعها من منظمات دولية أخرى.

والجدير بالذكر، أن اللغة العربية تمتاز بتراتها الحضاري وبكتابتها التي تزخر بآلاف المخطوطات والكتب قديما وحديثا، كما أنها سجل لأرقى الحضارات التي عرفتها البشرية في السابق، وكما هو معلوم وشائع أصبحت اليوم لغة الدراسة والتعليم في الجامعات والكليات في أكثر فروع المعرفة، في حين أننا لا نجد لغة واحدة إفريقية يدرس بها في جامعاتها ما عدا اللغة العربية (30) التي أصبحت لغة الدراسة في الجامعات العربية¹.

3-3- اللغة العربية وصلتها بالحضارات والثقافات الإنسانية :

إذا كانت اللغة وسيلتنا لأدراك العالم، فإن المعادلة تنقلب هنا ليصبح إدراكنا للعالم هو ما يتحكم بشكل أو بآخر في قضايا لغتنا، ونظرتنا إليها، ويحدد أفق انتظارنا، فاللغة العربية ترتبط بكيان المتلقى العربي ارتباطا لا يضاهاه، لأنه نابع من اعتبارات دينية، وحضارية، ونفسية... لأن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم المعجزة الربانية الخالدة التي شرف الله بها أمة العرب، وكرمها لما أنزل آخر كتاب سماوي وهو كتاب ناسخ للكتب السماوية السابقة بلسانها. إن التشريف الذي حظيت به اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم، جعل قديستها من قدسية القرآن ومكانتها من مكانته، فربط العرب بين اللسان

¹ - محمد وطاس، أهمية الوسائل التعليمية في عملية التعلم عامة وفي تعليم اللغة العربية للأجانب خاصة، ص 267، 268.

العربي والأعمال الإيمانية¹، وهذا الفرض بالضرورة الحفاظ على هذه اللغة، والاعتناء بها لأن حب العربية من حب القرآن وحبهما من حب الله² :

أ- لغة القرآن الكريم : تكفل الله سبحانه باللغة العربية وبرعايتها وحفظها، فكان في حفظ القرآن حفظ للغة العربية، وكل من "يؤمن بأن القرآن حقيقة خالدة مجبر على أن يؤمن بأن لغة القرآن - وهي العربية الفصحى - هي أيضا حقيقة خالدة، لأن خلودها مرتبط بخلوده وبقائها ببقائه"³، ويشهد على ذلك كون العربية هي اللغة "الوحيدة بين المجموعة السامية التي تثبت على مر العصور في حين لنم تثبت تلك اللغات"⁴ التي عاصرتها أو تكونت بعدها.

ب- رمز العروبة والإسلام : فتعلم اللغة العربية أمر واجب على كل مسلم إذ "لا عروبة ولا إسلام لمن لا يحسن اللغة العربية يوقرها من أبناء العرب، وإذا حيت اللغة العربية حي معها الاعتزاز بالشخصية العربية، والتعلق بكتب التراث،

¹ - حافظ إسماعيل علوي، "اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة"، (دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته) دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، طرابلس، ط 1، 2009، ص 73-74. (نقلا عن الإمام المطلي محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، تحقيق وشرح أحمد شاكر، ص 50) حيث يقول الإمام الشافعي في هذا الشأن : "على كل مسلم أن يتعلم لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يشهد به أن لا إله إلا الله، وأن محمد عبده ورسوله، وتيلو به كتاب الله، وينطق بالذكر فيها افترض عليه من التكبير، وأمم به من التسبيح والتشهد وغير ذلك".

² - أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، ص 02. (حيث يقول في هذا الشأن : "إن من أحب الله أحب رسوله المصطفى، ومن أحب الرسول أحب العرب، ومن أحب العرب أحب اللغة العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العرب والعجم، ومن أحب العربية عني بما وثأب عليها وصرف عليها همته".

³ - عبد العلي الودغيري، "اللغة والدين والهوية"، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1420هـ-2000م، ص 20.

⁴ - إبراهيم السامرائي، "اللغة والحضارة" المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 1977، ص 149.

وعلى رأسها القرآن والحديث وسير الأبطال والصالحين¹، ويدل هذا الارتباط بين العروبة والإسلام من أروع ما تفتقت عنه عبقرية الإسلام وهو وجه من وجوه إعجازه.

إن هذا الارتباط مكين بين لغة العرب وحضارتهم، وكل منهما مبني على الآخر، وبناءً عليه فإن "الحضارة لا تتأني لأحد إلا عن طريق اللغة... الحضارة في نوع من التعريف الموجز، هي لغة وعن طريق اللغة يكون التفكير كله، ويكون التفاهم كله، ويكون التواصل كله، ويكون التفاعل بين العقول والأفكار، اللغة هي أضخم عملية حضارية، تنشأ الحضارة وتمثلها وتعبر عنها، وهي ذات رصيد حضاري لا حدود له، ولهذا فإن نمو لغتنا وازدهارها وقيامها بدورها الفكري هو معلم من معالم حياتنا الحاضرة، وطريق أساسي من طرق بناء المستقبل"².

فحضارة العرب في كليتها مبنية على الكلمة وسحرها وبيائها، أو لنقل بالكلمة الواحدة إنها حضارة لغو، لغو لا قدح فيه، فلما كانت العربية شاملة لكل ميادين الحياة أخذت اللغة أيضاً هذا الطابع الشمولي وهي ميزة أخرى لا تعدلها فيها لغات أخرى وإلى هذا يذهب صاحب كتاب دفاعاً عن العربية، حيث يقول: "أما الحضارة العربية - الإسلامية التي تحملها وتحويها اللغة العربية فإنها عنيت بنواحي الحياة كلها بأسس معاني الإنسانية، فهي أولاً حضارية روحية وأخلاقية. ثم إنها حضارة تشريع، ثم إنها حضارة فلسفة وفكر متفتح، ثم إنها حضارة علمية درست الطبيعة والإنسان دراسة تجريبية، ثم

¹ - محمد محمد حسين، "مقالات في الآداب واللغة"، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م، ص 13.

² - شكري فيصل، "فضايا اللغة العربية، بحث في الإطار العالم للموضوع"، مجلة اللسان العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريف، العدد 26، السنة 1407هـ - 1987، ص 01.

إنها حضارة آداب وفنون جميلة، ثم إنها حضارة صناعة وتجارة. فاللغة العربية تحمل ثروة من الثقافة الإنسانية لا تنضب"¹.

وبناء على ما أومأنا إليه يمكن القول : إن اللغة البشرية هي أساس الحضارة الإنسانية، فهي الحامل المادي لهذه الحضارة والوسيلة الفعالة التي تربط بين الأجيال المتعاقبة، إن بوساطتها تنتقل الخبرات والإنجازات العلمية والثقافية والحضارية بشكل عام، فهي من ثمة الوسيلة التي تجعل الإنسان لا ينقطع عن الحياة بانتهاء أجله، وذلك لأن اللغة تعينه على الامتداد تاريخياً ليسهم في تعميق فكر الأجيال اللاحقة، وتشكيل وعيها الثقافي².

والثقافة العربية الإسلامية عربية في لغتها، إسلامية في جذورها، إنسانية في أهدافها، وهي شأن كل ثقافة تتكون من مقومات أساس فكرية وروحية أهمها العقيدة وهي الإسلام، واللغة العربية وآدابها والتاريخ والتراث ووحدة العقلية والمزاج النفسي، وقد تأكد أنه لا يمكن لأية ثقافة من الثقافات أن تنمو إلا إذا كانت ذات صلة بدين من الأديان، فالدين هو الذي يكسب الحياة الاجتماعية معناها، ويمدها بالأطار الذي تصوغ فيه اتجاهاتها وأمالها³.

وبناء على ما تقدم، فاللغة العربية مقوم أساس من مقومات الثقافة العربية الإسلامية، ذلك أن العربية ليست لغة وأداة فحسب، ولكنها لغة فكر أساساً، وحتى الشعوب والأمم التي انضوت تحت لواء الإسلام، وإن كانت احتفظت بلغاتها الوطنية، فإنها اتخذت من اللغة

¹ - فاضل الجمالي، "دفاعاً عن العربية" نشر وتوزيع مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس، 1996، ص 23.

² - أحمد حساني، "دراسات في اللسانيات التطبيقية"، حقل تعليمية اللغات، ص 72.

³ - د. عبد العزيز بن عثمان التويجري، الثقافة العربية والثقافات الأخرى، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - ط 2، 1436هـ/ 2015م، ص 15.

العربية وسيلة للارتقاء الثقافي والفكري، وأدخلت الحروف العربية إلى لغاتها فصارت تكتب بها¹.

والثقافة العربية الإسلامية ليست مجردة، فنحن لا نكتفي فيها بالبحث عن أصول الأشياء ولا عن حقائقها وحدها، ولا نبحت فيها بحثا مجردا، لأن الثقافة جزء من الإنسان، فإذا كان العقل يغذيها، فأفها لا تتبع من العقل وحده، وإنما تتبع في النفس البشرية، وتنبع في الأحاسيس وتنبع في الذوق، وتنبع أكثر من ذلك في الوجدان، بل هي أيضا تتصل بالجانب الأساس الذي ميز الله به الإنسان عن الحيوان، ألا وهو الضمير إن الثقافة تتصل بالضمير والضمير أعمق وأروع من العقل.

ومن هنا نستنتج أن الضمير الإسلامي هو منبع الثقافة العربية الإسلامية، ولذلك فهي ثقافة الوجدان الإنساني. وانطلاقا من هذا التوجه، فيمكن القول على أن الثقافة العربية، هي ثقافة الأمة العربي التي هي أمة الإسلام الذي منه اكتسبت صبغتها، وحملت صفتها، واستمدت طبيعتها، فلم يكن لهذه الأمة كيان قائم الذات قبل الإسلام، وإنما كانت قبائل وعشائر لا تجمعها عقيدة، ولا يوحدتها إيمان برسالة سماوية حتى إذا بعث الله رسوله محمد (ص) بالإسلام، كان هو الدين هو الرسالة الخالدة للعرب².

4- علوم القرآن :

لقد كان نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم في صورتين وأثبت لنفسه (ص) في كليهما حرصه على ما يوحى إليه طيلة العصر القرآني الذي ضم كل مراحل التنزيل ولذا

¹ - ينظر : د. عبد العزيز بن عثمان التويجري، المرجع السابق، ص 15-16.

² - ينظر : نفسه، ص 17.

كان النبي (ص) يخشى كلما تأخر عنه الوحي خذ لأن ربه له وغضبه عليه فيترقب نزول القرآن الكريم عليه.

قال الله تعالى : "وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ"¹.

4-1- تعريف القرآن الكريم وكيفية إنزاله :

القرآن الكريم هو كلام الله عز وجل المنزل على محمد (صلى الله عليه وسلم) باللفظ العربي المتعبد بتلاوته المنقولة إلينا بالتواتر المعجز بلفظه ومعناه، وهذا التعريف يتضمن عدة معان أهمها ما يلي :

- 1- إن القرآن الكريم موحى به من الله تعالى إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) وليس لرسول الاله فيه أي دور إلا البيان والتبليغ.
- 2- إن القرآن الكريم كلام عربي، فليس فيه إلا "اللغة العربية" وإن وجدت فيه كلمات ظاهرها غير عربية، فقد قال العلماء إنها معربة أي منقولة إلى العربية أو أنها مما توافقت عليه اللغتان مثل "استبرق وسندس" ونحو ذلك.
- 3- إن القرآن الكريم متعبد بتلاوته بمعنى أن مجرد تلاوته، فيها ثواب من الله تعالى.
- 4- التواتر : ومعناه أن القرآن الكريم نقل إلينا من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالتواتر أي نقلته الجموع الغفيرة عن مثلها من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى يومنا هذا بحيث لا يمكن أن تتفق هذه الجموع على الكذب.

¹ - سورة الشورى : آية 51.

5- الإعجاز : فقد تحدى القرآن الكريم العرب أن يأتوا بمثله أو بمثل سورة منه وعجزوا عن ذلك رغم شهرتهم بالبلاغة والفصاحة والبيان، بل هو أعز ما يملكون من المفاخر والتراث، هذا وما زال تحدي القرآن الكريم للبشر جميعا قائما، وقد عجز الجميع عن الإتيان بمثل شيء من القرآن الكريم سواء بلاغته وفصاحته وتشريعه ونظمه أو إخباره الغيبية أو إشاراتة العلمية وهذا كله يدل على أن الكتاب يدل بوضوح على أنه تنزيل من رب العالمين وما ينبغي له أن يكون كلام البشر.

4-2- القرآن الكريم وأهميته :

يأتي القرآن الكريم في المرتبة الأولى لأنه كلام الله تعالى "بلسان عربي مبين"، وهو النص الثري العربي الأول الذي ظهر كاملا صحيحا في ألفاظه وتراكيبه، متواترا في تلاوته وجلا بالعناية الكثير ممن اهتموا بجمعه وتدوينه، ثم شرحه وفسره للناس أجمعين. وهو أحسن وأفضل ما يحتاج به في النحو، والصرف، واللغة والبلاغة بمختلف فنونها وألوانها¹.

لقد نزل القرآن على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأفصح ما تسموا إليه لغة العرب في خصائصها العجيبة وما تقوم به، مما هو السبب في جزالتها ودقة أوضاعها وإحكام نظمها واجتماعها من ذلك على تأليف صوتي يكاد يكون موسيقيا محضا في التراكيب، والتناسب بين أجراس الحروف والملاءمة بين طبيعة المعنى وطبيعة الصوت الذي يؤديه، والأعظم من هذا كله لا بد منه بالضرورة أن يكون القرآن أملك بهذه الصفات كلها، وأن يكون ذلك التأليف تعددا يكافئ الفروع اللسانية التي سبقت بها فطرة اللغة في العرب²,

¹ - ينظر : زبير الدراقي، "محاضرات في فقه اللغة"، ص 44.

² - مصطفى صادق الرافعي، "تاريخ آداب العرب" الجزء الثاني، الدار العلمية، ص 37.

حتى يستطيع كل عربي أن يوقع بأحرفه وكلماته على لحنه الفطري ولهجة قومه، توقيعا يطلق من نفسه الأصوات الموسيقية التي يشيع بها الطرب في هذه النفس، بما يسمونه في لغة العرب بيانا وفصاحة وعلاوة على ذلك هو في لغة الحقيقة الموسيقى اللغوية¹.

ويجدر بنا القول أن الأصل فيمن نزل القرآن بلغتهم، قريش، وقد سلف في مبحث اللغة كلام في معنى الإصلاح التي خلصت به لغتهم إلى التهذيب، وكيف واروا بينهم في لغات العرب، ممن كان يجتمع إليهم من الحجيج أو ينزل بهم العرب في كل موسم ومتسوق.

وقد استوفى القرآن أحسن ما في تلك اللغات من ذلك المعنى، وبأن منها بهذه المناسبة العجيبة التي أظهرته على تنوعه في الأوضاع التركيبية مظهر النوع الواحد وهي مناسبة معجزة في نفسها، والجدير بالذكر فاللغات التي نزل بها القرآن غير لغة قريش، فهي لغة بني سعد بن بكر الذين كان النبي (ص) مسترضعا فيهم، وهي إحدى لغات العجز، من هوازن ثم سائر هذه اللغات وهي جشم بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف، وتلك هي أفصح لغات العرب جملة، ثم خزاعة وهذيل وكنانة، وأسد، وضبة، وكانوا على قرب من مكة يكثر التردد إليها ومن بعدهم قيس وألفافها التي في وسط الجزيرة².

¹ - ينظر : مصطفى صادق الرافعي، المرجع السابق، ص 52.

² - نفسه، ص 52.

4-3- القرآن الكريم وأهميته في حفظ اللغة العربية :

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، فكان للغة العربية مزية لا تتأتى لغيرها من اللغات، وكما أثر القرآن الكريم في الأمة العربية، في أخلاقها وعقيدتها وشتى نواحي حياتها، فقد أثر أيضا في اللغة العربية تأثيرا بالغاً يمكن لجماله في المحاور التالية :

4-3-1- حفظ اللغة العربية :

إن ارتباط اللغة العربية بالقرآن الكريم جعلها محفوظة بحفظه باقية ببقائه، وسبحان الله القائل : "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"¹، والذي يدقق النظر في العربية المعاصرة نجد الكثير من ألفاظها فارق أمه، وظلت تلك الأم الفصحى حية مقصورة على الاستخدام الديني المرتبط بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة².

ليس من الشك في أن العصر الحديث يعد عصر ازدهار للعربية، فيه نصعت أساليبها ونضجت بلاغتها، وأخصبت مادتها وتنوعت أغراض تعبيرها حتى وضعت ما أفتضته الحضارة الراهنة من مطالب العقل والفكر والوجدان³.

ومما أتاح للعربية أن تزدهر على هذا النحو المرموق تلك الجهود التي بذلها الرعيل الأول من سدنة اللغة وحفظتها في فجر النهضة إذ اكتشفوا عن أسرار الألفاظ والعبارات وتبعوا ما يجري على أسلوات الأقوام من مختلف الأساليب، فكانوا عوناً على تصفية اللغة من الشوائب، وإقبالها من العشرات وحسبنا أن نذكر منهم "اليازجي" و "الألوسي" و "الكرملي" و

¹ - سورة الحجر : الآية 09.

² - د. محمد محمد دواد، "العربية وعلم اللغة الحديث"، دار غريب كلية التربية، جامعة قناة السويس، القاهرة، ب ط، 2001، ص 29.

³ - عباس أبو السعود، أزهير الفصحى في دقائق اللغة، تقديم محمود تيمور، دار المعارف، القاهرة، ط 2، 2015، ص 02

"المغربي" و "العوامري" و "الدسوقي" ومن إليهم من الأشباه والنظراء على تباين الأقدار وتفاوت النظرات¹.

أولئك قوم كانوا أحراس اللغة، يذوبون غيره عليها وحفاظا لها، فانبعثوا يذودون عن حياضها، حتى يتوافر لها على الزمان نقاء وصفاء محندين في هذه السبيل حذو أسلافهم.

فالقُرآن هو عماد لغة العرب الأسمى وملاذ الذين الأعلى، تدين له اللغة العربية في بقائها وسلامتها، وتستمد منه علومها على تنوعها وكثرتها²، وبه فاقت سائر اللغات في أساليبها ومادتها، إنه كتاب الله، كتاب الله المعجز بلفظه ونظمه وأسلوبه وهدايته وتأثيره وعلومه، أعجز البلغاء والفصحاء، وأحرس الأدباء والشعراء، **فالقُرآن هو النور** والذي أنزله هو الله، نور السموات والأرض، لاجراج الناس من الظلمات إلى النور، قال الله تعالى: **"فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ"**³.

4-3-2- انتشار اللغة العربية :

مع اتساع عملية الفتوح اتسع مجال انتشار الإسلام واللغة العربية، حيث كان الفاتحون يحرصون على تأسيس المساجد في المدن التي يفتحونها، وكانت تلك المساجد تمثل المراكز الأولى أو المدارس الأساسية لنشر الإسلام واللغة العربية، وقد قام الصحابة والتابعون بهذه المهمة في صدر الإسلام، ثم ساعدتهم على إتمامها وتوسيعها من دخل إلى الإسلام من غير

¹ - ينظر : عباس أبو السعود، المرجع السابق، ص 02.

² - هاني سعد غنيم، "فنون ولطائف لغوية من رياض لغتنا العربية"، دار الكتب والوثائق العلمية، مكتبة الإيمان، المنصورة، إمام جامعة الأزهر، ط 03، 1432 هـ - 2011 م، ص 21.

³ - سورة التغابن : الآية 08.

العرب، وقد أبلى هؤلاء بلاء حسنا، في خدمة الإسلام ولغة القرآن، حيث كان من معظم علماء الأمة وفقهائها¹.

وهكذا يضاف إلى العامل الديني الذي حتم على العرب أن يتعلموا القرآن وينشروه بين الأمم عامل آخر، وهو الشعوب التي دخلت الإسلام بعد الفتح، حيث كان على تلك الشعوب أن تتعلم القرآن ولغة القرآن، وبمجرد أن تعلمت العربية شعرت بأن من واجبها نحو الأمة الإسلامية أن تنقل إلى "اللغة العربية" التي أصبحت لجميع المسلمين، ما هو مفيد من تراثها الحضاري القديم².

ومن هؤلاء "ابن السكيت" و "الهمذاني" و "الحريري" و "الجواليقي" و "الثعالبي" و "الخفاجي". جرم أن القرآن سر السماء فهو نور الله في أفق الدنيا حتى نزول، ومعنى الخلود في دولة الأرض إلى أن تدور، وكذلك تمادى العرب في طغيانهم يعمهون، وطلت آياته تلقف ما يافكون فوق الحق وبطل ما كانوا يعملون³.

فإن هذا القرآن ما يزال يهدي للتي هي أقوم وإن النور فيه ما برح كثير المذاهب متعدد الجهات متصل الحدود يفضي بعضها إلى بعض، إذ هو كتاب السماء إلى الأرض مستقرها ومستودعها، وقد جاء بالإعجاز الأبدي الذي يشهد على الدهر ويشهد الدهر عليه، فما من جهة من الكلام وفنونه إلا وأنت واجد إليها متوجها فيه، وما من عصر إلا وهو مقلب صفحة منه حتى لتنتهي الدنيا عند خاتمته فإذا هي خلاء "من الجنة والناس"⁴.

¹ - الربيعي بن سلامة، " الحضارة العربية الإسلامية، التأثير والتأثير، ديوان المطبوعات الجامعية، ب ط، 2009، ص 91.

² - نفسه، ص 92.

³ - عباس أبو السعود، "أزاهير الفصحى في دقائق اللغة"، ص 25.

⁴ - مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ص 26.

4-3-3 - اللغة العربية والقرآن الكريم :

اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، والقرآن الكريم "لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ" ولا يمكن أن يترجم القرآن إلى لغة أخرى ترجمة كاملة تتجلى فيها بدائع الصيغ التي أعجزت أبلغ الفصحاء، لأن المترجم قد يضطر إلى الشرح فيقع في التحريف¹.

وقد كسبت اللغة العربية بحكم وضعها الديني مكانة سامية بين اللغات الحية قديما وحديثا والفضل في ذلك للقرآن الكريم الذي صانها من كيد كل عابث.

وإننا لنفخر باللغة العربية كل الفخر، فأنتك تجد من العسير جدا على طلاب دراسة لغات الفرس والترک والهنود المسلمين، ولغات البلاد الإسلامية الأخرى أو أداها أو طريق التفكير فيها من غير إجادة اللغة العربية إجادة تامة.

أثر القرآن الكريم في اللغة العربية :

كان للقرآن الكريم أثر كبير في الأدب العربي، استمد وحيه وقد تجلى هذا الأثر في عذوبة أسلوبه، وقوة وقعته في النفوس، وروعته في القلوب وجماله في المعنى والموسيقى ولم يستطع أحد من المترجمين أن يحاكي القرآن الكريم في أسلوبه وحاول كثير من المستشرقين محاكاته في السجع فعجزوا، وقد يبدو هذا الأمر عجيبا من أولئك المحاكين أو طالبي المحاكاة، وأن من كانوا يعدون أساكين هذه اللغة، وفرسان البلاغة العربية في العرب أنفسهم قد عجزوا عجزا فاضحا في كل محاولة أرادوها²، فكيف بأولئك الأعاجم من مستغربي هذا العصر؟.

¹ - محمد عطية الأبراشي، " تاريخ الأدب السامية"، ص 176.

² - ينظر : المرجع نفسه، ص 179.

ولا يستطيع أحد من المبشرين أن ينكر جمال القرآن الكريم وروعته، يقول (نبريس) *
في مقدمة لكتابه (معجم القرآن) : هناك كثير من الجمال الباهر، أفكار شعرية عالية، تكسي
بلغة غنية ترتفع إلى درجة دونها أي ترجمة وإن كثيرا من محاسن القرآن التي يعجب بها
المستشرق لا يستطيع أن يفهمها المبتدئ من المستشرقين وإن الإيجاز الجميل الذي يزيد كثيرا
في قوة التعبير والتأثير يحير هؤلاء المترجمين¹.

نزل القرآن الكريم بهذه اللغة على نمط يعجز قليله وكثيره معا، فكان أنسبه شيء
بالنور في جملة تسقه إذ النور جملة واحدة وإنما يتجزأ باعتبار لا يخرج من طبيعته، وهو في
كل جزء من أجزائه وفي أجزائه جهلة لا يعارض بشيء إلا إذا اختلفت سماء غير السماء
وبدلت الأرض غير الأرض، وإنما كان ذلك لأنه صفى اللغة من أكدارها وأجزائها في ظاهرها
على بواطن أسرارها، فجاء بها في ماء الجمال أملا من السحاب، وفي طراءة الخلق أجمل من
الشباب، ثم بما تناول لها في المعاني الدقيقة التي أبرزها في جلا الإعجاز وصورها بالحقيقة
وأنطقها بالمجاز... قد أظهرها مظهرا لا يقضي العجب منه، لأنه جلاها على التاريخ كله لا
على جيل العرب بخاصته².

وبناء على ما تقدم، فإن اللغة لا تشب عن أطوار أهلها متى كانت من غراترعم وإنما
تكون على مقدارهم ضعفا وقوة لأنها صورتهم المتكلمة وهم صورتها المفكرة، فهي ألفاظ
معانيهم وهم في الحقيقة معاني ألفاظها. والأهم من هذا كله فالقرآن إنما هو أثر من لغة قوم

¹ - ينظر : محمد عطية الأبراشي، المرجع السابق، ص 179.

² - مصطفى صادق الرافعي، "تاريخ آداب العرب، ج 2، ص 60.

جاوزوا في الحضارة حد أهلها من سائر الأجيال، وبلغوا من أحوال المدينة أرقى هذه الأحوال، وكانوا من العلوم في مقام معلوم¹.

وعلى هذا الأساس لو لا القرآن ما كان فيها وما ينبغي لها بكلام غيره، إذ ليس في غيره ما يبلغ أن يكون حدا للكمال اللغوي في الفطرة، فيتعلق بمثل أثره في العرب وأحوالهم وتاريخهم أو يقع من ذلك على مقدار مقسوم أو يكون له فيه حق معلوم كقوله تعالى: "قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا"².

تنزل اللهجة منزلة الشكل من اللغة ولا تقل شأنًا عن الألفاظ، لأنها قد تكون وحدها فارقا على خطر... فالباحثون عن اللهجات أخذوا بقايا التطور المستمر في قبيلة ما، علما عليها وحدها ولم يراعوا أي اعتبار من اعتبارات اللهجة الواحدة³.

ويقول أسعد أحمد علي في كتابه تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي: "فنحن، نرى خطأ هذا الرأي، لأنه لا يصح من كل وجوهه، وبالتالي لأن ما كانوا يسمونه باختلاف اللغات ليس له هذا المعنى حقيقة، وإنما هي بقايا خلفها التطور الذي لم يتكامل وتقديراننا هذه تفسير صحيح لكل هذه المختلفات التي حار في شرحها علماء اللغة... فجميع الاختلافات المحفوظة في البنية أو الأعراب أو النهج البياني، إنما هي تطورات فقط، وهي غير الاختلافات اللغوية التي ترجع إلى مخرج الحرف واتساقه أو تكسره"⁴.

¹ - ينظر: مصطفى صادق الرافعي، المرجع السابق، ص 61.

² - سورة الإسراء: الآية 88.

³ - د. أسعد أحمد علي، تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي، ص 76.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص 76-77.

4-3-4- توحيد لهجات عربية :

بسبب انعزال القبائل عن بعضها، وضعف وسائل الاتصال بينها، بالإضافة إلى العزل الخلقية المتصلة بالعملية اللغوية من سوء السمع وسوء الأداء، كان لعرب لهجات كثيرة متباينة، منها ما كان لأهل الحضرة، ومنها ما كان لأهل البدو وما بيعت منهم من خشونة وجفاف، ومن الشواهد المشهورة لتباين اللهجات الأمثلة التالية¹ :

أ- اختلاف هيئة النطق للكلمة الواحدة :

وأوضح مثال لذلك هو ظاهرة الإمالة وأشهر أمثلتها : "الضحى"، "سجى"، "قى"، "دعا"، بأمالة الفتحة الأخيرة إلى كسرة والألف التي بعدها إلى ياء وللإمالة ألوان متنوعة يرجع إليها في كتب القراءات واللغة.

ب- اختلاف معاني الكلمات :

يرى أنا أبا هريرة لما قدم من دروس عام خبير لقي النبي (صلى الله عليه وسلم) وقد وقعت من يده السكين، فقال : "ناولني السكين" فالتفت يمنة ويسرة ولم يفهم مراده، فكرر له القول وأشار إليها فقال : المدية تريد؟ فقال : "نعم"، قال : أو تسمى عندكم سكيناً؟ ! ثم قال : والله لم أكن سمعتها إلا يومئذ.

فهذا شاهد على تعدد الدوال والمدلول واحد، فجاء القرآن الكريم يصطفى من لغة العرب ولهجاتها أفضلها، ليقدم للعرب لغة واحدة فصيحة ولهجة واحدة عذبة ولا يستعصي على أحد فهمها.

¹ - محمد محمد داود، "العربية وعلم اللغة الحديث"، دار غريب كلية التربية، جامعة قناة السويس، القاهرة، ب ط، 2001. ص 35.

ألقاب اللهجات العربية :

يتناول ابن فارس هذه القضية في "باب اللغات المذمومة"¹ حيث يستعرض بعض هذه الألقاب كالتلثة والعننة والكسكسة والعجعة والشنشة، وإن لم يسمعها جميعها إلى جانب ما ذكره من تغيرات في بعض الأصوات مثل قلب الباء فاء، وكصوت الجيم القاهري (ك) أي الجاف الفارسية أو غيرها.

وعلى هذا الأساس، يرى ابن فارس أن هذه اللغات وإن جعلها من اللغات المذمومة غير أنها تعد لغات للقوم، حيث يقرر في باب اختلاف اللغات بأن هذه التنوعات اللهجية، إنما هي فحسب تنوعات في إمكانيات النطق عند القبائل العربية، وأن الأمر لا يتعلق بتميز لغة على لغة²، حيث يقول بأن "كل هذه اللغات سمات منسوبة إلى أصحابها... وهي أن كانت لقوم دون قوم، فأثما لما انتشرت تعاورها كل"³ وهو يمثل لذلك في باب سماه : "باب القول على اختلاف لغات العرب" بل مجده يصرح في "باب اللغات المذمومة" قائلاً : "ونحن وإن كنا نعلم أن القرآن نزل بأفصح اللغات، فلسنا ننكر أن تكون لكل قوم لغة، مع أن قحطان تذكر أنهم العرب العاربة، وأن سواهم العرب المتعربة، كما يتعلق على من زعموا بأن ولد إسماعيل عليه السلام يعدون ولد قحطان بأنهم ليسوا عربا، ويحتجون عليهم بأن أنسابهم الحميرية، فيقول : "فليس اختلاف اللغات قادحا في الأنساب"⁴.

¹ - ابن فارس، الصاحبي، ص 35.

² - نفسه، ص 37.

³ - نفسه، ص 31.

⁴ - نفسه، ص 36.

فاختلاف هذه اللهجات وأبعادها في خصات عن اللغة الأم، التي تنسب إليها لا يقدح أو يقلل من قيمتها وصحتها وسلامتها.

وانطلاقاً من هذا، تعلق الدراسات اللغوية الحديثة في ضوء قوانين التطور اللغوي لما يحدث من تغيرات لهذه اللهجات على كافة مستويات التحليل اللغوي الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية.

فعدد اللهجات كان موجوداً عند العرب من أيام الجاهلية، حيث كانت هناك لهجة لكل قبيلة من القبائل، وقد استمر الوضع هكذا بعد مجيء الإسلام، ومن أبرز الأسباب الشيء أدت لولاة لهجات عربية مختلفة من القدم هو أن العرب كانوا في بداية عهدهم أميين لا تربطهم تجارة ولا إمارة ولا دين، فكان من الطبيعي أن ينشأ من ذلك ومن اختلاف الوضع والارتجال، ومن كثرة الحل والترحال، وتأثير الخلطة والاعتزال اضطراب في اللغة (كالترادف واختلاف اللهجات في الأبدال والأعلال والبناء والأعراب) ومن أبرز اللهجات والألفاظ : عجعجة قضاة أي قلب الياء جيما بعد العين وبعد الياء المشددة مثل : راعي يقولون فيها : "راعج"، وفي كرسي : "كرسج" وطمطانية حمير وهي جعل "إم" بدل "آل" في التعريف، فيقولون في البر : "أمبر" وفي الصيام "أمصيام" وفحفحة هذيل أي جعل الحاء عينا، مثل : أحل إليه فيقولون "أعل إليه"، وعننة تميم، وهي إبدال العين في الهمزة إذا وقعت في أول الكلمة فيقولون في أمان : "كمان" وكشكشة أسد أي جعل الكاف شينا مثل "عليك" فيقولونها "عليش"، وقطعة طيء وهو حذف آخر الكلمة، مثل قولهم : "يا أبا الحسن"، تصبح "يا أبا الحسا" وغير ذلك مما باعد بين الألسنة وأوشك أن يقسم اللغة إلى لغات لا يتفاهم أهلها ولا يتقارب أصلها¹.

¹ - ينظر : ابن فارس، الصحاح، المرجع السابق، ص 36-37.

قد تحدث سيد المرسلين الرسول محمد بن عبد الله (ص) بشيء منها مما يوحي بأنها لم تكن مهملة إهمالا تاما بل أن بعضا منها لا زال قائما في أيامنا هذه في مواضع من الجزيرة العربية وخارجها¹، ولكنها على أي حال لم تكن اللغة الرسمية الأدبية والفكرية والعلمية في الجاهلية والإسلام.

وانتقاء لهجة واحدة يكون هي الممثل الرسمي للغة العربية أعطى اللغة دفعة واحدة قوية إلى أن تصبح لغة عالمية، استوعبت كل خصائص الأصل اللغوي السامي أكمل استيعاب² وأثرت في اللغات الأخرى المجاورة لها، والدراسات تدل على دخول ألفاظ عربية في لغات كثيرة كالفارسية والهندية القديمة وشيء من اللغات اللاتينية والجرمانية الحديثة ومنها اللغة الإنجليزية.

4-3-5- تعريف اللهجة :

فاللهجة في الإصطلاح العلمي الحديث هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات لكل منها خصائصها ولكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تسير اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض³.

وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات هي التي اصطلح على تسميتها باللغة فمن هذا المنطلق فالعلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص. فاللغة

¹ - شوقي ضيف، "العصر الجاهلي"، دار المعارف، القاهرة، سلسلة تاريخ الأدب العربي، ط 12، 1988 م، ص 121-130.

² - كارل بروكلمان، "تاريخ الأدب العربي" (نقله إلى العربية عبد الحليم النجار)، دار المعارف، القاهرة، ج 1، 1983 م، ص 41-43.

³ - د. إبراهيم أنيس، "اللهجات العربية"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 3، 2003، ص 15.

تشتمل عادة على عدة لهجات، لكل منها ما يميزها فجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية والعادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات¹.

يقول عبد الجليل مرتاض في كتابه بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب : ... فكلامنا العالمي كلام لأنه يؤدي أغراضا محدودة حسب الكيفية التي تتركب بها قوالبه المنحرفة عن الفصحى منذ اختلاط العرب بالعجم، وانتشار العربية بين هؤلاء وأولئك ولكنه ليس مقياسا أبدا للخطأ أو اللحن..."².

وبناء على ما تقدم، فالمعاجم العربية القديمة تخبرنا عن معنى لفظ اللحن ومشتقاته، ولكن أقدم هذه المعاجم جاء بعد وجود لفظ اللحن بمصطلحه الأخير، وفشوه وانتشاره واشتهاره بمعنى الزلل الدال على الخطأ في القواعد النحوية³.

وبهذا فالغريب أن لفظ اللحن قديما كان يدل على الفطنة فيقال رجل ندس وندس أي فطن، ورجل لحن أي فطن، ويقال : هو ألحن منه أي أفطن منه.

وانطلاقا من هذا تقول العرب : عرفت ذلك في لحن كلامه أي فيما دل عليه كلامه وفي هذا المعنى قال الله تعالى : "ولتعرفنهم في لحن القول" وفي كلام لعمر بن الخطاب "تعلموا الفرائض والسنة واللحن كما تتعلمون القرآن"⁴، لأنه لا يمكن لعمر أن يحث على تعلم اللحن في اللغة وفي الحديث أيضا "لعل بعضكم ألحن بحجته عن بعض" أي أشد

¹ - د. إبراهيم أنيس، "اللهجات العربية"، المرجع السابق، ص 15.

² - د. عبد الجليل مرتاض، "بوادر الحركة اللسانية عند العرب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 61-62.

³ - المرجع نفسه، ص 61-62.

⁴ - أن اللحن هنا يقصد به هنا عمر بن الخطاب بمعنى "اللغة" أي تعلموا اللغة.

انتزاعاً وأبطل لها فنقصد باللحن هنا أنه يدل على الفطنة والذكاء وفهم عويص المسائل وقوة الاحتجاج والمنطق¹.

وفي ظل هذا الاهتمام، فاللحن كان يدل مما يدل عليه على معرفة الصواب، ثم أصبح يعني الخطأ وهذا ما تؤكدته كتب الأضداد في اللغة التي جاء فيها دالاً على الخطأ والصواب معاً. وبالرغم من هذا، أنه مما يدل عليه مدلول اللحن أيضاً الخفاء، فيقال لقد لحت له لكنا : أي قلت له ما يفهمه عني ويخفي عللاً غريبه، وجاء :

منطق واضح ويلحن أحيا نا، وأحلى الحديث ما كان لحننا.

ويقول الطرماح : أو بشاعر آخر :

وأدت إلي القول عنهن زوله تلاحن أو ترنو لقول الملاحن

أي تكلم بما يخفي على الناس².

وبناء على ما سبق، فاللحن يدل أيضاً على القصد والمذهب واللغة ولعل قدم الشواهد على استعمال كلمة اللحن في معنى الخطأ اللغوي قول الحكم بن عبد الأسد :

ليت الأمير* أطاعني فشفيته من كل من يكفي القصد ويلحن³

¹ - د. عبد الجليل مرتاض، المرجع السابق، ص 62-63.

² - نفسه، ص 63

*- الأمير : هذا هو عبد الملك بن بشر بن مروان (حكم البصرة 102-103 هـ).

³ - عبد الجليل مرتاض، "بوادر الحركة اللسانية عند العرب"، ص 65.

وقد يتطرق اللحن والتحريف أيضا إلى العرب الذي يخالطون هؤلاء الأعجم ويعيشون بينهم ويتعاملون معهم فيصيب بالفساد ألسنتهم¹، ولعل علم النحو كان لازما لهذا السبب أو لغيره، فلا بد للعلماء أن يعرفوا قواعد لغتهم وصرفها وموسيقى شعرها وكل ما يتصل بها.

وفي نهاية هذا المطاف حيث يذكر ابن خلدون في خلاصته الفريدة يدرك على حساب قوله أنه لقد هكذا تصيرت الألسن واللغات من جيل إلى جيل وتعلمها العجم والأطفال وهكذا نلاحظ أن هذا هو معنى ما تقوله العامة من أن اللغة للعرب بالطبع أي بالملكة الأولى التي أخذت عنهم، ولم يأخذوها عن غيرهم²، ويجدر بنا أن نشير هنا فلقد فسدت هذه الملكة لمضر بمخالطتهم الأعاجم، ويرجع سبب فسادها أن تنشأ من الجيل حيث صار يسمع في العبارة عن المقاصد كصفات أخرى غير الكيفيات التي كانت للعرب، فيعبر بها عن مقصوده لكثرة المخالطين للعرب من غيرهم.

ولهذا كات لغة قريش أفصح اللغات العربية وأصرحها لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم ومن تمة من أكتنفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبني كنانة وغطفان وبني أسد وبني تميم.

لا يملك المرء إلا لينحني احتراما لهؤلاء العلماء الذي وهبوا أعمارهم لإنتاج تراث ضخم في معارف شتى، اجتهدوا في وضعه أو تعميقه وإثرائه، ويشكل التراث اللغوي الذي ينم عن جهد كبير ورغبة خالصة وغير شديدة وعشق قوي جزءا مهما منه، فقد كان الوازع

¹ - أ. د هاشم ياغي وأ.د إبراهيم الساعفين وأ. د. صلاح جرار، "مناهج النقد الأدبي عند العرب" ب ط، 2009 ص 68.

² - ابن خلدون، "المقدمة"، ص 1075.

الحقيقي وراء كل هذا خدمة تلك اللغة التي شرفت بنزول القرآن الكريم بها، قال تعالى في كتابه العزيز: "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"¹.

4-3-6- تهذيب الألفاظ :

ولعناية العرب بتهذيب* الألفاظ زعم قوم أن العرب تعني بالألفاظ وتغفل المعاني وهؤلاء هم الذين رد عليهم ابن جني في باب مستقل من كتاب الخصائص، ومما قال في هذا الباب: "فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظهم وحسنوها، وحمو حواشيها وهذبوها وصلقوا غروبها وأرهفوها، فلا ترين أن العناية إذ ذلك إنما هي بالألفاظ بل هي عندنا خدمة منهم للمعاني وتنويه وتشريف ونظير ذلك إصلاح الوعاء وتحسينه وتزكيته"².

ومن الحديث النبوي الشريف قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيها أو امرأة ينجسها فهجرته إلى ما هاجر إليه"³.

¹ - سورة يوسف : الآية 02.

* - كان الأزهري العروي، ابو منصور محمد بن طلحة بن نوح بن الأزهر، أحمد هؤلاء العلماء المتشددين في أخذ اللغة، ففي خاتمة مقدمته التي أوضح فيها علة تأليفه لمجمعه والمنهج الذي سار عليه وبيان الأئمة الذين اعتمد عليهم فيما جمع في ذلك المعجم مرتبا إياهم في طبقات، يحدد سبب إطلاق عبارة "تهذيب اللغة" عليه فيقول: وقد سميت كتابي هذا (تهذيب اللغة) لأني قصدت بما جمعت فيه ما أدخل في لغات العرب من الألفاظ التي أزالها الأغنياء عن صنعها وغيرها الغتم عن سننها، فهذبت ما جمعت في كتابي من التصحيف والخطأ بقدر علمي، ص 277.

² - محمد الخضر حسين، "دراسات في العريبو وتاريخها"، ص 18.

³ - البخاري 7/1، مسلم (19.7)، أبو داود (22.1) الترمذي (1647) النسائي في الكبرى (78)، ابن ماجه (2427).

وفي هذا الشأن يقول محمد داود : في هذا الشأن ورغم مرور أربعة عشر قرناً لا يكاد الإنسان يجد صعوبة في فهم هذه النصوص ولا تصادفه غرابة في هذه الألفاظ، وما قد يصادفنا من ألفاظ صعبة فإن أيسر المعاجم يمكن أن يبيد هذه الصعوبة. وهكذا الشأن مع باقي المستويات اللغوية (الصوتية، والصرفية، والنحوية) وهذه مزية عظيمة أن تكون الأمة موصولة بتراثها الزاخر تفيد منه وتنفع به¹.

وفي هذا الصدد رأى علماء اللغة القدامى أن الطريق إلى الحكم على سلامة اللغة وفصاحتها ونقائها هو قياسها على لغات البدو البعيدين عن مواضع الاختلاط إذ أن لغتهم تمثل معيار الصحة أو السلامة اللغوية، فإذا ما أريد التعرف على اللغة في أنقى صورها فيجب الارتحال إلى هؤلاء الأعراب في مواطنهم أو إلى البوادي التي تعيش فيها القبائل العربية الفصيحة ومعاشرتهم وسؤالهم والأخذ عنهم وتدوين ما سمعوا وبذلك لم يكن هدفهم إلا تسجيل الألفاظ الفصيحة عن تلك القبائل الفصيحة التي تحددها المصادر بقيس وقيم وأسد وهذيل وبعض كنانة وبعض طيء، وتجنبوا الأخذ عن أهل الحضرة أو عن القبائل التي سكنت التخوم لمجاورتهم جماعات لغوية ليست عربية.

بالنظر لانتشار اللغة العربية في جزيرة العرب في العصور المتقدمة للجاهلية كانت اللغة العربية متعددة اللهجات، إلى درجة كادت معها هذه اللهجة أن تصبح لغات مستقلة عن اللغة الأم، بل ربما قيل إن اللغة العربية كانت مجموعة لغات سامية تجتمع بينها كثير من الصفات المشتركة، المتعلقة بأصول الكلمات والأصوات ومخارج الحروف وقواعد الصرف

¹ - محمد محمد داود، "العربية وعلم اللغة الحديث"، ص 25.

والتنظيم، فقويت وجوه الشبه بين أفرادها أو بعض أفرادها حتى يحسبها الباحث مجرد لهجات للغة واحدة¹.

ومن المعلوم أن اللغة العربية كانت قبل مجيء الإسلام ونزول القرآن عبارة عن لهجات لعدد من القبائل الناطقين بها، وكانت هذه اللهجات تسمى عندهم لغات، وكانت كل لغة من لغاتهم الدائرة فلك العربية تتأثر بلغة الشعب الأجنبي الذي نأخذه، فكانت تستعمل كثيراً من الألفاظ الأجنبية على سبيل التعريب لها مع تكييفها للصيغ العربية وأصواتها.

ومما أعطى اللغة العربية مهلة في لهجة قريش دفعة أقوى نزول القرآن الكريم بها، فيزيد هذا الحدث من وحدة اللغة وتزداد الدوافع لتعلمها وتعليمها، قصداً إلى نزود من الإسلام ومعرفته معرفة حقة، وتكون هي أيضاً لغة الحديث الشريف ولغة الوجود والمبعوثين من قبل سيدنا محمد بن عبد الله (ص) إلى القادة والقبائل قصداً إلى الدعوة إلى الإسلام والتعليم والتعريف بالإسلام.

5- الخط العربي :

يروى أن أول من كتب الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها آدم عليه السلام، قبل موته بثلاثمائة سنة، كتبها في طين وطبخه فلما أصاب الأرض الغرق وجد كل قوم كتاباً فكتبوه، فأصاب إسماعيل عليه السلام الكتاب العربي².

وكان (ابن عباس) يقول : أول من وضع الكتاب العربي إسماعيل عليه السلام وضعه على لفظه ومنطقه والروايات كثيرة ومخالفة وفي هذا الصدد يقول الصحابي في كتابه فقه العربية وسنن العرب في كلامها : إن الخط توقيف وذلك لظاهر قوله عز وجل : "أَقْرَأْ بِاسْمِ"

¹ - علي عبد الواحد وافي، "علم اللغة"، دار تحفة مصر، القاهرة، 1367 هـ / 1967م، ص 186.

² - ابن فارس، الصحابي، "في فقه العربية وسنن العرب في كلامها"، ص 38.

رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلْقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ" ¹ وقال جل ثناؤه: "وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ" وإذا كان كذا فليس ببعيد أن يوقف آدم عليه السلام أن غيره من الأنبياء عليهم السلام على الكتاب ². وبناء على ما تقدم فأما أن يكون مخترع اخترعه من تلقاء نفسه فشيء لا تعلم صحته إلا من خبر صحيح. هو أحد الفنون التشكيلية الذي يتجاوز دوره ووسيلته لنقل المعلومات، ليصبح غاية متكاملة روحانية لجماليته، وتجريده المفهوم وهو مهياً أصلاً -مدلولاً وتركيباً- لتأدية هذه المهمات واحتلال تلك المكانات لما أحط به من قدسيته ولما تضمنت تسطيراته والتواءاته من حركة إيقاعية وتركيب متوازن متناغم ³.

والجدير بالذكر فهو ذو علاقة باللغة العربية إذ أن تطور شكل الحرف كان متلازماً مع تطور مفردات اللغة العربية، ولذلك فهو ما جعله ذا طابع قومي. وفي رحاب هذه الأهمية نشأ وتطور ضمن خصوصية المجتمع العربي ومفاهيمه القومية ⁴، فيمكن القول حينئذ، لا ينفي هذا الدور الأساسي للعقيدة الإسلامية، لأن الخط العربي لم يصل إلى صورته النمائية إلا بعد أن شاركت أمم وشعوب عديدة انطوت تحت لواء الإسلام في تطويره وتجويده، وفي هذا السبيل طال ارتباطه بالقرآن الكريم وثيقاً منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم ومن ههنا أضفى ذلك عليه قدسية أكسبته مما وجلالاً ⁵.

¹ - سورة القلم : الآية 04.

² - ابن فارس، الصحاحي، المرجع السابق، ص 39.

³ - د. أياد حسين عبد الله الحسيني، "التكوين الفني للخط العربي (وفق أسس التصميم)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد دار صادر، بيروت، ط 1، 1424 هـ - 2003 م، ص 12.

⁴ - نفسه، ص 05.

⁵ - نفسه، ص 05.

5-1- الخط العربي وتاريخه :

وقيل إن أول خط بالعربي إسماعيل عليه السلام، ثم إن قريشا وأهل الطائف تعلموا الكتابة من الحيرة عن أهل الأنبار كما قال السيوطي وذكر ابن خلدون ما يؤيد هذا فليس في آثار العرب بالحجاز ما يدل على أنهم كانوا يعرفون الكتابة إلا قبيل الإسلام، لغلبة البداوة عليهم، ولأنه الكتابة من الصناعات الحضرية مع أنهم كانوا محاطين شمالا وجنوبا بأمم من العرب خلفوا نقوشا كتابية كثيرة، وأشهر تلك الأمم حمير في اليمن كثيرا بالحرف المسند، والأنباط في الشمال كثيرا بالحرف النبطي، تشهد بذلك آثارهم الباقية إلى الآن في ضواحي البلقاء وحوار¹.

5-2- نشأة الخط العربي وتطوره :

إذا ما التفتنا التفاتة سريعة حول تطور الخط العربي في صدر الإسلام، فمما لا شك فيه فلقد ابتدأت عملية الاهتمام بالكتابة* وتطورها منذ عصر النبوية، لشدة الحاجة إليها في تدوين القرآن الكريم ، حيث استخدم خط جاب (Stiff) أغلب زواياه حادة عرف فيها بعد بالكوفي وظل باستخدامه متداولاً حتى نهاية القرن الرابع الهجري.

ومن هذا المنطلق، يعد خالد بن أبي الهياج أول خطاط تذكره المصادر حيث امتهن الخط والوراقة وقد ذاع صيته في خلافة الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وأيام الأمويين وجاء بعده مالك بن دينار الوراق الذي اشتهر بكتابة المصاحف.

¹ - د. أياد حسين عبد الله الحسيني، "التكوين الفني للخط العربي" ، ص 196.

*- الكتابة : استعملت عدة مصطلحات في اللغة العربية للدلالة على تمثيل الألفاظ برموز موضوعة وأشهرها مصطلح (الكتاب، الخط، الهجاء، والرسم) وقد تطورت هذه المصطلحات للدلالة على رسم المصحف وكتابة الكتاب، وتطور هذا المصطلح إلى مصطلحين (الخط، الهجاء) وليطلق على الكتابة وصناعة الخطاطين، أما مصطلح الهجاء فجاء من تهجي الحروف حرفاً حرفاً، أما مصطلح (رسم) فهو متأخر نسبياً، واقتصر استعماله على (رسم المصحف).

فإن الخط العربي هو أداة التعبير الكتابي للغة، لذا فقد أخذ المسلمون بالاهتمام به منذ فجر الدعوة وصار مصامبا لانتشار اللغة وبلغ شأوا بعيدا حيث صار يكتب به لغات غير عربية¹.

إن طبيعة الخط العربي وأشكال حروفه وما تمتاز به من الموافقة والمرونة هيأت له الفرص المناسبة للتحسين والتنويع وليس أدل على ما تحمله أشكال الحروف العربية من بذور الخصب والابتكار من أن الحروف العربية كتبت بأكثر من ثلاثة هيئة، بل إن بعض الباحثين عن لحرف الهاء وحده نحو تسعمائة شكل مختلف².

وفي ظل هذا الاهتمام لقد قيل في الخط: "الخط هو لسان اليد وبهجة الضمير وسفير العقول ووحى الفكرة وملامح المعرفة وناقل الخبر وحافظ الأثر"³.

وبناء على ما تقدم، ارتبطت أفضل صور الخط العربي بعلم الهندسة، مثلما ارتبطت العديد من الفنون مثل العمارة وغيرها، وأوجد هذا الارتباط علاقة تناسبية بين الحروف وأجزائها، عبرت عن العلاقة الجمالية والوظيفية بينها وكان لهذه العلاقة تأثير في اعتماد مقاييس معينة للحروف في انتظامها وتسلسلها⁴.

¹ - د. حنان قرقوتي، "اللغة العربية والخط وأماكن العلم والمكتبات الترجمة وآثارها"، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات، ط 1، 1427هـ - 2006 م، ص 33.

² - د. حسن الباشا، "أصول الحضارة الإسلامية"، الدارة، العدد 01، ربيع الأول، 1395 هـ / 1975 م، ص 68.

³ - نفسه، ص 34.

⁴ - أياد حسين عبد الله الحسيني، "التكوين الفني للخط العربي"، ص 32.

وانطلاقاً من هذا بقيت هذه القياسات هي التي تحدد صحة الحرف وعند تجاوزها في قصر أو طول تعدد الحروف مشوهة غير متناسبة لهذا أصبح أول ما يتعلمه الخطاط في المرحلة الأولى هو هذه القياسات وتبقى ملازمة له في جميع مراحل حياته الفنية¹.

وعلى هذا الشأن فلقد اقترن مصطلح هندسة الخط العربي بابن مقلة ولم يسبقه إلى ذلك أحد ولا يعني هذا أن الخطوط السابقة له لم تكن تكتب وفق أسس ونسب معينة، ومن خلال دراسة تحليل للخط الكوفي في القرن الأول للهجرة الذي سبق ابن مقلة بقرنين من الزمن يتضح أن هناك نظاماً ووحدة في أشكال حروفه يمكن إرجاعها إلى أصول معينة مرسومة وفق قواعد محددة وهي استقامة وانتصاب الحروف على سطر الكتابة وامتدادها الأفقي².

5-3- جمال الخط العربي :

5-3-1 هندسة الحروف :

تدخل هندسة الحروف في علم الخط، إذ يذكر ابن مقلة في راسلته عن شكل الحروف مثل حرف الراء : "إنه خط مقوس، هو ربع محيط الدائرة التي فطرها الألف وحرف النون شكل مركب من خط مقوس مو نصف الدائرة، وقال من اعتبار صحتها أن يوصل بها إلى مثلها فتكون دائرة"³.

والجدير بالملاحظة، كان اليونان قد عملوا الهندسة في حروفهم على طريقة بنائها في الدوائر، ولما كانت الثقافة اليونانية منتشرة في العراق والشام والإسكندرية كان من الطبيعي

¹ - أياد حسين عبد الله الحسيني، "التكوين الفني للخط العربي"، ص 39.

² - نفسه، ص 40 - 41.

³ - حنان قرقوثي، "اللغة العربية والخط"، ص 42.

عندما آلت هذه البلاد إلى المسلمين أنهم اقتبسوا هذه العلوم وهضموها بما يتلاءم مع أذواقهم¹.

"إن الكتابة وليدة الرسم، وربما كان كل الناس يصورون صورا بالدهان أو الرسم أو السجع أو النحت وهذه الصور تؤدي أحيانا دور الرسائل أو المفكرات إلى جانب استعمالات أخرى لها (أقسام 2-9) ومعنى ذلك أنها تعدل من سلوك من يراها وأنها ربما استعملت دائما بهذه الطريقة"²، ولقد سجل المصريون القدماء على آثارهم صورا تذكر بنواحي نشاطهم وبالأحداث الهامة في تاريخهم، وقصدوا بلا شك من رسم هذه الصور على مبانيهم العظيمة أن تبقى هذه الصور ببقاء المباني، وأن تراها الأجيال اللاحقة ومن أمثلة ذلك صورة مينا أول ملوك مصر وهو يمسك بناصية ملك مقهور، والصور التي تراها على الآثار لرحلات الصيد أو لأنواع النشاط الأخرى، ولكن الصورة إلى هذا الحد يختلف فهم معناها ووضوحه باختلاف من يتفرس فيها، وقد تحتاج إلى تفاصيل تاريخية ودراسة للمجتمع الذي تصوره حتى يتضح معناها في ذهن الذي ينظر إليها³.

وانطلاقا من هذا، لم يؤثر الخط العربي في تنمية النهضة الأدبية والعلمية لدى العرب وحدهم فحسب بل تعدهم بفنياته وجماله إلى إعجاب الأوروبيين به إعجابا جعلهم يكتبون به عبارات دينية تتناقض مع دينهم ومعتقداتهم إلى ظهور الكتابة العربية في صياغاتهم رغم جهلهم لها وكذلك عدم فهم نصوصها⁴.

¹ - حنان قرقوثي، "اللغة العربية والخط"، ص 42.

² - حسان تمام، "اللغة بين المعيارية والوصفية"، ص 126.

³ - نفسه، ص 126.

⁴ - عبد الجليل مرتاض، "العربية بين الطبع والتطبيع"، ص 161-162.

ولذلك فأن ما يشير الانتباه حقيقة أن الخط العربي دخل مجالاً رحباً عند ظهور الطباعة بشتى مراحلها وتقنياتها وانتهاءً بأجهزة التنضيد التصويري باستخدام الحاسوب الآلي.

6- علوم اللغة العربية :

6-1- علاقة النحو باللغة العربية :

وهنا من يرى في اللغة العربية بأنها النحو وأن النحو هو اللغة مع العلم أنه شهد مولده منها وأنها سابقة إياه لقد تحدثها العرب بالسليقة وما كان للنحو أن ينشأ لو لا ظهور اللحن وتفشيهِ باللغة فهو إذن بمثابة العقدة التي صعب فكها وعنه يقول الأستاذ عبد الجليل مرتاض : "... ولما كان النحو بالنسبة للعربية غير السليقة من الشر الذي لا بد منه فأن العربية غدت مدونة مخبرية مباحة للتشريع أمام النحويين الذين لم يكونوا كلهم ذوي مستويات تتناسب مع هذه اللغة التي ورثناها مدونة لسانية رفيعة وكاملة، وهو ما أهلها لسعة كتاب الله وأحاديث نبيه واستيعاب حضارات الشرق والغرب وأفكار الثقافات الإنسانية التي هضمتها ثم بلغت بصديق وأمانة إلى أمم وشعوب الدنيا بأسرها"¹.

6-2- منزلة النحو العربي :

يحتل التراث النحوي العربي مكانة متميزة في الثقافة العربية، لحجمه الهائل وكثرة العلماء الذين أقبلوا على دراسته والتأليف فيه، ثم خاصة لحضوره الدائم في ذاكرتنا الجماعية وتوجيهه لكثير من اختياراتنا وسلوكياتنا مهما تنوعت أشكال هذا الحضور والتوجيه²، وقد نبت هذا النحو "عند العرب كما تنبت الشجرة في أرضها" كما أنه "أنقى العلوم العربية

¹ - د. عبد الجليل مرتاض، "في رحاب اللغة العربية"، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 2، 2007، ص 104.

² - عز الدين المجدوب، "المنوال النحوي العربي"، قراءة لسانية جديدة، كلية الآداب، سوسة، دار محمد علي الحامي، ط 1، 1998 ص 11.

عروبة" ويكفي هذا النحو فخرا أن ينعت كتاب سبويه، وهو أو كتاب نحوي "بقرآن النحو" ففي هذا الوصف إشارة واضحة إلى القداسة والاحترام اللذين يحظى بهما النحو في ثقافة العرب¹.

وهذا مما زاد من صناعة النحو وقوة حضوره في ثقافة العرب ارتباطه المكين باللغة العربية وبقيضاها لذا كانت أهمية النحو من أهمية اللغة، وقداسته من قداستها تشير إلى هذه اللحمة القوية تلك الروايات الكثيرة التي تربط نشأة النحو العربي بصون القرآن الكريم من اللحن، بعد اختلاط العرب بالأعاجم وفساد الألسنة.

نشأة النحو :

وقد عرف النحو من ابن جني بقوله : "هو انتحاء سمت العرب في التعريف والإعراب، وغيرها كالتثنية والجمع والتصغير وغيرها للتخلص مما ليس من أصل العربية والاتصاف بما فيها من الفصاحة، ورد شد عنها به إلى العربية.

فالنحو طريق التكلم بكلام العرب على حقيقته من غير تبديل، ولا تغيير به تتحقق الفوائد، وتبين المقاصد، فهو ميزان اللغة والقاموس الذي يحكمها وموقعه من اللغة موقف القلب من الجسم، به يتضح الكلام ويزال اللبس².

فالأغراض كامنة في الألفاظ والنحو مستخرجها إذ يقول الجرجاني : "إن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وإن الأغراض كامنة فيها حتى

¹ - عبد الراجحي، "النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1984، ص 09.

² - محسن علي عطية، اللغة العربية مستوياتها وتطبيقاتها، المرجع السابق، ص 93.

يكون من المستخرج لها، بل هو المعيار الذي لا يتبين نقصان الكلام ورجحانه حتى يعرض عليه، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه" ¹.

فالنحو يصلح اللسان، ويسوي السبيل أمام البيان إذ يقول المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام (رحم الله امرءاً أصلح لسانه) ². وفي فصل النحو قال أحمد العلماء موصياً بنيه: "يا بني أصلحوا من ألسنتكم فإن الرجل لتنوبه النائبة، يستعير الدابة، والثياب ولا يقدر أن يستعير اللسان" ³.

ويروى أن رجلاً قرأ لإعرابي قوله تعالى: "إن الله بريء من المشركين ورسوله" بكسر اللام في رسوله، فقال الإعرابي: أو قد برئ الله من رسوله؟!.

فالنحو يعد مفتاح النور على ما في السطور به تعرف المقاصد، ويزول اللبس، وتتسع اللغة، وتلج حوائج السامعين، وتضاء سبل القارئ، به يسان اللسان من الزلل، وتوفى المعاني من الخلل فهو للمتكلم مقوم اللسان وللكاتب وسيلة البيان ⁴.

وهو من اللغة ركيزتها، ودعامتها عليه تقوم فروع اللغة، وهو وسيلة المستعرب وسلاح اللغوي، وعماد البلاغي، وأداة المشرع ومدخل علوم اللغة العربية كافة وعلاقته بفروع اللغة الأخرى قائمة دائمة، فلا كلام من دونه ولا كتابة ولا أدب ولا بلاغة فهو خادم الجميع ولا استغناء عنه.

¹ - محسن علي عطية، المرجع السابق، ص 93.

² - شهاب الدين ياقوت الحموي، معجم الأدباء، دار الفكر للطباعة والنشر، ط 3، بيروت، 1998، ص 67.

³ - محسن علي عطية، مهارة الرسم الكتابي قواعدها والضعف فيها، الأسباب والمعالجة، دار المناهج، عمان، 2008، ص 183.

⁴ - محسن علي عطية، اللغة العربية مستوياتها وتطبيقاتها، ص 194.

ورب قائل يقول : ما بالنا والنحو نتحتم صعباه، ونواصل البحث في أبوابه ونثني على أصحابه ألم تسمعوا صيحة من قال ¹ :

أه من النحو وأصحابه قد صار من أصحابه نبطويه

أحرقه الله بنصف اسمه وصير الباقي صراخا عليه

فلقد كان أجدادنا قديما يتحدثون وينظمون شعراء ويكتبون نثرا من دون معرفة بالنحو وقوانينه وتركيباته وأسس العلمية ؟.

نقول : نعم هذا صحيح ولكنهم كانوا في بيئة لا يسمعون فيها لحنا فترشحت اللغة إلى أذهانهم صافية عفوية لا شائبة فيها، فكانوا يتكلمون العربية على سجيتهم، فما أن ظهر الإسلام، ودخل الناس فيه من ألسن متفرقة، ولغات مختلفة تسلب الفساد ؟ إلى اللغة فزاغت عن جادة الصواب فمست الحاجة إلى النحو.

وتأسيسا على ما تقدم عد النظام النحوي محور الأنظمة اللغوية، وعد عماد اللغة ومن أبرز خصائصها وضوحا، وعدت دراسته وسيلة لإتقان المهارات اللغوية. ونتيجة مما تقدم فإن علم النحو له موضوعات كثيرة ونحن بأمس حاجة إليه جميعا وهي كالتالي :

- الأسماء الخمسة.
- المثني.
- جمع المذكر السالم.
- جمع المؤنث السالم.
- الممنوع من الصرف.

¹ - ينظر : محسن علي عطية، المرجع السابق، ص 95.

- المقصور والمنقوص وإعرابها.
- المبتدأ والخبر.
- كان وأخواتها.
- إن وأخواتها.
- الأفعال الخمسة.
- الفعل المضارع المعتل الآخر.
- العدد.

6-3- علم الأدب :

يقول ابن خلدون في مقدمته : أن هذا العلم لا موضوع له، ينظر في اثبات عوارضه أو نفيها، وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته، وهي الإجابة في فني المنظوم والمنثور، على أساليب العرب ومناحيهم، فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الكلمة، من شعر عالي الطبقة وسجع متساو في الأجابة ومسائل من اللغة والنحو مبثوثة أثناء ذلك، متفرقة يستقرئ منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية، مع ذكر بعض من أيام العرب، يفهم به ما يقع في أشعارهم منها¹.

وبناء على ما تقدم، حيث يقول ابن خلدون عن كلام العرب وأساليبهم ومناحي بلاغتهم إذا تصفحه أنهم إذا أراد واحد هذا الفن قالوا : الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف يريدون من علوم اللسان أو العلوم الشرعية من حيث مثنونها فقط، وهي القرآن والحديث. إذ لا مدخل لغير ذلك من العلوم في كلام العرب إلا ما ذهب إليه المتأخرون عند كلفهم بصناعة البديع من التورية في أشعارهم وترسلهم

¹ - ابن خلدون، "المقدمة"، ص 1069.

بالاصطلاحات العلمية، والجدير بالذكر، احتاج صاحب هذا الفن حينئذ إلى معرفة اصطلاحات العلوم ليكون حينئذ قائماً على فهمها¹.

فالقُرآن لم يجيء للعرب الجاهليين من أجل إظهار البراعة في التشبيه أو الكتابة، أو الاستعارة أو السجع أو ما إلى هذه البلاغيات اللفظية في تكوينها الأول، وإن كانت بلاغة القرآن الرائعة لا تخطئها العين وليس القرآن كتاباً في الاقتصاد ولا في السياسة ولا في الحرب، وإن كان في إهابه تنظيم محكمة من الاقتصاد والسياسة والحرب وليس القرآن ديواناً منظوماً في الشعر ومكوناته، وإن كانت شخصية الشعر في أرفع مستوياته متحققة فيه، والكلام على الموسيقى في القرآن فيه ما يعني الباحثين في هذا المجال²، وإنما جاء هذا القرآن العظيم للعرب الجاهليين في صورة دعوة واعية مضيئة مبصرة تسلط الضوء على العلاقة بين الإنسان والوجود كله، وعلى الإنسان والطبيعة وعلى الإنسان والإنسان وعلى جوهر الإنسان نفسه، ولكنها قيل ذلك كله تسلط الضوء على العلاقة بين الإنسان وخالقه، خالق الكون والوجود الأكبر من كل القوى³، قال عز وجل: "الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ"⁴.

6-4- البلاغة :

والبلاغة كما رآها رجالها العرب القدامى، هي مخاطبة القلب للقلب ومناجاة النفس للنفس و"بلوغ الرجل بعبارة كنه ما في قلبه" وهي "كلما تبلغ به قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك" بل إنها بتعبير آخر أكثر دقة وتحليلاً بلوغ الكلام إلى منتهاه، حيث

¹ - ابن خلدون، "المقدمة"، المرجع السابق، ص 1069.

² - د. هشام باغي وإبراهيم السعافين وصلاح جرار، "في مناهج النقد الأدبي عند العرب، ص 127.

³ - ينظر: المرجع، نفسه، ص 127.

⁴ - سورة إبراهيم: الآية 01.

"تنهي المعنى إلى قلب السامع في فهمه"، وحيث يصل هذا المعنى في تأثيره إلى غايته ويتصاعد إلى منتهاه حتى ليلبغ حد الأعجاز، وهي أخيرا وليس آخرا "بلوغ المتكلم في تأديته المعاني حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وإيراد التشبيه والمجاز والكناية على وجهها، كما يقول السكاكي¹.

وانطلاقا من هذا، فإن هذه التعريفات أو التغييرات الموجزة بمحملها تفضي في الحقيقة إلى القول بأن البلاغة هي المحك الأساسي في الشعر تعني الانتقال باللغة من الوظيفة الذهبية أو العقلية إلى الوظيفة العاطفة الانفعالية، حيث يكون خطب القلب وتكون مناجاة الإحساس ويتحقق التأثير في النفس...².

والجدير بالملاحظة، فإن هذه اللغة المتميزة بنبزاتها وبلاغتها وتحررها وانطلاقها وسموها وقوة سلطانها هي التي قادت علماء اللغة والنحو أنفسهم إلى تكريس اهتمامهم بالشعر، واعتبار جمعه وحفظه هي آداب اللغوي الأساسية واعتبار ما يرد فيه من ألفاظ اللغة وتراكيبها حجة لا تعارض في معظم ما يرد فيها، وهي التي بعثت طائفة منهم بالتالي على الاعتقاد "بأن الشعر أهم من النثر، وأن مرتبته أعلى منه"³.

والجدير بالذكر، أن الشعر لا يختص باللسان العربي فقط، بل هو موجود في كل لغة سواء كانت عربية أو عجمية، ونذكر في هذا المقام بإيجاز، شديد لقد كان في الفرس شعراء

¹ - د. أحمد محمد المعتوق، "اللغة العليا" (دراسات نقدية في لغة الشعر)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2006، ص 44.

² - نفسه، ص 44.

³ - نفسه، ص 42.

وفي يونان كذلك، وذكر منهم أرسطو في كتاب المنطق : أوميروس الشاعر وأثنى عليه وكان أيضا في حمير أيضا شعراء متقدمون¹.

يقول عباس محمود العقاد فيما تحدث عن اللغة الشاعرة : "إن اللغة العربية وصفت بأنها لغة شاعرة أو لغة شعرية، ليس فقط لأنها لغة يكثر فيها الشعر والشعراء، وأنها لغة موسيقية تستريح الآذان والنفوس لوقع ألفاظها وأصواتها وحروفها، وأنها تشابه الشعر في قوامه وبنائه من وزن وحركة وإيقاع²، ليس لذلك فحسب، بل لأنها كذلك لغة يتلاقى فيها تعبير الحقيقة وتعبيرا مجاز على نحو لا يعهد له نظير في سائر اللغات، فاللغة العربية تتميز بأنها لغة مجاز، ليس لكثرة التعبيرات المجازية فيها وإنما لأنها تجاوزت تعبيرات المجاز حدود الصور المحسوسة إلى حدود المعاني المجردة، وانتقلت فيها الرسوم إلى حروف وكلمات، فأصبح القمر فيها بهاء والزهرة نضارة والغصن اعتدال ورشاقة والطود وقار وسكينة"³.

وفي هذه المرحلة فإن اللغة تمتاز بأدوات التعبير الشعرية ومكونات القصيدة الأساسية والوسائل التي يرسم بها الشاعر والمبدع أبعاد تجرته ويجسد أحلامه آراءه العميقة.

6-5- البيان والبلاغة والفصاحة

وبدءا بإبن وهب يتخذ (البيان) منحى فلسفيا، يبعد به عن مجال التعبير الأدبي الذي نحن بصدد، لذلك نعود إلى التنوخي وهو من علماء القرن السابع الهجري حين استقرت مصطلحات البلاغة، نتبين (دلالة البيان)، قال التنوخي : الفصاحة، البلاغة والبيان ألفاظ تشترك في كثير من المعاني، ويختص كل واحد منها بما ليس للآخر، فالفصاحة أصلها

¹ - ابن خلدون، "المقدمة"، ص 1124.

² - عباس محمود العقاد، "اللغة الشاعرة"، مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية، المكتبة العربية، بيروت، د ت، ص 06.

³ - ينظر : المصدر نفسه، ص 26-27.

الخلوص من الشوائب ... وهي أعم من البيان من وجه، والبيان أعم من الفحاصة من من وجه، لأن البين قد لا يكون كلاماً، والخالص من الشوائب قد لا يكون بيناً، وكذلك البلاغة فهي تتعلق بالمعنى فقط، وهي أن يبلغ المعنى من نفس السامع مبلغه ومما يعين على ذلك الفصاحة، فالبيان أعم من كل من الفصاحة والبلاغة لأن كل واحد منهما من مادته وداخل في حقيقته ولذلك قلنا : علم البيان، وتكلمنا فيه في الفصاحة والبلاغة وغيرهما، وعلى هذا سار العلماء فأطلقوا البيان على البلاغة، وذلك لأن دلالة المصطلحين تنطلق من منطقة مشتركة، وهي التعبير الفصيح المعرب عما في الضمير، ولاشك، من جهة أخرى، أن للبلاغة بعلومها الثلاثة، علاقة أكيدة بكيفية ذلك التعبير¹.

أما علم البيان، بوصفه أحد علوم البلاغة الثلاثة، فهو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه، أي على المعنى وهو يضم مباحث التشبيه والحقيقة والمجاز، الإستعارة، والكناية.

6-6- البيان في اللغة :

أصل البيان، في اللغة، الظهور والكشف والوضوح، وقد جمع المعجم هذه المعاني، فبان الشيء : اتضح، واستبان الشيء : ظهر، وأطلق البيان على الرجل، فكان البين من الرجال هو الفصيح، السمع اللسان، وبهذا صار البيان فصاحة، وصار الكلام البين هو الفصيح، أي تداخل معنى البيان والفصاحة، ومن ثم قيل : البيان إظهار المقصود بأبلغ لفظ، وهو من حسن الفهم وذكاء القلب مع اللسان².

¹ - محمد كريم الكواز، أبحاث في بلاغة القرآن الكريم، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان ط 1، 2006، ص 43.

² - ينظر : المرجع نفسه، ص 33.

وقد وردت كلمة البيان في القرآن الكريم بمعنى الظهور والإيضاح، قال تعالى : " هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ " ¹، وقال : " فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (19) " ² إلا في قوله تعالى : " الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4) " ³، فإن البيان هنا يدل على تفرد الإنسان بمزية البيان، وهو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير.

6-7- الفصاحة في القرآن الكريم.

الفصاحة في اللغة الخلوص والنقاء من الشوائب، وهذه الدلالة تعم مفردات المادة اللغوية، وتتنوع بحسب استعمالاتها، فاللبن الفصيح يعني ذهاب اللبأ عنه وكثرة محضه وذهاب رغوته، والكلام الفصيح هو الكلام العربي الخالص من العجمة، وفصح فصاحة أي انطلق لسانه في القول، عارفاً جيد الكلام من رديئه ⁴.

إن هذا المعنى يختلف عن معنى البيان الذي هو الظهور والإبانة، على الرغم من أن لهما أصلاً واحداً، إذ إن الفصاحة ليست من مجرد البيان والوضوح والظهور، ولو أنها كانت كذلك، لكان الناس كلهم فصحاء، أما دلالتها على البيان والوضوح، فتالية لدالتها على الخلوص متوقعة عليها، وهي قبيل تحصيل الحاصل، لأن الأشياء لا تتضح ولا تبين إلا إذا خلصت مما يشوبها ⁵.

¹ - سورة آل عمران، الآية : 138.

² - سورة القيامة، الآية : 18-19.

³ - سورة الرحمن، الآية : 1-4.

⁴ - محمد كريم الكواز، أبحاث في بلاغة القرآن الكريم، ص 57.

⁵ - ينظر : المرجع نفسه، ص 57.

أما عن الصلة بين الفصاحة والبلاغة، فلقد أشير منذ زمن الجاحظ إلى أن الفصاحة مما يتعلق باللفظ، وأن البلاغة مما يتعلق باللفظ والمعنى، وقد ألمح الجاحظ إلى هذه التفرقة في قوله، فمن زعم أن البلاغة أن يكون السامع فيهم معنى القائل، جعل الفصاحة واللكنة والخطأ والصواب والإغلاق والإبانة والملحون والمعرب كله سواء وكله بيانا¹.

وقد أفادت معجزة القرآن الكريم من الجانب الصوتي إفادة مهمة، وأثرت تأثيرا بالغا في نفوس العرب، أيام النزول ومازالت، فتحسسوا فصاحة القرآن المعجزة، وهو ذوو الفصاحة واللسان وحلاوة المنطق، وقد أمر سبحانه بترتيل القرآن حيث قال: " وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا"². والترتيل أداء أصوات القرآن بإجادة، تعطي لكل صوت حقه من المخرج والصفة لينساب كلام الله دون تعجل أو تعثر، وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا ابن عباس إذا قرأت القرآن فرتله ترتيلا. قال: وما الترتيل؟ قال: بينه وبيننا، ولا تنثره نثر الدقل، ولا تمده هذ الشعر، وقفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكونن هم أحدكم آخر السورة.

وتفسير قوله تعالى: " وَلَقَدْ نَعَلِمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ"³، قيل: كان القرآن معجزا لما فيه من الفصاحة العائدة إلى اللفظ... وإذا قلنا: كلام الله فصيح عيننا به هذه الألفاظ.

¹ - الجاحظ، البيان والتبيين، ص 162.

² - سورة المزمل، الآية: 04.

³ - سورة النحل، الآية 103.

6-8- السجع وغيره من أسباب سعة اللغة :

إن كثرة المترادفات في اللغة العربية وتعداد المعاني للفظ الواحد جعلتها وسعة التعبير وسهلت على أصحابها التسجيع، وكان التسجيع شائعا في الجاهلية بلغة الكمان على أساليب يستقبحها أهل اللغة لغرابة ألفاظها وركاكة تركيبها.

ومن نتائج سعتها اقتدار أصحابها على كتابة المعنى الواحد بعدة تراكيب بين عاطل ومهما ومنقط أو مشترك وقد علمنا أن بعضهم كتب تفسير القرآن بألفاظ ليس فيها حرف منقط، وأيضا هناك تراكيب يشترط فيها إذا قرأ لا لثغ لا تظهر لثغته لخلوها من الراء، وقد خطب واصل بن عطاء خطبة طويلة لم يرد فيها حرف الراء، وكان إذا قال شعر لم يورد فيه حرف الراء على الإطلاق¹ وذلك لا يتيسر في اللغات الأفرنجية وقد جرب بعضهم كتابة أسطر بالألمانية بدون راء فلم يستطع ذلك إلا بشق الأنفس.

6-9- فضل اللغة العربية :

وبناء على ما تقدم، فإن فضل الإسلام على اللغة العربية يظهر في غزارة مادتها وبراعة أساليبها واتساع مذاهب بيانها، وكثرة الأغراض التي يتسابق إليها فرسان الخطابة والكتابة، وعلى هذا الأساس فاللغة العربية فضل من جهة اعتد لها كلماتها، فأنا نجد أكثر ألفاظها قد وضع على ثلاثة أحرف، وأقل من الثلاثي ما وضع على أربعة أحرف وأقل من الرباعي ما وضع على خمسة أحرف، وليس في اللغة كلمة ذات ستة أحرف أصلية، وقد جاءت ألفاظ قليلة جدا على حرف واحد أو على حرفين².

¹ - جورجى زيدان، تاريخ أداب اللغة العربية، الجزء الأول، دار الحدائثة، بيروت، ط 02، 1982، ص 44.

² - محمد الخضر الحسين، "دراسات في العربية وتاريخها"، ص 17.

وأشار السيوطي في المزهري إلى فضيلة اللغة العربية وجمعها في عدة عناصر¹ :

- قلب الحرف مثل قولنا ميعاد بدلا من موعود وكذلك الإدغام وتخفيف الكلمات بالحذف.
- الإعراب : وهو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ وبه نستطيع التمييز بين الفاعل والمفعول وبين التعجب والاستفهام والنعته والتأكيد.
- التعويض : وهو إقامة الكلمة مقام الكلمة كإقامة المصدر مقام الأمر والفاعل مقام المصدر مثل (ليس لوقعتها كاذبة).
- التقديم والتأخير : كما هو الحال في تقديم الخبر على المبتدأ والمفعول على الفاعل.
- زادت على الأصوات في أخواتها السامية : الثاء - الذال - الغين - الضاد.
- إن مجموع اصوات حروفها لسعة مدرجها الصوتي سعة تقابل أصوات الطبيعة في تنوعها وسعتها.
- الحروف العربية تدرج وتتوزع في مخارجها بين الشفتين من جهة وأقصى الحلق من جهة أخرى.
- من أوسع أخواتها السامية في قواعد النحو والصرف وأدقها فقد انفردت بصيغ التصغير دون أخواتها مع كثرة مفرداتها.
- والجدير بالذكر، مما تتصور فلها أيضا فضل من جهة فصاحة مفرداتها، فليس في كلماتها الجارية في الاستعمال ما يثقل على اللسان أو ينبوعه لسمع في صياغة الكلام أن

¹ - محمد الخضر الحسين، المرجع السابق، ص 18.

يضع من مفرداتها المأنوسة الوضاعة قطعاً أو خطباً أو قصائد تشوق الأسماع وتسحر الألباب.

6-10- تطور اللغة العربية :

يرجع الباحثون أسباب رقي اللغة العربية إلى ثلاثة مصادر¹:

أولاً : القرآن الكريم وما جاء به من صورة النظم البديع، والتصريف في لسان العرب على وجه يملك العقول فإنه جرى في أسلوبه على منهاج يخالف الأساليب للمعتادة للفصحاء قاطبة وإن لم يخرج عنا تقتضيه اللغة.

ثانياً : ما تفجر من أقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينابيع الفصاحة وما جاء في حديثه من الرقة والمتانة والإبانة عن الغرض بدون تكلف.

قال أبو بكر الصديق : يا رسول الله لقد طفت في أحياء العرب فما رأيت أحداً أفصح منك.

قال النبي : وما يمنعي وأنا قرشي وأرضعت من بني سعد وبنو سعد أفصح قبيلة في العرب بع قريش.

ثالثاً : ما أفاضه الإسلام على عقولهم بواسطة القرآن والحديث من العلوم السامية وما نتج عنه من تعارف القوم والقبائل.

¹ - محمد الخضر الحسين، "دراسات في العربية وتاريخها"، ص 19.

7- مكانة العقل والفكر في القرآن :

جاءت مادة (ع ق ل) في القرآن الكريم 49 مرة كلها -إلا- واحدة جاءت بصيغة الفعل المضارع، وخصوصا ما اتصل به واو الجماعة : "تعقلون"، و "يعقلون".

ولم يمض سوى نصف قرن من نزول القرآن الكريم على رسول الله محمد بن عبد الله (ص) حتى بدأت العلوم المختلفة تأخذ طريقها إلى عقول هذه الأمة خاصتها وعامتها، وأخذت عقول المسلمين تنمو وتخصب وتنتج، إلى أن أصبحت موردا عذبا ومنهلا صافيا للأمم والشعوب كافة، كما يقول عارف تامر مع قليل من التصرف. والمقصود بالعقل المسلم هنا، هذا العقل الذي تمثل الآيات والأحاديث التي لفتت إلى استخدام التفكير، والتدبر والتعقل في النظر إلى ما حولها¹.

7-1- العلم والعقل ومكانتهما في القرآن الكريم :

لا يمكن أن يزدهر العلم، وتتأصل جذوره، وتمتد فروعه، بل لا يمكن أن ينشأ علم صحيح إلا في مناخ نفسي وفكري يهيء للعقول أن تفكر، وللأفكار أن تتفتح، وللآراء أن تناقش ولصاحب الحجة أن يدلي بحجته، وهذا ما يعمل القرآن على إيجاد في الحياة الإسلامية، وبعبارة أخرى يعمل القرآن بدعوته القوية، وبتوجيهاته المتكررة على تكوين "العقلية العلمية" المتحررة التي لا ينهض علم إلا على عاتقها².

7-2- العقل والعلم :

ومن هنا نطرح السؤال قائلين : هل للعقل دور في بناء المعرفة العلمية؟.

¹ - علي بن إبراهيم النملة، "التواصل الحضاري بين الأمم"، في ضوء تناقل العلوم والآداب والفنون، منشورات الجمعية التاريخية السعودية، الرياض، شوال 1435 هـ/ أغسطس 2014، ص 57.

² - يوسف القرضاوي، "العقل والعلم في القرآن الكريم"، مكتبة وهبة، القاهرة، ص 249.

فانطلاقاً من هذا، فالمعرفة العلمية تتم على مستوى العقل، فهو الذي يتصور شروطها وسائلها، فيمكن القول حينئذ أن الملاحظة الخالصة والتجربة الساذجة لا تكفيان لبناء العلم فباستطاعتنا أن نحكم على الفكرة أنها مبدأ كل برهنة وكل اختراع وإليها ترجع كل مبادرة.

وفي هذا السبيل للعلم فضل كبير في نقل الإنسان من الفكر اللاعلمي إلى الفكر العلمي، ومن غياب الخرافة والسحر إلى نور الملاحظة المؤسسة على مبدأ العلاقات الثابتة بين الظواهر والتحليل الموضوعي.

إن العلم في الجملة، يهذب العقل ويعلمه يهذه ليتجاوز الخرافة والسحر، ويعلمه فهم الظاهر والتنبؤ بحركاتها والتحكم فيها ويميل العلم بعد الفهم والتنبؤ إلى التحقيق وتغيير العام يقول "أ. كونت" "بالعلم يكون التنبؤ، وبالتنبؤ يكون العمل".

2-7- تنوع العلم في لسان القرآن :

وبناء على ذلك، فالعلم الذي نوه به القرآن وجعلت به آياته، يشمل كل معرفة تنكشف بها حقائق الأشياء، وتزول به غشاوة الجهل والشك عن عقل الإنسان، وسواء أكان موضوعه الكون والطبيعة أم موضوعه الإنسان، أم موضوعه الوجود والغيب، وسواء أكانت وسيلة معرفته الحس والتجربة أم وسيلة العقل والبرهان، أم وسيلته الوحي والنبوة¹.

"...اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ..... مَا لَمْ يَعْلَمْ"²، أي أكسبه من العام ما لم يكن حاصلًا له بعد أن كان علقه ومضغة فقد كشفت لنا طبيعته وذاته ما هو عليه من الجمل الذاتي والعلم الكسبي وأشارت إليه الآية الكريمة تقرر فيه الإمتنان عليه بأول مراتب

¹ - يوسف القرضاوي، "العقل والعلم في القرآن الكريم"، ص 149.

² - سورة العلق : الآية 08 .

وجوده، وهي الإنسانية وحالنا الفطرية والكسبية في أول التنزيل ومبدأ الوحي وكان الله عليماً حكيمًا.

وفي القرآن الكريم نقرأ أيضا : " إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ " ¹ ، بهذه الصيغة الحاصرة التي أفادها كلمة "إنما" بمعنى أنه لا يخشى الله من عباده إلا العلماء الذين عرفوا عظمتهم، وقدره حق قدره، وأهل الخشية هم الذين ذكر الله جزاءهم بقوله : " جَزَاءُ هُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ " ² .

فالعلم هو جملة المعارف التي بلغت درجة كافية من الدقة والشمول والقابلية للتأكد من صحتها وبنيت عليها تطبيقات علمية.

7-3- بيان فضل العلم ومنزلة السامية :

إن فضل العلم لعظيم، وإن شرفه لعال رفيع فكم من وضع رفعه العلم إلى مصاف الشرفاء، وكم من حفير نظمه العلم في سلك العظماء، به شرف آدم في الملأ الأعلى وبه فاز أهله بالدرجات العلى : قال الله تعالى : " رَفَعَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ " ³ ، ولو لم يكن العلم أشرف شيء في الحياة لما طلب الله جل جلاله من رسوله أ يسأل المزيد منه في قوله " وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا " ⁴ .

¹ - سورة فاطر : الآية 28.

² - سورة البينة : الآية 08.

³ - سورة المجادلة : الآية 11.

⁴ - سورة طه : الآية 114 .

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله (ص) : "... ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة"، في ظل هذا الحديث الجليل الشريف، دليل قوي وشاهد عظيم على ما للعلم الشرعي من فضيلة عظيمة، وكيف لا والعلم فائد إلى الجنة، وهذا إلى صراط مستقيم¹.

وكذا قوله (ص) فيه : "وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده"، وفي هذا السبيل فأن في هذا الخبر النبوي الصحيح ما يدل على فضل العلم وشرفه بما لا مزيد عليه².

7-4- إيضاح وتحليل الحديث الشريف :

إن نزول السكينة على متدريسيه، وغشيان الرحمة الجالسين له، وحف الملائكة بمجلسهم وإحاطتهم بهم تكريما لهم ورضي بضييعهم مع ذكر الرحمن لهم في ملاء الملائكة الذي هو خير ملاء وأشرفه لأقوى دليل على أفضلية العلم، وما له من فضل وشرف على سائر الطاعات والقربات وفي قوله (ص) في الصحيح "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين" ما يؤخذ على هذا التفسير أن الخير كل الخير في الفقه في الدين بمعرفة عقائده وعاداته وأحكامه وآدابه.

روى عن عمر رضي الله عنه قال رسول الله (ص) : ما أكتسب مكتسب مثل فضل علم يهدي صاحبه إلى هدى أو يرد عنه ردى وما استقام دينه حتى يستقيم عمله".

¹ - أبو بكر جابر الجزائري، "العلم والعلماء"، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، ب ط، 1405 هـ - 1985 م، ص 17.

² - المرجع نفسه، ص 18-19.

ويقصد بهذا التوضيح على فضيلة العلم في أنه خير ما يكتسب المرء في هذه الحياة فهو أفضل حتى من نوافل العبادات¹، انطلاقاً من هذا التوجه، حيث أخرج مالك في الموطأ بلاغا فقال : أن لقمان الحكيم أوصى ابنه فقال : يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتك فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة، كما يحيي الله الأرض الميتة بوابل* السماء"².

7-5- في علوم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام :

إننا نجد هذا الصنف من البشر، تعثرهم حالة إلهية خارجة عن منازع البشر وأحوالهم فتغلب الوجهة الربانية فيهم على البشرية في القوى الإدراكية والنزوعية من الشهوة والغضب وسائر الأحوال البدنية، فتجدهم منزهين عن الأحوال الربانية، من العبادة والذكر لله بما يقتضي معرفتهم به، مخبرين عنه بما يوحي إليهم في تلك الحالة، من هداية الأمة على طريقة واحدة وسنن معهود منهم لا يتبدل فيهم كأنه جبلة فطرهم الله عليها³.

وعلمومهم في تلك الحالة علم شهادة وعيان، لا يلحقه الخطأ والزلل، ولا يقع فيه الغلط والوهم بل المطابقة فيه ذاتية لزوال حجاب الغيب وحصول الشهادة الواضحة، عند مفارقة هذه الحالة إلى البشرية لا يفارق علمهم الوضوح، اصطحاباً له من تلك الحالة الأولى⁴، حيث يتردد ذلك فيهم دائماً إلى أن تكمل هداية الأمة التي بعثوا لها، كما في قوله

¹ - أبو بكر جابر الجزائري، "العلم والعلماء"، المرجع السابق، ص 21.

² - نفسه، ص 20.

* - الوابل : هو المطر الغزير.

³ - ابن خلدون، "المقدمة"، ص 845.

⁴ - ينظر : المرجع نفسه، ص 846

تعالى : " قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ، فاستقيموا إليه واستغفروه" ¹.

7-6- فضل العلم على الأنبياء :

وفي عدد من قصص الأنبياء والمؤمنين في القرآن يتبين لنا قيمة العلم وفضله عند الله، وعند الناس وأثره في الدين وفي الدنيا معا، وكل الأنبياء والرسل في القرآن أتاهم الله العلم، وإن رفع الله بعضهم درجات.

7-6-1- نوح عليه السلام :

في قصة نوح نراه يجادل قومه بعلم وحجة قوية، فيفحمهم ولا يجدون أمامهم ما يجيبون به، أو يردون على حججه، فماذا كان موقفهم؟ قالوا : " قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ، قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ" ².

7-6-2- سيدنا إبراهيم الخليل :

وفي قصة إبراهيم يقول الله تعالى : " وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ"، إلى أن يقول : " وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ" ³.

¹ - سورة فصلت : الآية 06 .

² - سورة هود : الآية 32-33.

³ - سورة الأنعام : الآية 75-83.

7-6-3- لوط عليه السلام :

وفي قصة لوط قال تعالى : "وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ"¹ ، وفي هذا السبيل قدرنا ثمار حكمته وعلمه في حوار مع قومه الذي ذكر في سورة الشعراء، وسورة هود، وغيرها من السور.

7-6-4- يوسف الصديق :

وكذلك في قصة يوسف يقول الله تعالى : " وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ"² ، " وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ"³ ، وقد نشره أبوه من قبل حين قص عليه رؤياه وهو صبي، فقال : " وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رُبُّكَ وَبُعَلُّمَكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ"⁴ .

ونذكرهنا أيضا، حديث أبي الدرداء رضي الله عنه إذا قال سمعت رسول الله (ص) يقول : من غدا يريد العلم يتعلمه لله، فتح الله له بابا إلى الجنة وفرشت له الملائكة أكنافها* وصلت عليه ملائكة السموات وحياتان البحر، وللعالم من الفضل على العابد كالقمر ليلة البدر على أصغر كوكب في السماء، والعلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ولكنهم ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظه⁵ .

¹ - سورة الأنبياء : الآية 74.

² - سورة يوسف : الآية 22.

³ - سورة يوسف : الآية 06.

⁴ - سورة يوسف : الآية 54- 55.

* - أكنافها : فرشت له أجنحتها واكتنفته أي أحاطت به من جميع الجهات. العلم والعلماء).

⁵ - أبو بكر جابر الجزائري، المرجع السابق، ص 26.

ودلالة هذا الحديث، يمكن في الأساس على فضل طالب العلم ظاهرة في كونه يفتح الله له بابا إلى الجنة والملائكة تحتفي به وتصلي عليه وما كان هذا إلا لفضيلة العلم فدل الخبر على فضل العلم وفضل طالبه معا.

ومن ثواب طلب العلم الشرعي وفضله، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : (الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه، وعالما أو متعلما)، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال سمعت رسول الله (ص) يقول : نظر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع¹.

وهناك أقوال كثيرة فيما يخص فضل العلم، فنحن أخذنا منها إلا البعض، وعلى هذا فيجب علينا أن نعطي قيمة كبيرة للعلم، ففضله ازدهرت الدول وتقدمت في مختلف المجالات، وأصبحت تنافس ما بينها في التكنولوجيا هكذا إذا كما يقول الجاحظ في فضل العلم :

يَطِيبُ الْعَيْشَ أَنْ تَلْقَى حَكِيمًا غَدَاهُ الْعِلْمُ وَالظَّنُّ الْمَصِيبُ
فَيَكْشِفُ عَنْكَ حَيْرَةً كُلَّ جَهْلٍ فَفَضْلُ الْعِلْمِ يَعْرِفُهُ الْأَدِيبُ
سَقَامَ الْحَرِصِ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ وَدَاءُ الْجَهْلِ لَيْسَ لَهُ طَبِيبُ

وفي ظل هذا الاهتمام لفضيلة العلم قول القاضي الجرجاني :

ما تطعمتُ لذة العيشِ حتى صرتُ للبيتِ والكتابِ جليسا
ليس شيءٌ أعزُّ عندي من العلم فلم أبتغي سواه أنيسا

¹ - محمود شمس، "ميراث النبي (من ثواب العمل الصالح)"، دار الخلدونية، ب ط، 2008، ص 05.

وهكذا أصبح العقل العربي في القرنين الثاني والثالث عقلا متفلسفا كما أصبح عقلا علميا لا من حيث فهمه وفقهه لهذه العلوم بل أيضا من حيث إسهامه فيها، وكان هذا العقل قد أظهر نضجه العلمي واحكامه لوضع العلوم منذ القرن الثاني متجليا في العلوم العربية الخالصة ومن تم كانت اللغة العربية هي البوتقة التي انصهرت فيها كل تلك المعارف والعلوم والثقافات، فكيف استجابت لغة البدو ولهذا التطور الضخم في حياة المتكلمين بها؟¹.

يجيب حلمي خليل على هذا السؤال العلمي قائلا : "الحق لقد كان للقرآن الكريم فضل كبير في نقا هذه اللغة من البداوة التي تعتمد أكثرها ما تعتمد على الحس والشعور إلى مرحلة النضج العقلي وذلك بما أضفى على ألفاظها من دلالات جديدة وارتفع بها إلى آفاق من التجريد العقلي كان من العوامل الأساسية التي مهدها أمام هذه اللغة لاستقبال هذا السبيل من المعارف والعلوم"².

كما يقول الله تعالى في كتابه العزيز : "وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ"³، فلقد حث القرآن الكريم على تحرير العقل البشري من الخرافة والجهل، والارتقاء بوعي الإنسان وتطهيره من براثن الجاهلية ولهذا احتل الحث على استخدام العقل، والدعوة إلى التفكير والتدبر، والنظر، مساحة واسعة من القرآن.

¹ - حلمي خليل، "المولد"، ص 308.

² - نفسه، ص 308.

³ - سورة العنكبوت : الآية 43.

8- العربية ومؤامرة التغريب:

مضت العربية حقبا طويلة تخدم التواصل والفكر والعلم والدين، إلى أن اصطدمت بحملات المؤامرة. والمؤامرة على العربية قديمة قدم المؤامرة على الدين، وقد لبست في بعض حلقاتها ثوب البحث العلمي، وهي صورة خادعة تجدها لمن يلم بخيوط المؤامرة استجابة ساذجة.¹

ومن المعروف أن العربية كانت منحصرة في شبه الجزيرة قبل الإسلام، ثم بدأت تنتشر معه في كل اتجاه، اصطدمت مع لغات كثيرة أثرت فيها وتأثرت بها بعض التأثير، ولكنها سادت وعمت، وهي الآن تواجه صراعا شديدا بسبب ظهور جديد للحضارة والعلم الذي يفرض على العربية أن تستوعبه، وبسبب وجود لغات تنازعها البقاء، بعضها محلي وبعضها أجنبي، ولا بد أن تقاومها وتظهر عليها، وهي مطالبة بأن تتفوق على اللغات واللهجات، وتعبّر عن الحضارة والعلم، وأن تستعيد دورها في إطار الجامعة الإسلامية بعد أن سلبتها إياه الجامعة اللاتينية، وذلك بأن تستعيد مكانتها على السنة المسلمين ونمط تفكيرهم.²

تقول الأستاذة عائشة عبد الرحمن: "ليست عقدة الأزمة في اللغة ذاتها، العقدة -

فيما أتصور - هي أن أبناءنا لا يتعلمون العربية لسان أمة ولغة حياة، وإنما يتعلمونها بمعزل عن سليقتهم اللغوية: قواعد صنعة وقوالب صماء، تجهد المعلم تلقينا والتلميذ حفظا، دون أن تكسبه ذوق العربية ومنطقها وبيانها".³

¹ - ميخائيل نعيمة "بين العامية والفصحى" (الأعمال الكاملة) دار العلم للملايين - بيروت، ط1، مارس 1973، ص 356.

² - نفسه، ص 356.

³ - عائشة عبد الرحمن، "لغتنا والحياة" دار المعارف، بمصر، د.ط 1969، ص 187.

إن وجود لغة عليا للفكر والأدب والعلم، مع لهجات محلية للتعامل، ظاهرة طبيعية عرفت العربية منذ قديمها الجاهلي، وتعرفها الدنيا في سائر اللغات الحية.¹
 فظلت اللغة العربية لغة الدين والدولة والعلم والتعليم إلى يومنا هذا.

8-1- الاستعمار الغربي والنهضة اللغوية الأولى :

تشكل عصور النهضة تغيراً، كان له كبير الأثر في إنحاض العقول من غفلتها، وفي إخراجها من ديار العصور السابقة التي عم فيها الجهل، وسيطرت العجمة وتفشت الأمية، في دار الإسلام والعرب من أديانها حتى أقصاها. وظهر قبس النهضة الأولى، منذ مطلع القرن التاسع عشر، وحدثت فيه تغيرات كثيرة سياسية واجتماعية وعقلية وفكرية وأدبية وعلمية.²

كانت اللغة العربية سلاح تلك الشعوب الذي جاجت به السيطرة الأوروبية التي عملت على عرقلة انتشار اللغة ونمو الفكر والثقافة الإسلامية. وكان للطباعة والصحافة والمدارس والمكتبات والجمعيات والجامع دور في تحرير الشعوب الإسلامية والعربية من الخمول والجمود الذين شلا مظاهر الحياة. وحاولت طائفة من العلماء فرض اللغة العربية كأداة للتعبير في السياسة والقضاء والعلم والأدب، وأوصت بتقديم المعنى على اللفظ، فكان هذا الطور الأول لمحاولات انطلاق "النهضة اللغوية الأولى".³

وهكذا حاول الاستعمار محاربة العربية، بلهجاتها الشعبية للوصول إلى تمزيق نسيج الأمة وفك وحدة اللغة والمزاج والفكر والفعل، وليجعل من الأمة الإسلامية عقليات متضاربة بدلا من عقلية واحدة.

¹ - عائشة عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 93.

² - رمون طحان، دنيز بيطار طحان، "اللغة العربية وتحديات العصر"، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص 25.

³ - ينظر : المرجع نفسه، ص 25.

فكان هذا الاتجاه الاستعماري يحاول إحلال لغته محل العربية. وقد كانت "الجزائر" بحكم سبق الاستعمار إليها، حقل التجربة في غزو الاستعمار لغرب العالم الإسلامي، ومصر في قلب المشرق، حيث كانت ميدانا لتجربة تمزيق الوحدة اللغوية.

8-2- نموذج من أبطال الجزائر: "الشيخ عبد الحميد ابن باديس"

لقد اجتاز هذا الزعيم الروحي، بمواطنيه، بحر اليأس، ونقلهم إلى الشاطئ الآخر... فرسم بذلك منعطفًا حادًا في تاريخ المجتمع الجزائري، في ظل ذلك الاستعمار الرهيب.

يقول المفكر الإسلامي الجزائري الكبير "مالك بن نبي" إن الجزائر ما قبل ابن باديس، كانت البطولات فيها تتمثل في "جرأة الفرد" في "قوة رجل"، فلم تكن حوادثها تاريخًا بل قصصًا ممتعة، "ولم تكن صيحاتها صيحات شعب بأكمله، وإنما كانت مأساة ضمير لصاحبه، لا يصل صدها إلى الضمائر الأخرى فيوقفها من نومها العميق".

ويعتبر أن معجزة الحياة في الجزائر قد بدأت بصوت "ابن باديس"، الذي أيقظ "المعنى الجماعي" وحول مناجاة الفرد إلى حديث الشعب.

أحيا "ابن باديس" روح القرآن في قلوب المسلمين، في الوقت الذي كان الاستعمار قد أجهز على هذه القلوب طامحًا إلى فرنستها. وكان المبشرون يلقنون المسلمين أنهم أوروبيون مسيحيون في أصولهم، وأن العروبة والإسلام أجنيبان عنهم!!

ولكن ما لاحظته المستشرق الفرنسي "ماسينيون" الضالع مع الاستعمار، أنه كانت - رغم هذا كله - تسود الجزائر عاطفة بدت له غريبة جدًا، تلك هي طموح المسلمين إلى أن ينفذوا بدينهم إلى عقول الفرنسيين وأرواحهم.

وقد لاحظ أن كتابا من الجزائريين - كانوا يجيدون اللغة الفرنسية إجادة تامة - راحوا يستخدمونها في بث الدعاية في فرنسا، المعرضين بحكم ظروفهم لخطر الخروج عن أصول الدين، بل لكي يدخلوا إلى الدين الإسلامي من يستطيعون من الفرنسيين، وقد وفقوا فعلا إلى غرضهم، حيث دخل في الإسلام بعض الفرنسيين من الرجال والنساء.

لقد ناضل الشعب الجزائري طويلا، وتحمل من أفانين التعذيب والفتك والتدمير ما جعله من أعظم شعوب العالم صبورا على المكاره وشجاعة وثباتا وتفانيا ... ذلك أن قيم العروبة والإسلام، والمبادئ العالية التي كان قد أوجها في الصدور، الإمام ابن باديس وصحب الميامين، قد أثمرت الآن ... فكان الثوار - قادة وجنودا - هم أولئك الذين تشربوا مبادئه فأشربت نفوسهم صلابة وعزما ومضاء.

وحقيقة "ابن باديس" أن يوصف، بصنيعه الهادئ المستمر على ممر السنين إذ كان الشعور وشحد الهمم، بأنه - كما عبر الدكتور محمود قاسم* - هو "الرجل السهل الممتنع الذي بدأ ينحت في الصخر نحت خريز الماء الهادئ، حتى أتى على الصخر وأزاله من طريق هذه الأمة"¹.

وفي مجال اللغة العربية، جاهد الإمام عبد الحميد في سبيل أن تكون العربية في مكانها الشرعي في الجزائر، إذ هي لسان دينها ووعاء قرآنها وكان يرى أن اللغة أقوى في توحيد الأمة من العرق والدم، وفي هذا المجال يقول: "... تكاد لا تخلص أمة من الأمم لعرق واحد وتكاد لا تكون أمة من الأمم لا تتكلم بلسان واحد، فليس الذي يكون الأمة ويربط

*- في كتابه "الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية"، دار المعارف بمصر 1968.

¹ - الشيخ عبد الحميد ابن باديس، نوايغ العرب، دار العودة - بيروت 1976.

أجزائها ويوحد شعروها، ويجهها إلى غايتها هو هبوطها من سلالة واحدة، وإنما الذي يفعل ذلك هو تكلمها بلسان واحد.

ويطيب لنا أن نقول بأن الأمة العربية قد أنجبت على ترابها أبطالاً ونوابغ لعبوا دوراً رائعاً في الجهاد المسلح وفي الصراع الحضاري، وكانت مسيرتهم وما تزال ضئوا يكشف للأجيال عظمة هذه الأمة العربية التي أنجبتهم.

8-3- اللغة العربية والعلم والتكنولوجيا :

بلغ العلم في العصر الحديث أوجه، إلا أنه لم يكن للمسلمين اليوم قسط يذكر في هذا التطور، لعدة عوامل داخلية وخارجية.

لقد حث الإسلام على اقتباس كل علم نافع، ولو كان من عند غير المسلمين، فقد روي في الأثر: "الحكمة ضالة المؤمن، أنى وجدها فهو أحق بها". وقال الإمام علي رضي الله عنه: "العلم ضالة المؤمن، فخذوه ولو من أيدي المشركين".

وينطبق هذا أكثر على نتائج العلوم المادية المحضة، التي لا تصطبغ بعقائد أصحابها ولا بأفكارهم، لأنها قوانين كونية عامة، ويخضع لسننها المؤمن وغير المؤمن.

قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾¹.

فلا يخالف عاقل في فضل العلم وجليل محله، فهو على رأس الفضائل، وأحقها بالتقديم، وأسبقها في استجاب التعظيم، وهو السبيل إلى خير المنازل، والدليل على كل

¹ - سورة آل عمران، الآية : 110.

الفضائل، وذروة المناقب ومنامها، ولو لاه لما بان الإنسان من سائر الكائنات إلا بالصورة والهيئة.¹

هذا، ولقد أصبح في زماننا مهجورا مزهودا فيه، فأصبح يعاني غربة وقلة، نبه عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين قال في الحديث الذي رواه إسماعيل بن أبي أويس عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن عمر بن العاص: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فستلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا".²

فأكثر الناس في هذا الزمان ناكبون عن سبيل العلم، متطرون من اسمه، متضايقون من أهله، والناشئ منهم راغب عن التعليم، والشادي تارك للزيادة منه، والعلماء غرباء في ديارهم، مغمورون بين ذويهم وعشرتهم، وسوق الجهل والدنيا في تنام وازدياد، وسوق العلم قد أصابها الكساد، لقلة عناية أهله بحفظه والبواعث إليه قلت، والحوادث الصارفات عنه عظمت وجلت.³

هذا، وإن النكبة التي حلت في زماننا بالعلم هي "تناقض أطرافه وفشل أدواته": ذلك أن المدنية المعاصرة كلما تقدمت ازدادت اكتشافا للوسائل والأدوات التقنية المتطورة أي التكنولوجيا وقد عرفت بأنها أسلوب الإنتاج أو حصيلة المعرفة الفنية أو العملية المتعلقة بإنتاج أدوات ووسائل الاتصالات، وقد استقبل علماء الأمة الإسلامية هذه التقنيات من حيث توظيفها في الدعوة الإسلامية والتخاطب مع الثقافات والشعوب الأخرى، استقبالا متفاوتا

¹ - صحيح البخاري الأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت. 256) ت. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة الطبعة الثالثة، 1407-1987، ج1، ص50.

² - ينظر: صحيح البخاري، المرجع السابق، ص50.

³ - أحمد الأخضر غزال "تجربة المغرب الخاصة في التعريب" مجلة "الموقف" المغربية عدد 3، محرم 1408 / سبتمبر 1987.

، فمنهم من استقبله بالترحاب والقبول ومنهم من تردد في قبول موجة المعلومات التقنية ونفروا من عواقبها الوخيمة على الشباب المسلم خاصة والمجتمعات الإسلامية بعامه.¹

ويعرض احمد فاضل يوسف فوائد استخدام المعلومات التقنية في مجال الدعوة الإسلامية فيما يلي.²

أ- الحصول على معلومات عامة يحتاجها السلام في حياته بالإضافة إلى معرفة المعلومات الإسلامية وبخاصة القرآن الكريم والحديث الشريف حيث تحتوي خزائن الانترنت على القواميس والموسوعات وكتب التراث الإسلامي التي تساعد المسلم في الدعوة إلى الإسلام وغير ذلك من فوائد ...

ب- استخدام هذه المعلومات بشكل فعال كوسيلة من وسائل الدعوة المعاصرة.

ج- استخدام آلة الانترنت مركز تبادل المعلومات والاتصالات وبناء علاقات أخوية بين أبناء الأمة الإسلامية وغيرهم متجاوزين بذلك الفوارق القومية والعرقية واللغوية والثقافية والجغرافية عملاً بقوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾³، ومن الخدمات التي تقدمها الشبكات الإسلامية في هذا المجال:

- غرفة المحادثة CHAT ROOM
- المناظرات DE BATE
- مجموعة المناقشة DISCUSSION-GROY
- الندوات الإلكترونية FORUMS

¹ - رشدي احمد طعيمة ومحمود كامل الناقة "اللغة العربية والتفاهم العالمي" ص 118-119.

² - المصدر نفسه، ص 118 - 119.

³ - سورة الحجرات، الآية : 13.

فيقول في هذا الشأن د. صالح بلعيد في كتابه "الأمن اللغوي" إن اللغة العربية تحتاج إلى حوسبة وإدخالها في النقاشات السياسية، وإلى أن تدخل معطاة مستفيدة من تيار العولمة الزاخر في الشبكة، وفي الفضائيات كما أنها بحاجة إلى تقليص الفجوة الرقمية المهولة بينها وبين اللغات المتقدمة وبخاصة إلى سجل لغوي واضح وبسيط وفاعل في المحيط، وهذا كله لا يتحقق لمكانتها يحتاج إلى النية الحسنة من قبل أولي الأمر، وإلى قرار سياسي ملزم وإلى إدارة سياسة تبدي نياتها في وضع اللغات الأجنبية في محالها المناسبة لها، كل حسب درجاتها في المجتمع، علما أن اللغة الرسمية/الوطنية لا تكون موضع جدال ولا مساومة ولا نقاش والجدال يكون في التفاضل بين اللغات الأجنبية أخذا بمبدأ النفعية¹.

بالإضافة إلى ما تقدمه للعلماء وأساتذة أصول الدين والدعوة واللغات والباحثين في مجال الدراسات الإسلامية من خدمات يوظفونها في البحث العلمي. والدراسات والمناقشات وتبادل وجهات النظر في القضايا المعاصرة.²

إن تطوير لسان عربي علمي، ليس شرطا من شروط الوحدة الثقافية والتقدم العلمي وحسب، ولكنه شرط لازم من شروط القوة والمتعة وسبيل إلى تحقيق الوحدة العربية الشاملة.

ولم يسبق الإسلام في حقيقة الأمر - دين من الأديان - وقف هذه الوقفة من العلم والدعوة إليه، والإشادة بفضله ... وبذلك انطلق المسلمون الأوائل، ونهلوا من جميع العلوم حتى فاقوا جميع الأمم، لكن في إطار القيم العقيدية والأخلاقية، التي احتواها المفهوم الإسلامي للعلم وقيمه.³

¹ - صالح بلعيد، الأمن اللغوي، ص 69-70.

² - المرجع نفسه، ص 69-70.

³ - سليمان الخطيب "أسس مفهوم الحضارة في الإسلام"، ديوان مطبوعات الجامعة، د ط، 1990، ص 280.

ولقد مثل أعلام الحضارة الإسلامية، دوائر علمية وثقافية أثرت في الحضارة الإسلامية، وشكلت مساحة واسعة من نسيجها الداخلي: "أمثال البخاري الترمذي، وأبي حنيفة، وسيبويه، والفارابي، وابن سينا، والغزالي، والرازي، وغيرهم، لنبرهن على أن الحضارة الإسلامية جمعت في أيهاها العديد من ثقافات الشرق والغرب¹ وأثبتت أن الدين الإسلامي هو دين عالمي.

كما يقول برينولت (أحد العلماء الغرب المشهورين): "العلم هو أعظم ما قدمته الحضارة الإسلامية إلى العالم الحديث عامة، والجدير بالذكر أنه لا يوجد ناحية من نواحي النمو الحضاري إلا ويظهر للإنسان فيها أثر الحضارة والثقافة الإسلامية، وأن أعظم مؤثر هو الدين الإسلامي، الذي كان المحرك للتطبيق العلمي على الحياة، وأن الادعاء بأن أوروبا هي التي اكتشفت المنهج التجريبي، ادعاء باطل وخال من الصحة جملة وتفصيلاً، فالفكر الإسلامي هو الذي قال: انظر، وفكر، واعمل، وجرب، حتى تصل إلى اليقين العلمي".

فالعلم موهبة راسخة يمتحن الله بها من شاء، فإن أحسن شكرها، وأحسن في قبولها، رفعه بها درجات، كقوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾².

وتتسم العربية بملامح وسمات لغوية تؤهلها لاستيعاب كل التغيرات المستحدثة والتباينات المختلفة في اللغات الأخرى، وبذلك فهي مهیئة - من داخلها - لان تصبح لغة علمية. وقد نجحت العربية في هذا الدور في عصور الازدهار والفتوحات، وكانت أداة فعالة لنقل المعارف والعلوم، حتى قيل في المثل: "عجبت لمن يدعي العلم ويجهل العربية".

¹ - سمير سليمان، "الإسلام والغرب"، إشكالية التعايش والصراع، بيروت، د.ط، 1955، ص46.

² - صورة المجادلة، الآية : 11.

9- الفرق بين التعلم والتعليم باللغات الأجنبية:

من واجبنا أن نفرق بين تعلّم اللغات الأجنبية، والتعلم باللغات الأجنبية، فتعلم اللغات الأجنبية هو تطور وانفتاح على العالم، وأن كل لغة جديدة يتعلمها الإنسان تمنحه أفقا واسعا ونافذة جديدة على العالم وشعوبه المختلفة كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "من تعلم لغة قوم آمن شرهم"، أما التعلم باللغات الأجنبية، أي تعليم أبناءنا العلوم الكونية كالطب والهندسة والفيزياء ... باللغات الأجنبية، هو انسلاخ عن شخصية الأمة وروحها، وتنكر للسانها وأصولها، وذوبان في الأجنبي الغريب على حساب تراث الأمة وثقافتها.

9-1- بين العربية الفصحى والحدائثة :

تتصل الحدائثة بالتغريب اتصالا وثيقا، لأنها تجرد في تغريب* المجتمعات العربية الإسلامية، أصلا من أصولها الفكرية وجذرا من جذورها السياسية. وقد تعامى الكثير من المثقفين العرب "المستغربين" عن الاختلاف بين ثقافة العرب وثقافة الغرب، والاختلاف بين مقولات ولدت من رحم الحدائثة الغربية ومقولات هي من صلب الحضارة الإسلامية، وخلطوا بين "التحديث" و"الحدائثة"، بل منهم من أشفق على الحدائثة في بعض أقطار العالم العربي، عندما "لاحظ" أنها في سياق التحولات الجارية تواجه عوائق عدة، منها "ضعف المجتمع المدني" و"الطبيعة الاستبدادية للسلطة" و"نقص المهارة التقنية" و"الوقوف في وجه كل محاولة لفصل الدولة عن الدين".¹

*- التغريب هنا بمعنيه المعروفين "الغربة" و "شد الأمة إلى الغرب" لاقتفاء أثره.

¹- عبد الكبير الخطيبي "المغرب العربي وقضايا الحدائثة"، ترجمة لجنة ترجمة أعمال عبد الكبير الخطيبي، الشركة المغربية للناشرين المتحدنين، الرباط 1993، ص7.

ومنهم من توسط فرأى أنه لا توجد حادثة مطلقة كلية عالمية، بل الحادثة "حداثات" مختلفة باختلاف الزمان والمكان والتجربة، ومشروطة بظروفها، ولذلك ينبغي مراعاة أثر "الخاص" في الثقافة العربية المعاصرة، وهو الأثر الذي يجعل من هذه الحادثة "حادثة عربية"¹. وهناك موقف ثالث من "الحادثة"، يتميز عن سابقه بنقد الأسس التي قامت عليها الحادثة الغربية خصوصا، والحضارة الغربية على وجه العموم، فهي حضارة تقوم على "العقلانية" وتفتقر إلى "الأخلاقية"²، وصار راسخا في الأذهان بوساطة السيل الجارف من الأقوال الذي تحمله هذه الحضارة الحديثة، أن الأخلاق لا تخدم إلا الضعف في النفس والخذلان في السلوك، فينبغي إعادة صياغة هذه الحضارة بتسديدها بالأسس الأخلاقية، حتى تهتدي إلى معرفة المقاصد النافعة.

وإذا كانت الحادثة "موقفا مغايرا" و"تمردا على الذات" وخروجها على "المتعارف المؤلف" واستجابة تلقائية لنظم التحديث السائدة وحالة أصابت الحالة العربية المعاصرة في كل جوانبها، فغيرت نمط العيش وطرق التفكير، فإن اللغة العربية لم تستثن من هذا التغيير الجارف، فهجرت ألفاظ واستحدثت أخرى، بقياس وبغير قياس، بل هجرت العربية الفصحى في ميدان العلوم المعاصرة والثقافة الحديثة الوافدة³.

وعدت "الفصاحة" -التي هي من صفات القرآن والحديث- ضربا من الافتنان في القول لا صلة له بالواقع، وسلطة في وجه تحديث اللغة، وعائقا في طريق تطويرها، ومظهرا من

¹ - محمد عبد الجابري " التراث والحادثة"، دراسات ومناقشات المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، سبتمبر 1991، ص15.

² - طه عبد الرحمن "سؤال الأخلاق"، مساهمة في النقد الأخلاقي للحادثة الغربية، نشر المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000.

³ - محمد رشاد الحمزاوي "العربية والحادثة"، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1986، ص11.

مظاهر الاستبداد بها¹، ولم يكن للغة بد من تحديثها وذلك بإنشاء "فصاحة جديدة" تحرق قواعد "الفصاحة القديمة" وذلك بإدراج لغة الصحافة كما يقول الدكتور "عبد اللطيف حمزة" : "لم يكن للحضارة الحديثة من نعمة أجل من نعمة المطبعة، ولم يكن للمطبعة -بعد ذلك- من حسنة أفضل من الصحف والكتب"² ... وهو ما دعاه الباحثون بـ "فصاحة الحدث الصحفي"، حيث أشادوا "بالأسلوب السهل المشرق" الذي طرأ على العربية اليوم، وراجعوا "الفضل" فيه إلى الصحافة دون غيرها من وسائل نشر اللغة وتعليمها³، معللين الحاجة إلى مثل هذا الأسلوب الجديد، بأن قواعد الفصحى النحوية والصرفية والمعجمية قد رمت عظامها، وزال ظلها، وحال لونها، وحان تحديثها⁴. كما يرى د. "شوقي ضيف": "أن تحولاً واسعاً أصاب أدبنا عن طريق الصحافة، فإنها أخذت تعالج موضوعات سياسية واجتماعية واقتصادية لا عهد لأدبنا القديم المسجوع بها ... واتجه الأدباء إلى الأسلوب المرسل ... ومع ذلك لا تزال عندنا طبقة من أدبائنا الصحفيين تعني بأساليبها، وتحاول جاهدة أن تلائم بين ضرورات الصحافة وما يتطلبه الإنتاج الأدبي فيها من سرعة وبين الذوق الأدبي الرفيع، فهي لا تدنو إلى الطبقة الدنيا في الجمهور، بل تحاول أن ترتفع بها عن طريق معانيها الغزيرة، ... وأساليبها الرصينة"⁵.

وهكذا أصبحت "العربية" اليوم تعاني في ظل "الحداثة" غربة قاسية تضاف إلى ملف غربتها الثقيل. ويشهد تاريخها القديم وواقعها من بين لغات العالم اليوم، أنها قادرة على تحقيق النمو والاتصال، والتعبير عن المعلومات الحديثة، ومواكبة التطور الجديد في الميادين المختلفة.

¹ - محمد رشاد الحمزاوي، المرجع السابق، ص11.

² - حسني عبد الجليل يوسف "اللغة العربية بين الأصالة والمعاصرة" ص322.

³ - أديب مروة، الصحافة العربية نشأتها وتطورها، بيروت، 1961، ص111.

⁴ - المرجع نفسه، ص 111.

⁵ - د. شوقي ضيف "الأدب العربي المعاصر"، دار المعارف، بمصر ص37.

9-2- العربية الفصحى والعربية المعاصرة:

إن العربية الفصحى هي تقليدية غير متأثرة بشيء نسبيا وتكاد تكون الآن وقفا على رجال الدين من علماء الأزهر، واستخداماتها المنطوقة تكاد تنحصر أيضا في متحدثي البرامج الدينية الإذاعية والتلفزيونية المتأثرين بقواعد القراءات القرآنية متأثرا قويا¹.

- والعربية الفصحى، وهي فصحى متأثرة بالحضارة المعاصرة وبمجالها أوسع كثيرا من مجال المستوى السابق، فهي تبدو في كل الموضوعات المتصلة بحياتها المعاصرة والتي تستخدم فيها العربية الفصحى، ويضم هذا المستوى أنماطا علمية وسياسية وأدبية واجتماعية وفنية². ووصفت بالمعاصرة للدقة بالتعبير عن اللغة التي تعاصرنا وتعيش على ألسنتنا، فالوصف ب "معاصرة" مأخوذ من: عاصر فلان، أي عاش معه في عصر واحد.

9-2-1- سمات العربية المعاصرة:

قامت العربية المعاصرة على أصول العربية الفصحى في كل المستويات: الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، وعرفت العربية بأنها فصحى "كلاسيكية مستمرة"، مع تغير وتطور ضمن حدود لا تتجاوزها³. ومن المهم أن يلاحظ أن العربية تقوم أساسا على الإعراب، الذي يعد خصيصة بارزة من خصائص الفصحى، وعلى صحة التراكيب النحوية⁴، فالفصاحة لا تثبت إلا بكثرة الاستعمال، وهذا الذي ورد عن سيبويه في مؤلفه "الكتاب".

¹ - د. السعيد محمد بدوي "مستويات العربية المعاصرة في مصر"، (بحث في علاقة اللغة والحضارة)، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط1، 2011، ص 58.

² - د. السعيد محمد بدوي "مستويات العربية المعاصرة في مصر"، المرجع السابق، ص 58.

³ - محمد محمد داود "العربية وعلم اللغة الحديث"، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، د.ط، 2001، ص 247.

⁴ - ينظر : المرجع نفسه، ص 248.

ونخلص من هذا أن سلامة مستويات "العربية المعاصرة" من أهم سماتها التي تميزها عن العاميات الدارجة، التي تختلف في درجة قربها من الفصحى أو بعدها عنها.

لكن هذه السمة المتميزة من فصحي العصر تنقلنا إلى سؤال مهم، وهو: هل هذه السلامة اللغوية في العربية المعاصرة حاضرة في الواقع اللغوي المنطوق والمكتوب على حد سواء؟

يدفعنا البحث إلى هذه التساؤل هو أن العربية المعاصرة -في الأعم الأغلب- لغة مكتوبة لا تنطق إلا في مجالات محدودة وحدود ضيقة، حتى أطلق عليها "لغة الكتابة"، ولقد وصفها الأستاذ محمود تيمور بأنها لغة كتابة لا لغة كلام ولو كانت لغة كلام لعاشت في السوق والبيت.¹

ورغم أن "اللغة المكتوبة" -وهي تمثل اللغة العربية المعاصرة- فهي تخطى ببعض المميزات، فهي إحدى مهارات الاتصال اللغوي التي يترقى إليها الطفل في نموه اللغوي، فالرموز المكتوبة بديل عن الأصوات² وهي تعزز التعرف على الكلمة والإحساس الجملة، وتزيد ألفة التلميذ بكلمات وكثيرا من الخبرات في القراءة تتطلب مهارات كتابية، كما أن الكتابة تشجع على الفهم والتحليل والنقد كما يقرأ.³

ومن هنا نستدرك بأن اللغة الشفوية تسبق اللغة المكتوبة في عملية التواصل الإنساني في كل مجالات النمو اللغوي، فلا يمكن لأي إنسان أن يحقق تواصلًا جيدًا مع جماعة إلا إذا امتلك مهارات التواصل الشفوي.

¹ - محمد محمد داود "العربية في علم اللغة الحديثة" ص 249.

² - سامية غربي "تأثير وسائل الاتصال في تنمية الملكة اللغوية مذكرة لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات التطبيقية تحت إشراف د. ديدوح 2008، ص 18.

³ - المرجع نفسه، ص 18.

9-2-2- الفرق بين العربية الفصحى والعربية المعاصرة:

إن المقصود بين الفصحى والمعاصرة هما لغتان مختلفتان، لكل واحدة منهما نظامها وقواعدها وأصواتها فالقول بوجود عربية فصيحة وأخرى معاصرة أو عامية هو قول بوجود "حدوس" متعددة أو ملكات عربية مختلفة، وهذا أمر فيه نظر. لأنّ ما يدعى بالعربية المعاصرة ليس إلا استعمال مخصوصاً أو "إنجازاً" من "إنجازات" العربية الفصيحة، والخلاف بينهما خلاف في الإنجاز والسليقة واحدة في الأصل.

ويتفاوت المتكلمون بالعربية اليوم بتفاوت المستويات الثقافية العربية، ويتعد عنها بقدر انخفاض حظه منها. أما الملكة العربية العامة اليوم فهي جزء من الملكة العربية الفصيحة ومتفرعة عنها ومشتقة منها، وقد تكون منحرفة عنها بسبب عوامل عديدة¹.

أما في الثروة اللغوية فالاختلاف بينهما اختلاف بين شديد، كما أنه في التعبيرات المكتوبة التي تستخدم في الاتصال الفعلي أو ترتبط بمسائل محلية خاصة نجد أن اللغة الفصحى تتلون باللهاجات المحلية لكل بلد. وتعدّ تلك اللغة لغة الحياة اليومية، اللغة الطبيعية المكتسبة أولاً التي يستعملها المثقفون. وشكل هذا الامتداد للمجال اللغوي صعوبة في جمع "الثروة اللغوية العربية المعاصرة".

¹ - ينظر: سعيد حسن بحيري، "المدخل إلى مصادر اللغة العربية"، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 2، 2012، ص 336-337.

9-2-3- بين العربية الفصحى والعامية

• تعريف اللغة العامية:

إن مصطلح العامية ليس بجديد، فنجد في مؤلفات القدماء: "لحن العامة"، "لحم العوام"، فبقيت النسبة إلى العوام، يقول "الزبيدي": "فهذا ما أفسدته العامة عندنا، فأحالوا لفظه أو وضعوه غير موضعه... فرأيت أن أنبه عليه وأبين وجه الصواب فيه".¹

فنلمح من سياق النص أن المقصود بالعامية هم الناس العاديون، كما أن المقصود بالعامية هنا ليس اللهجة التي لها صفات صوتية خاصة، كما يقول "مصطفى صادق الرافعي" في كتابه (تاريخ آداب العرب): "العامية هي اللغة التي خلفت اللغة الفصحى في المنطق الفطري وكان منشؤها من اضطراب الألسنة وخبالها وانتقاص عادة الفصاحة، ثم صارت بالتصرف إلى ما تصير إليه اللغات المستقلة... وعادت لغة في اللحن بعد أن كانت لحنًا في اللغة".²

وكذلك يعرف د. "نهاد الموسى" العامية وهو كونها اليوم لغة الأم التي تكتسب عفويا فيقول: "العامية هي النموذج اللغوي الذي نكتسبه اكتسابا ويستحوذ على البرنامج اللغوي الأول لدى الناطقين بالعربية".³

فمن هذا المنطلق "فالعامية" لغة أنشأتها العامة لحياتها اليومية، والدليل على ذلك أنها لغة البيت والشارع، والسوق والمجتمع، ومن الملاحظ أن عامية أية لغة ليست واحدة في كل جهات الوطن وهذا الذي قاله تمام حسان: "... وإنما يقال لهجة القاهرة حين ينظر إلى

¹ - ينظر : محمد محمد داود "العربية وعلم اللغة الحديث"، ص254.

² - ينظر : مصطفى صادق الرافعي "تاريخ آداب العرب"، الجزء الأول، ص152.

³ - نهاد الموسى "الفصحى وعاميتها، بين تجليات الكائن وتطورات الممكن"، ندوة: الفصحى وعاميتها، ص44.

الخصائص المشتركة بين هذه اللهجات حتى تبرز أن تضمها جميعا في لهجة واحدة في مقابل لهجة (أسيوط) ولهجة (الإسكندرية).

فمن هنا ندرك أن العامية هي لغة العامة جميعا، لغة الأمي والمتعلم، ولغة الفقير والغني، أي لغة كل الفئات الاجتماعية، لكنها تضم اختلافات لهجية ترتبط خاصة بالموقع الجغرافي، ولهذا نقول عاميات الشمال وعاميات الجنوب، وعاميات الشرق وعاميات الغرب. ومنه نصل إلى السؤال التالي: ما هي "اللهجة"؟

إن "اللهجة" تنوع للعامية، فهي تخضع للعوامل الجغرافية ولقد عرفها "Du Bois". في قوله: "اللهجة شكل من أشكال اللغة، لها نظام خاص على المستوى الافرادي والتركيب والصوتي، وتستعمل في محيط ضيق بالمقارنة مع اللغة نفسها".¹ فإذن نسمي التنوعات المختلفة للعامية لهجة، وهذا المفهوم مرتبط بالاختلافات الجغرافية.

• مفهوم العامية العربية:

لقد سمعنا أن في كل البلدان العربية بوجود عاميات، ونحن نتساءل عن ماهية العامية العربية؟

لقد عرف الكاتب "عبد الجليل مرتاض" العامية العربية في قوله: "وحتى العامية العربية التي فقدت جانبا من محاصيلها النحوية والصرفية بفعل آثار العوامل الصوتية وعوامل أخرى خارجية لم تتغير بنيتها الوظيفية".²

فإن العامية العربية حسب الكاتب هي لغة لها نظام لكنها قد فقدت جزءا منه على المستوى النحوي والصرفي بسبب عوامل خارجية وبسبب العوامل الصوتية.

¹ - J. Du Bois « Dictionnaire de linguistique Larousse paris p149.

² - عبد الجليل مرتاض "العربية بين الطبع والتطبيع (دراسات لغوية تحليلية لتراكيب عربية)، ص 186.

وما يمكننا إضافة أنه لا توجد عامية واحدة في الوطن نفسه، بل لكل عامية تأديت متنوعة أي اختلافات لهجية كما قال "عبد الصبور شاهين": "فاللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل، تضم عدة لهجات"¹.

فنلاحظ مثلاً في عاميتنا الجزائرية أو غيرها من العاميات العربية اختلافات لهجية تختلف من منطقة إلى أخرى، فنقول أن هناك عامية جزائرية تضم لهجات متنوعة: كلهجات الشرق، ولهجات الشمال، ولهجات الغرب ولهجات الجنوب؛ لأن اللغة كما قال "عبد الصبور شاهين": "إن اللغة كائن اجتماعي، يتأثر بالأحداث والظواهر الاجتماعية، ويؤثر فيها أيضاً، فاللغة بهذا المفهوم ملك للمجتمع تنعكس في حالتها صورته"².

• نقاط التشابه والاختلاف بين العامية والفصحى:

ترتبط العامية بالفصحى ارتباطاً يمكن ملاحظته بالسمع كما يمكن إثباته بالبحث، ولكنها تختلف عنها اختلافاً ينطبق عليه الكلام نفسه، وقد عبر عبد الحميد عبد الواحد عن هذا الأمر قائلاً: "إن البنيتين اللسانيتين للفصحى والعامي - بالرغم من القرابة اللسانية التي تجمع بينهما - هما على درجة واسعة من التشابه والاختلاف في الوقت نفسه"³.

¹ - عبد الصبور شاهين "في علم اللغة العام" مؤسسة الرسالة، بيروت، ط4، 1404هـ، 1984م، ص225.

² - المرجع نفسه، ص221.

³ - عبد الحميد عبد الواحد ضمن اللسان العربي واشكالية التلقي، مركز دراسات الوحدة العربية، ص67-68.

• نقاط التشابه:

لا يمكن اعتبار العامية لغة مستقلة عن الفصحى استقلالاً تاماً ومختلفة عنها جذرياً، ذلك أن العلاقة بينهما وطيدة والتشابه واضح في نظاميها اللغويين لذلك نجد من الباحثين من لا يعتبر العامية لغة بل مستوى من مستويات اللغة العربية انحرف عن الفصحى بدرجات متفاوتة كما يقول شكري فيصل: "إن العامية ليست لغة ولو استعمل مثل هذا الوصف أحيانا عند اللغويين المحدثين، إنها انحراف لغوي"¹، وأكد عبد الرحمان الحاج صالح على تخطيء ن يشبه مصير اللهجات العربية القديمة إلى عاميات مختلفة بمصير اللاتينية إلى لغات مختلفة قائلاً: "لغة التخاطب للنازلة من العرب في كل من البلدان العربية بل في كل مكان عرف ببعض هذه القبائل لم تتحوّل التحول الكامل في كل من المستويات اللغوية الذي أصاب لغة التخاطب للنازلة من الرومان في البلدان التي غزوها في أوروبا فصارت لغات ولهجات بعيدة كل البعد عن اللغة الأصلية"².

ولعل أهم جانب تشترك فيه العامية مع الفصحى هو الجانب المعجمي حيث تستمد العامية أغلب كلماتها من المادة المعجمية للفصحى ومن جذورها الثلاثية وكذلك الكثير من الأبنية والتراكيب التي تشكل نظام العربية ككل، وتوضح العلاقة الوطيدة بين العامية والفصحى من خلال مجموعة الدراسات التي قام بها بعض اللغويين العرب ردوا فيها الكلمات العامية إلى أصولها الفصيحة وأثبتوا عربية بعضها مما نعتبره عامياً لكثرة استعماله على هذا المستوى وجهلنا بوجوده في أحد المعاجم أو الكتب القديمة وحتى القواعد العامية اجتهدوا في

¹ - شكري فيصل، ضمن الكتاب: من قضايا اللغة العربية المعاصرة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1990، ص: 39.

² - عبد الرحمان الحاج صالح، العاميات العربية ولغة التخاطب الفصيحة، أعمال الندوة الدولية التي نظمت بالتعاون مع وزارة الثقافة ضمن فعاليات الجزائر عاصمة الثقافة العربية بعنوان: الفصحى وعامياتها، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ط1، 2008، ص 83.

ردها إلى اللهجات العربية القديمة يقول "محمود تيمور": ولعلنا لو قصصنا أثر العامية وتقصينا ما فيها من خصائص وضوابط مما ينأى بها عن الفصحى ثم عزواناه إلى مناشئه في اللهجات ومراجعته من ألسنة العرب لما أعيانا من ذلك من شيء ولتسنى لنا أن نثبت لكل قاعدة في النطق العامي سندا من لهجة عربية كان لها كيانا في غواير العصور".¹

• نقاط الاختلاف :

العامية إذن هي ابنة الفصحى، ولكنها لغة مشافهة اكتسبت صفات أخرى جعلتها تختلف عنها هذه الصفات هي التي تسمح لنا بتمييزها والتمييز بين لهجاتها المختلفة، ويمكن اعتبارها نقاط اختلاف بينها وبين الفصحى، وهي اختلافات كثيرة ومتنوعة منها ما يعد تحريفا بسيطا للفصحى، ومنها ما يعتبر تحريفا كبيرا، كما توجد فيها مظاهر أخرى جديدة لم تعرفها الفصحى هي سبب ما بينهما من تباعد، وأهم هذه الاختلافات:

- التخلي عن الإعراب.
- تغيير دلالة الكلمات الفصيحة.
- تحريف الصيغ الصرفية والقواعد النحوية.
- وجود كلمات جديدة مجهولة الأصل.
- اختلاف النظام الصوتي.
- اختلاف النظام المقطعي.
- تنوع التعبيرات المحلية .

¹ - محمود تيمور، مشكلات اللغة العربية ، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، د.ت، ص 177.

- افتقار العامية إلى المصطلحات العلمية.

- التغير والاستقرار.

10- مميزات اللغة العربية ومكانتها :

لكل أمة ثقافة تخصها، وتتصل بغيرها من الثقافات وتتفاعل معها وتزداد بهذا التفاعل ثراء وعمقا وحيوية وثقافة الأمة هي هويتها التي تميزها بما تنتظمه من العقيدة والأعراف والأدب والعلم والعلاقات الانسانية الداخلية والخارجية.¹

يقول الدكتور مازن المبارك في كتابه النفيس (اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي): "إن الأمة التي تحمل لغتها أمة تحتقر نفسها وتفرض على نفسها التبعية الثقافية، وإن التعليم بغير العربية يلقي في نفوس الطلاب أن لغتهم القومية غير ذات نفع لهم، وأنها لا تصلح للعلم والبحث العلمي، وسيؤدي ذلك إلى وجود حجاب بينهم وبين لغة و ثقافة وتراث أمتهم"²

إن الثقافة الإسلامية ليس غايتها تهذيب الفرد أو الجماعة في بيئة معينة وإنما ترمي إلى تثقيف الجنس البشري بأكمله، والدين الإسلامي غايته الإنسان في كل مكان يشجعه لتحسين ذاته، و ترقية أحواله و إعلاء شأنه في جميع مجالات الحياة الحرة الكريمة³ هذه هي روح العقيدة الإسلامية التي أرادها الله عز وجل لعباده الصالحين و التي جاءت رحمة للعالمين في مختلف مجالات السلوك و العلم.

¹ حسني عبد الجليل يوسف، " اللغة العربية بين الأصالة و المعاصرة "، (2500).

² فداء ياسر الجندي " العرب والعربية في عصر الثورة الحاسوبية " دار الفكر المعاصر 2003، دمشق د.ط (ص 125).

³ حسين الحاج حسن " حضارة العرب في صدر الاسلام " - مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع - بيروت - ط2 1426 هـ - 2006 م.

زيادة على ما تتسم به اللغات بشكل عام فإن اللغة العربية من الميزات ما يؤكد رجحانها على وسواها.

أما ميزاتنا فتكمن في كونها لغة التنزيل إذ قال تعالى : "وَأِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195)"¹.

وما اختارها من الله عز وجل لتكون لغة آخر رسالة سماوية لبني البشر إلا دليل على رجحانها، وقدرتها على حمل المعاني الإلهية، توصيلها إلى بني آدم بلسان عربي وصفه الله تعالى بالإنابة، إذ قال تعالى في سورة أخرى : "لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ"² وفي هذه الآية تشديد على إنابة العربية.

وفي فضل العربية قال الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه : "عليكم بالعربية فإنها تثبت العقل، وتزيد المروءة".

وفي رجحان العربية علما سواها من لغات العالم قال الفراء : "لقد وجدنا للغة العرب فضلا على لغة جميع الأمم اختصاصا من الله تعالى، وكرامة أكرمهم بها"³.

وفي منزلتها عند الله وجوب المثابرة عليها قال الثعالبي : "إن من أحد الله أحب رسوله المصطفى، ومن أحل النبي العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية التي لها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحب العربية عني بها، وثابر غعلبيها، وصرف

¹ - سورة الشعراء، الآية : 192 - 195.

² - سورة النحل، الآية : 103.

³ - إبراهيم السامرائي، فقه اللغة المقارن، ط 2، دار العلم للملايين، بيروت، 1978، ص 10.

همته عليها" ومضى قائلاً "ومن هداه الله إلى الإسلام، وشرح صدره للإيمان اعتقد أن محمداً صلى الله عليه وسلم خير الرسل والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات¹.

وفي أصلها وراقيها على غيرها وخصائصها قال جريجي زيدان: "إنها إحدى اللغات السامية، وأرقاها مبنى واشتقاقاً وتركيباً، وهي أرقى لغات العام"².

قال البيروني عن اللغة العربية المقدسة: "والهجو بالعربية خير إليّ من المدح بالفارسية" وكما يقول غيره: "لئن أهجى بالعربية خير من أن أمدح بغيرها".

زد على ما تقدم فإن اللغة العربية تتسم بالسعة إذ يقول فيها أحد العلماء: "إن لسان العرب أوسع الألسنة، وأكثرها ألفاظاً ولا يتسطيع الإحاطة بها غير نبي"³.

يقول "الطاهر بن عاشور": "ومزية القراءات من هذه الجهة عائد إلى أنها حفظت على أبناء العربية ما لم يحفظه غيرها وهو تحديد كفيات نطق العرب بالحروف في مخارجها وصفاتها، وبيان اختلاف العرب في لهجات النطق، بتلقي ذلك عن قراءة القرآن الكريم من الصحابة بالأسانيد الصحيحة⁴ وإذا كان من أهم وظائف اللغة العربية التعبير عن العالم الإنساني فرداً ومجتمعاً، باطناً وظاهراً فإنه تبعاً لذلك - يقتزن تمام اللغة بتمام الأصوات الإنسانية الممكنة، وتمام المخارج الصوتية⁵ ويتحدث الأستاذ "الدكتور عثمان أمين" عن "مزايا اللغة العربية" ويقدم شهادتين من مستشرقين عن تلك "المزايا" فيقول: "من الإنصاف أن نبادر فنقرر بأن العلماء الفرنسيين ليسوا كلهم من علماء الاستعمار، و ليسوا كلهم من

¹ - أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، ص 02.

² - أنور الجندي، اللغة العربية بين حمائها وخصوصيتها، مطبعة الرسالة، مصر، ص 09.

³ - محمد عطية الأيراشي، لغة العرب ننهض بها، دار الكتاب العربي، مصر، ص 123.

⁴ الطاهر بن عاشور "التحرير و التنوير، الدار التونسية للنشر، تونس 1984 م ص (1،51).

⁵ عباس العقاد "اللغة الشاعرة"، مكتبة غريب، مصر.

المتعصبين على الإسلام، بل إن منهم منصفين ذوي نزاهة، أشادوا بالعربية أيما إشادة، ويكفي هنا أن نذكر اثنين من نبهائهم المعاصرين، ممن بذلوا في تنوير مواطنيهم جهود مشكورة هما:

"لوي ما سينيون"، و"هنري لوسل".¹

فقد أظهرتنا بحوث الأستاذ لوي ماسينيون على أن اللغة العربية قد امتازت بخصائص قل أن نجد لها مثيلاً في اللغات الأخرى، وأبرز ما سينيون في بحوثه ومحاضراته فكرة تبدو جديدة بالقياس إلى آراء المستشرقين السابقين، وهي أنه - في حين أن اللغات الهندو-أوروبية إنما جعلت للتعبير عن نظام العالم الخارجي، نجد اللغة العربية و كأنها هي لغة التأمل الداخلي، تأمل الفكر والروح، وكأنما هي مجعولة لكي يتذوق أصحابها مقصداً من المقاصد الإلهية.²

ولما كانت العربية هي المصدر الوحيد لدى العرب للوصول إلى الفعل الإلهي، فقد أحبها أهلها حباً راسخاً عميقاً، ومن هناك كان للعرب الفضل في استكشاف رموز الجبر وصيغ الكيمياء والمسلسلات الحسابية ثم إن اللغة العربية لغة الغيب والإيجاء، تعبر بجمل قصيرة مركزة عما لا تستطيع اللغات الغربية أن تعبر عنه إلا في الجمل الطويلة الفضفاضة، " اللغة العربية لغة وعي، ولغة شهادة و ينبغي إنقاذها سليمة بأي ثمن ، للتأثير في اللغة الدولية المستقبلية.³

ويسرنا أن ننوه هنا بمقال الأستاذ الفرنسي المستشرق "هنري لوسل"، نشره في جريدة "لوموند Le Monde" بعنوان " اللغة العربية و الحضارة الإسلامية تزودان الدارس بنظرة جديدة إلى العالم " فكتب لوسل داعياً إلى تعليم اللغة العربية في المدارس الفرنسية،

¹ حسني عبد الجليل يوسف ، اللغة العربية بين الأصالة و المعاصرة ، ص 29 .

² المرجع نفسه، ص 29

³ عثمان أمين " فلسفة اللغة العربية" الدار المصرية للتأليف و الترجمة ، مصر ، 1970 م، د ، ط ، ص 8،9.

مبينا أن هذه اللغة تيسر الملائمة السمعية مع اللغات الأخرى، فقال: "إن التلميذ أو الطالب يجد في العربية معاني لغوية تختلف اختلافا كبيرا عن معاني الفرنسية أو اللاتينية، أو أي لغة أوربية، وعن طريقها يتعرف المتعلم إلى عقلية العرب حيث يجد نفسه أولا أمام الأبجدية العربية، و ربما كان فيها في بادئ الأمر موضع للنقد، وسرعان ما يجد لها جاذبية خاصة.¹

فاللغة العربية هي مستودع تراث الأمة، لأن كل كلمة تحمل في طياتها خبرة بشرية أصيلة، وهي سياج هويتنا، لأنها حفظت علينا عروبتنا رغم توالي الهجمات والتكبات على هذه الأمة، وبها نستوعب علومنا ومعارفنا لنصنع حضارتنا، وما الهجمة على لغتنا اليوم إلا مرآة لواقعهم المتردي، ولسان حال الشاعر "حافظ إبراهيم" يقول: ²

أنا البحرُ في أحشائه الدرُّ كامنٌ	فَهَلْ سَأَلُوا الْعَوَّاصَ عَن صَدَفَاتِي
رَمَوْنِي بَعْمٍ فِي الشَّبَابِ وَلِيَتْنِي	عَقُمْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ لِقَوْلِ عُدَاتِي
وَسِعْتُ كِتَابَ اللَّهِ لَفْظًا وَغَايَةً	وَمَا ضِيقْتُ عَن آيٍ بِهِ وَعِظَاتِ
فِيَا وَيُحْكُمُ أَبْلَى وَتَبْلَى مَحَاسِنِي	وَمِنْكُمْ وَإِنْ عَزَّ الدَّوَاءُ أُسَاتِي
فَلَا تَكَلُونِي لِلزَّمَانِ فَإِنَّنِي	أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحِينَ وَفَاتِي
أَرَى لِرِجَالِ الْعَرَبِ عِزًّا وَمَنْعَةً	وَكَمْ عَزَّ أَقْوَامٌ بَعِزُّ لُغَاتِ
سَقَى اللَّهُ فِي بَطْنِ الْجَزِيرَةِ أَعْظَمًا	يَعِزُّ عَلَيْهَا أَنْ تَلِينَ فَنَاتِي

وصدق حافظ إبراهيم في كلماته، ولو أنها نطقت لتكلمت بأعجب من ذلك.

¹ ينظر : عثمان أمين، المرجع السابق، ص 30.

² - من ديوان حافظ إبراهيم.

الفصل الثالث

التفاعل اللغوي المبكر بين

العربية ولغات أخرى

1- العربية في العصر الجاهلي :

يبدأ العصر الجاهلي باستقلال العدنانيين عن اليمنيين في منتصف القرن الخامس للميلاد، وينتهي بظهور الإسلام سنة (622 م)، وأهم ما نلاحظه في ذلك العصر من أمور ذات صلة بالعربية وبلاغتها وهي كالآتي :

1- إن العرب هي أمة ذات فصاحة وبيان، يحبون الكلمة الجميلة والصوت الجميل

والآداء الجميل، وينفعلون بالخطب الجميلة، ويطربون للكلمة الشعرية، وهم قوم لد، قال تعالى : "فَإِنَّمَا يَسْرُنَا بِلسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا"¹، وهم أهل خصام وجدل قال تعالى : "وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ"² وقد أثر فيهم القرآن فحاولوا أن ينسبوا ذلك التأثير إلى غير سببه الأصلي وهو أنه من عند الله، فزعموا أن بشرا أعجميا يعلم محمدا القرآن، مناسين أن فصاحة القرآن لم يقدر عليها العرب فكيف برجل أعجمي ! قال تعالى : "وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ"³.

2- قامت حضارات عدة في اليمن وعمان وأطراف الجزيرة ولكن لم يكن للعرب

دولة مركزية وسط الجزيرة، فقد كانوا يعيشون حياة بدائية لا شغل لهم إلا تعاطي الشعر والتفاخر بالبيان، قال حمد بوشهاب⁴ :

¹ - سورة مريم، آية : 97.

² - سورة الزخرف، آية : 58.

³ - سورة النحل، آية : 103.

⁴ - محمد رفعت زنجبير، "مباحث البلاغة في القرآن الكريم، ص 32. نقلا عن (قصائد من الإمارات، ص 12، إتحاد كتاب الإمارات الشارقة، 1986م.

قبل الرسالة قل لي من هم العرب وأي مجد بنت أم لهم وأب
تعال فاستقرئ التاريخ أمثلة تر الحقائق فيما تحمل الكتب
كان التفاخر بالأنساب رائدهم في كل ناد فماذا حقق النسب
هل استطاعوا به توحيد أمتهم كلا فقد أمر الشيء لا يهب

3- اهتم العرب كثيرا بصناعة الشعر، يقول الدكتور شوقي ضيف: "من يرجع إلى صناعة الشعر العربي في أقدم نماذجه يرى صعوبة هذه الصناعة، وأنها ليست عملا غفلا، بل هي عمل موسوم بتقاليد ومصطلحات كثيرة، وتلك آثار الشعر الجاهلي تتوفر فيها قيود ومراسيم متنوعة، ولعل ذلك من جعل جويدي يقول: إن قصائد القرن السادس الميلادي الجديدة بالإعجاب تبنى بأنها ثمرة مناصبة طويلة" ¹.

4- كان لتلك المصطلحات دور كبير في تطوير العملية الشعرية، وذلك لأن هذه المصطلحات المختلفة التي كان يتقيد بها الشاعر الجاهلي تجعلنا نؤمن بأنه لم يكن حرا في صناعة شعره يصنعه كما يريد، فأن حريته كانت معطلة إلى حد ما، إذا كان يخضع لتقاليد تتناول ما يقوله، وكيف يقوله، تتناول ما ينظم فيه والطريقة التي ينظمه بها، وبعبارة أخرى تتناول الموضوعات التي يعالجها، وما يتخذه فيها من طرق فنية في التعبير والموسيقى والتصوير" ².

5- ويلخص الأستاذ حمادي صمود دور الملاحظات البلاغية والنقدية في العصر الجاهلي في تكوين نواة البحث البلاغي عند العرب، فيقول: "وقد احتفظت

¹ - شوقي ضيف، "الفن ومذاهبه في الشعر العربي"، دار المعارف، القاهرة، ط 10، بت، ص 14.

² - المرجع نفسه، ص 19.

المصادر بجملة من الأخبار عن هذه الفترة، تتضمن ملاحظات تمثل رغم تواضعها اللبنة الأولى في العمل النقدي والبلاغي في عربيتها، وتشير إلى بداية الاهتمام بقضية الصياغة. والجدير بالملاحظة فقد بدت لنا هذه الأخبار متفاوتة القيمة رغم انتمائها إلى عصر واحد...¹.

6- وخلاصة القول : أن عرب الجاهلية بلغوا من حسن البيان مبلغا رفيعا، جعلهم يميزون بين صور الكلام.

كانت اللغة في عهد الجاهلية تعبر عن حاجات القوم وما تجود به قرائتهم أو يجري في مخيلاتهم من صور المعاني، فما كانوا ليحسوا نقصا في لغتهم، وإنك لترى المذاهب التي كانوا يطلقون فيها أكتهم، كالنسيب والنسب، فسيحة الأرجاء إلى أقصى ما يمكن أن يبلغه الناشئ في مثل بيئتهم، الاتخذ من المعاني المحسوسة أو المعقولة مثل مأخذهم ومن نظر في أشعارهم وخطبهم ومحاوراتهم وجد من جودة تصرفهم في المعاني وحسن سبكهم للألفاظ ما يدل على أنهم كانوا يرسلون الفكر والخياب ويصوغون ما شاءوا من المعاني، فيجدون في ألفاظ لغتهم وأساليبها ثروة تسعدهم على أن يقولوا فيبدعوا²، والشعر العربي في العصر الجاهلي مظهر لحياة العرب، ومرآة صادقة لأخلاقهم، ترى فيها السمائل العربية التي منها : الفروسية، والشرف والشهامة، والوفاء في الحب. وكان لدى العرب القدماء قانون بأن من يسفك دم

¹ - حمادي صمود، "التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوه إلى القرن السادس، مشروع قراءة، منشورات الجامعة التونسية، 1981م، ص 25-29.

² - الإمام محمد الخضر الحسين، "دراسات في العربية وتاريخها" إعداد وضبط علي الرضا الحسيني، الدار الحسينية للكتاب، القاهرة، بط، 1421هـ - 2000م، ص 15.

رجل فهو مدين بدمه لأسرة القتيل، ويعد قانون الأخذ بالثأر مقدسا في كل مكان ببلاد العرب، ويكون العربي وضيعا إذا قبل الدية وتنازل عن حقه¹.

وتختلف البيوت في بلاد العرب في بناتها وهندستها وجمالها، ففي اليمن مبان شاهقة كالحصون لكثرة الحجارة وجمال هندسة المباني، ولأنها كانت مهد حضارة قديمة شيدها الحميريون*، وارتقى فيها فن البناء.

وينتشر البناء الفارسي ذو الأقواس والأبراج والشرف في بغداد والبصرة، وبلاد العرب الشرقية، وكذلك تبنى البيوت في مكة والمدينة بشكل نظام خاص يلائم حاجات الحجاج، وتخلو الحيطان من الزخرفة والصور، ويبنى سور عال على السطح حتى لا ترى النساء².

ويقول حلمي خليل "في كتابه مقدمة لدراسة علم اللغة"، والحقيقة أن العرب قبل الإسلام كانت لهم ككل شعوب العالم لغة مشتركة ولهجات إقليمية ولا نعرف على وجه الدقة كيف تكونت هذه اللغة المشتركة ولكن الذي لا شك فيه أن هناك عوامل سياسية ودينية واجتماعية واقتصادية ساعدت على خلق هذه اللغة المشتركة التي أنشد بها الشعراء في العصر الجاهلي شعرهم وألقى بها الخطباء خطبهم وربما كان لقريش بحكم مكانتها الدينية والاقتصادية والاجتماعية قبل الإسلام دور في استقرار هذه اللغة المشتركة وسعة انتشارها ولا يعني هذا أن قريشا كانت أفصح العرب كما يذهب إلى ذلك كثير من اللغويين القدماء وبعض المحدثين، يدل على ذلك أن النبي عليه الصلاة والسلام عندما أراد أن يشيد بفصاحته

¹ - محمد عطية الأبراشي، "الآداب السامية"، ص 93.

* - الحميريون : وذلك نسبة إلى قبائل حمير ومعين وسبأ في بلاد اليمن جنوبي الجزيرة العربية.

² - محمد عطية الأبراشي، المرجع السابق، ص 94

أشار إلى أنه نشأ في قبيلة "سعد بن بكر" وهي من عليا هوازن ولو أن قريشا كانت أفصح العرب كما قال القدماء لكان من الأولى أن يشيد بها النبي ناهيك، عن الظواهر اللغوية¹.

1-1- التفاعل اللغوي بين اللغة العربية واللغات السامية في العصر الجاهلي :

فإن لغة شعر ما قبل الإسلام تشير إلى ألفاظ دخيلة ومعربة غزيرة، دخلت من لغات الثقافة المحيطة مثل العربية الجنوبية والأثيوبية والآرامية، والإيرانية، عن طريق الآرامية أو الفارسية اليونانية واللاتينية.

وإذا كان الرصيد المعرب يعود إلى لغات سامية أخرى فإنه التحقق لا يكون في الحقيقة ممكنًا دائمًا، إذ إنه يفتقر غالبًا إلى سمات التفريق الصوتية والصرفية. ولا تكفي المعايير الدلالية وحدها دائمًا لحكم واضح، وثمة حالات يحكم عليها في وضوح نسبي كالحالات التالية، حيث يجاوز المعنى الموروث معنى دخيل².

- سوى (معنى موروث)
- خلق من الآرامية من العبرية bara أنتج، صنع
- اختفى (أثر) (معنى موروث)
- تعلم، طلب العلم من الآرامية، من العبرية : بحث da :rash
- ربط، حاك (معنى موروث)
- كتب من الآرامية، من العبرية، الفينيقية ka :tab (كتب)
- جمع، ركب ؟ (معنى موروث)

¹ - د : حلمي خليل، "مقدمة لدراسة علم اللغة"، ص 152.

² - أ. د قولفديتريش فيشر، الأساس في فقه اللغة العربية، (أشرف على تحريره)، نقله إلى العربية وعلق عليه د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، 1985، ص 32.

- رتب، تلا، من الآرامية (qra) : ندى، تلا.

إن محاولة إبراز الثروة اللغوية العربية الموروثة حقا عن السامية المشتركة يجب أن تنطلق من مقارنة باللغات السامية القديمة، حيث للأكادية هنا خاصة أهمية كبيرة.

وفي الحقيقة لا تقدم المطابقة الصوتية التامة بين الأكادية والعربية أن ضمان على أنه داخل اللغات السامية علاقات اقتراض، وهكذا فإن الكلمة العربية (بنى) تعد كلمة دخيلة برغم أنها تتفق من ناحية القوانين الصوتية مع الكلمة الأكادية banu (صنع، أنشأ، بنى). بيد أن الكلمة العربية (بنى) تشير إلى مجال دلالي ضيق للغاية، فقد استخدمت تقريبا في معنى غير نمطي للحياة البدوية ثأن يبنى منازل" ولذلك ففيها شبه الكلمة الدخيلة، وعلى العكس من ذلك لا يفترض الإقتراض في حالة مشابهة من ناحية الصيغة مثل : (بكى) التي تتفق تماما مع الصيغة (baku) الأكادية، وهو لا يقبل كذلك لأسباب دلالية في أغلب الظن¹.

ويمكن أن يفترض بالنسبة لجزء كبير للغاية من الثروة اللغوية لعربية ما قبل الفصحى أنه موروث عن العربية المشتركة.

وقد أعد براجشتراسر (G. Bergstraesser) وفقا لما استشهد به في أهم اللغات السامية -قائمة من المفردات التي ينبغي أن تدرج في رصيد السامية المشتركة، وهي تبين أن الثروة اللغوية الموروثة تغلب على مجالات أجزاء الجسم والقرابة ومحل الإقامة والطبيعة وأنها تقدم مع ذلك أيضا الأعداد والأفعال والصفات الغزيرة لرصيد لفظي سامي قديم موروث.

¹ - أ. د فولفديريش فيشر، المصدر السابق، ص 33.

وتظهر مقارنة بين المعجم العربي والأكادي أن أغلب الصفات على سبيل المثال

موروثة عن الثروة اللغوية السامية المشتركة¹ :

أكادي	عربي
Tabum	طيب
marrum	مرة
emsum	حامض
Bishum	بئس
Marsum	مريض
Shalmum	سليم
Qullum	قليل
Sehrum	صغير
Kabrum	كبير
Eddum	حاد
Daqqum	دقيق
Essum (edshum)	حديث
Malum	ملان
Qarbum	عريان
Elum	على
Saplum	سافل

¹ - أ. د قولفديتريش فيشر، المصدر السابق، ص 33.

بعد ما كانت العرب في الجاهلية مختلفة الملل والنحل*، وكان بعضهم يعبد الأصنام، وأشهرها سواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، واللت والعزى، ومناة. وبعضهم يدين بدين الصائبة، وبعضهم ينكر الأله والبعث ويقول: "ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا، وما يهلكنا إلا الدهر". ويعترف بعضهم بالأله وينكره بعضهم، وهم الذي نعى عليهم الله بقوله: "أَفَعَيَّبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ"¹، ومنهم من تدين بدين اليهود أو النصرانية أو حينما ظهر الدين الإسلامي أسلم أهل شبه جزيرة العرب جميعا².

2- العربية في العصر الإسلامي :

كان العرب، وهم في عصرهم الجاهلي، أمة أمية يتكلمون سليقة ويتفاهمون سجية، وكانت الملكة النحوية تنتقل من السلف إلى الخلف بدون تلقيه ولا تعليم....³. ولما جاء الإسلام ونزل الكتاب وبدأ التفسير في العصر الإسلامي كان كلام العرب لا يزال فيهم طبعاً وملكة راسخين، وهذه القواعد من نحو وصرف وعروض وبيان تكن علوماً مستقلو عن اللغة تدرس تدريسا⁴، على نحو ما آل إليه الأمر بعد فساد الملكة اللغوية البريية وغياب الطبع، والجدير بالذكر، فإن التفسير وفهم الوحي والحديث والشرعية لم يكتم يحتاج إليها لأنها كانت جبلة وملكة خالصتين في القوم⁵.

يبتدئ هذا العصر منذ ظهور الإسلام إلى نهاية سنة (40 هـ) حيث قتل آخر الخلفاء الراشدين عليه بن أبي طالب رضي الله عنه في رمضان من تلك السنة. وأهم ما يميز هذا

¹ - سورة ق، آية : 15.

* - أصحاب الفرق الدينية مثل المعتزلة والمرجئة والجبرية.

² - د : حلمي خليل، المرجع السابق، ص 94 - 95.

³ - عبد الجليل مرتاض، "بوادير الحركة اللسانية الأولى عند العرب"، ص 09.

⁴ - نفس المرجع، ص 09.

⁵ - د : عبد الجليل مرتاض، "العربية بين الطبع والتطبيع، ص 06.

العصر هو نزول القرآن الكريم وحيا من الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وقد أحدث القرآن أكبر ثورة في حيلة العرب الدينية والاجتماعية والسياسية، والسبب الأول لتأثيره في العرب هو فصاحته وبلاغته، فقد جاء القرآن "بلسان عربي مبین" ¹، ونال الصفة العربية الملازمة له إلى يوم الدين، قال تعالى: "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" ².

ومجئ القرآن باللغة العربية، جعل الدين الحنيف يعزز من مكانتها، فصارت لغة ذات دين وسماعي يتعبد بها ويتقرب إلى الله تعالى، ولا تصح الصلاة إلا بها، قال القرطبي: " لا تجزئ صلاة من قرأ بالفرسية وهو يحسن العربية في قول الجمهور، وقال أبو حنيفة: "تجزئة القراءة بالفارسية، وإن أحسن العربية لأن المقصود إصابة المعنى، قال ابن المنذر: لا يجزئه ذلك لأن خلاف ما أمر الله به، وخلاف ما علم النبي صلى الله عليه وسلم، وخلافة جماعات المسلمين، ولا نعلم أحدا وافقه على ما قال" ³.

لقد مرت العربية قبل أن تصل إلينا في صورتها الناضجة والتي يعكسها الشعر الجاهلي بمراحل من التهذيب والصقل والتصفية والانتقاء حتى بلغت مستوى عاليا من الدقة والضبط وأحكام الصياغة والتعبير، فاستقرت على ضوابط ثابتة في التأنيث والتذكير والأفراد والتثنية والجميع... كما توسعت في الدلالات المجازية لكي تنمو وتلي حاجات الحياة فنقلت بعض الألفاظ من الأصل الحسي لها إلى الاستعمال المجرد وكذلك أيضا تطورت أساليب العربية

¹ - سورة الشعراء آية : 195.

² - سورة يوسف آية : 02.

³ - مباحث في البلاغة والقرآن الكريم (نقلا عن الجامع لأحكام القرآن، تشحيح: أحمد عبد العليم البردوني، 126/1).

فخرجت عن أصل الوضع اللغوي إلى معان مجازية وأساليب بلاغية لغرض فني أو جمالي...¹.

ومع ذلك كان نزول القرآن الكريم تنويجا لما وصلت إليه العربية من نضج ونمو، فعكس في ألفاظه وتراكيبه كل الخصائص اللغوية الدقيقة التي وصلت إليها العربية عبر حياتها الطويلة، بل لقد أضاف إليها القرآن الكريم زادا جديدا أو أظهر كل قدراتها اللغوية في التعبير والتصوير، ومن ثم اعتبر الباحثون قديما وحديثا أن أهم حدث في تاريخ هذه اللغة هو نزول القرآن الكريم وظهور الإسلام².

ولم تكن العربية حتى نزول القرآن الكريم وقبل الفتح الإسلامي إلا لغة الإعراب المقيمين في شمال جزيرة العرب والمتنازرين في بعض مناطق بادية الشام والعراق، كما كانت لغة سكان مدن شمال شبه الجزيرة العربية... ولكن بالإسلام والقرآن بدأت مرحلة جديدة في تاريخ هذه اللغة وهي ما زالت بعد لم تغادر موطنها الأصلي، فبدأت تلك المرحلة في الفكر والعقل أولا ثم انعكس ذلك كله في اللغة إذ هي وعاء الفكر ودليله³، وقد جسد القرآن الكريم بحق هذين الجانبين من طبيعة اللغة بشكل معجز... ومن هنا تأكدت رابطة وثيقة بين العربية والإسلام، يقول **يوهان فاك** " لم يحدث في تاريخ اللغة العربية بعد أثرا في تقرير مصيرها من ظهور الإسلام ففي ذلك العهد عندما رتل محمد صلى الله عليه وسلم القرآن

¹ - فاك يوهان، العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة : رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1980، ص 01.

² - المرجع نفسه، (نقلا عن الباقلاني، إعجاز القرآن)، ص 19 - 35.

³ - المرجع نفسه، ص 246.

على بني وطنه بلسان عربي مبين تأكدت رابطة وثيقة بين لغة والدين الجديد كانت ذات دلالة عظيمة النتائج في مستقبل هذه اللغة"¹.

وفي ظل هذا الاهتمام للعربية والإسلام، يقول ابن فارس "كانت العرب في جاهليتها على إرث نت إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائهم وقرابينهم، فلما جاء الله جل ثناؤه بالإسلام حالت أحوال ونسخت ديانات وأبطلت أمور ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع آخر بزيادات زيدت وشرائع شرعت وشرائط شرطت فعفى الآخر على الأول وشغل القوم بعد المغامرات والتجارات وطلب الأرباح والكدح للمعايش في رحلة الشتاء والصيف وبعد الإغراء بالصيد والمعافرة والمياسرة بتلاوة الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وبالنفقة في دين الله - عز وجل - وحفظ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اجتهادهم في مجاهدة أعداء الإسلام"².

ويحدد لنا **الجاحظ** بعض سمات هذا التغير اللغوي الذي طرأ على العربية بسبب الإسلام ممثلاً في سقوط بعض الألفاظ والتراكيب من الاستعمال فيقول "ترك الناس مما كان مستعملاً في الجاهلية أموراً كثيرة، فمن ذلك تسميتهم للخراج إثارة وكعقولهم للرشوة ولما يأخذه السلطان الحلوان والمكس، كما تركوا أنعم صباحاً وأنعم ظلاماً، وصاروا يقولون كيف أصبحتم وكيف أمسيتم، كما تركوا إن يقولوا للملك أو السيد المطاع أبيت اللعن، وقد ترك العبد أن يقول لسيد ربي، وكذلك حاشية السيد والمملك تركوا أن يقولوا ربنا"³، لأن دلالة كلمة الرب اختلفت بعد الإسلام حقاً ما زلنا نقول حتى : رب الدر، ربة البيت ولكننا

¹ - حلمي خليل، "المولد" (دراسة في نمو تطور اللغة العربية بعد الإسلام) الهيئة العامة للإسلام، الاسكندرية، 1978، ص 245.

² - ابن فارس، "الصاحبي" ص 178.

³ - الجاحظ، الحيوان، ج 1، ص 327 - 328.

نعرف ونحدد بالإضافة الدلالة التي نقصدها حتى إذا ما قلنا الرب أو ربنا أنصرف الذهن مباشرة إلى الخالق سبحانه وتعالى دون سواه، ولم يكن الأمر كذلك في الجاهلية، وقد لاحظ أبو حاتم الرازي (ت 322 هـ) الفرق بين دلالة كلمة الرب في الإسلام والجاهلية فقال عند تحليله للفظه الرب: "الرب المالك والسيد والرب في كلام العرب هو المالك يقال هذا رب الدوار ورب الضيعة درب المملوك ويقال ذلك في كل مالك لشيء... ولا يقال للمخلوق هو "الرب" معرفا بالألف واللام كما يقال لله عز وجل بل يعرف بالإضافة فيقال "رب الدار" و"رب البيت" وغير ذلك، لأنه لا يملك غير ذلك الشيء، فإذا قيل الرب معروفا بالألف واللام دلت الألف واللام على العموم واستغنى بذلك عن الإضافة لإضافة لأنه عز وجل رب كل شيء ومالكة فلا يضاف إلى شيء فيختص به دون غيره لا يملك غيره"¹.

وبناء على ما تقدم، فدلالة الرب بمعنى مالك كل شيء ومديره والقائم عليه فكرة تجريدية إسلامية للدلالة لم تكن للفظ قبل الإسلام، واللفظة في الحقيقة سامية قديمة شاعت في اللغات العبرية والآرامية والسريانية الحبشية. حتى جاء الإسلام فأضاف إليها تلك الدلالة الجديدة التي عرفت بها في الإسلام.

ويدرك حلمي خليل على مثل هذا أيضا نلاحظه في بقية أسماء الله التي نطق بها القرآن الكريم فمعظمها نقل من الدلالة الحسية المادية إلى دلالة مجردة تتناسب مع ما وصف به القرآن الكريم الله عز وجل حيث "ليس كمثل شيء"².

وهكذا ارتقت اللغة في صدر الإسلام إلى طورها الأعلى ودخلت في أهم دور يحق عليها أن تسمية عصر شبابها فنمت عروقتها وأثمرت غصونها بألوان مختلفة من الأساليب ومن

¹ - حلمي خليل، "المولد"، ص 252. (نقلا عن أبو حاتم الرازي، الزينة، ج 2) ص 27.

² - حلمي خليل، "المولد في علم اللغة"، ص 252.

مأثر هذه الحياة الراقية إن كان كلان الناشئين في الإسلام من العرب أحلى نسقا وأصفى ديباجة من كلام الجاهلية في شعرهم وخطبهم ومحاوراتهم¹.

ومن الأسباب التي ارتقت بها اللغة حتى بلغت أشدها وأخذت زخرفها أمور ثلاثة أحدهما من جاء به القرآن الحكيم من صورة النظم البديع والتصرف في لسان العرب على وجه يملك العقول فإنه جرى في أسلوبه على منهاج يخالف الأساليب المعتادة للفصحاء...².

فالبيان وفق ما توحىه الأحاديث النبوية ليس صناعة لفظية، ولا أصوات عالية، ولا صباحا وتشادقا ولا زخرفا وتمويهها وتكسب وإنما هو رسالة في الحياة قوامها التعبير كما يريد الإنسان بأسلوبه يجلب له المودة والاحترام، وموقف النبي صلى الله عليه وسلم من النثر قريب من موقفه من الشعر، فهو موقف أخلاقي قبل كل شيء.

2-1- التفاعل اللغوي بين اللغة العربية واللغات السامية في صدر الإسلام :

حيث نزل القرآن الكريم في مكة المكرمة، وبدأ الإسلام رحلته لم يكن بمكة من أهل الكتاب أحد، بل كان مجتمعاً إما كافراً وإما مسلماً فقط، وليس بينهما جنس ثالث، كالمنافق أو الذمي³. ولذلك كانت اللغة العربية شبه صافية في مكة المكرمة، عبارة عن لهجة قريش السائدة آنذاك، واللغة المشتركة الفصحى التي هي شتات متجمع من لهجات شبه الجزيرة العربية كلها أو معظمها⁴، ولم ترد لنا الأخبار عن معرفة أحد من الصحابة في مرحلة ما قبل

¹ - محمد الخضر الحسين، "دراسات في العربية وتاريخها"، ص 122.

² - المرجع نفسه، ص 122.

³ - وذلك راجع على أن اليهود توزعوا في شبه الجزيرة العربية، وتفرقوا فيها، وابتعدوا عن محمد، ينظر : فجر الإسلام، ص 24.

⁴ - رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 06، 1999، ص 84 - 86.

المهجرة لغة من اللغات السامية أما في المدينة المنورة فقد عرف بعض الصحابة اللغة السامية أو واحدة منها، ويمكن أن نرى ذلك واضحا من خلال اتجاهات ثلاثة هي :

2-1-1- اختلاف جنس الصحابة :

لم يكن مجتمع الصحابة مجتمعاً من أصل عربي فقط، بل كان فيهم غير العرب، مثل : سلمان الفارسي¹، وصهيب الرومي²، وبلال الحبشي³. ولذلك كان كل منهم يحمل لغته الأصلية... وهذا أمر طبيعي في أي شخص يتحول من بلده الذي يتكلم لغته الأصلية، إلى بلد آخر لا يستخدم تلك اللغة، وعندئذ تظل اللغة الأولى لغة أما... ولا تمحى من الذاكرة أبداً رغم وجود لغة ثانية⁴.

إذا كانت لغة سلمان هي الفارسية، ولغة صهيب هي الرومانية تبعاً لموطنهما الأصلي، فإن ما يهمنا هنا هو لغة بلال الحبشي، حيث كانت اللغة الحبشية وهي من اللغات السامية والتي كان يتكلمها النوبيون في بلاد النوبة.

والجدير بالذكر، فلقد كان بلال يتكلم هذه اللغة أحياناً، ولكن حبه للإسلام ولغته العربية التي نزل بها القرآن الكريم، حال دون ممارسة استخدام اللغة الحبشية ولعله كان يجد من يتكلم معه بها مثل أبي هريرة الذي روى عنه أنه كان يعرف اللغة الحبشية، يقول الإمام البخاري في ذلك : عن أبي هريرة يقول : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " لا يوردن

¹ - هو أبو عبد الله سلمان الفارسي، صحابي جليل، أصله من بلاد قارس، سمع بالنبي الكريم، ف جاء المدينة وبيع عبداً، ثم أسلم، وشهد المشاهد بدءاً بالخندق، وهو الذي أشار بحفره (33هـ).

² - هو صهيب بن سنان الرومي صحابي جليل، أسلم في محكة، وشهد المشاهد كلها، وكانت في لسانه لكنة رومية، وهو من أول سبعة أسلموا بمكة (ت 38 هـ)

³ - هو بلال بن رباح الحبشي الصحابي الجليل، ومؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، اشتراه أبو بكر الصديق من أمية بن خلف وأعتقه، شهد المشاهد كلها، ومات بالشام عام 20 هـ.

⁴ - D.A Wilkims ; in language teachinigi, P 151

ممرض على مصح" وأنكر أبو هريرة حديثه الأول¹، قلنا : ألم تحدث أنه لا عدوى فرطن بالحبشية².

فجلمة (فرطن بالحبشية) تعني أنه تكلم باللغة الحبشية كلاما لم يفهمه من سمعه من الصحابة، ولو عرفوا معنى ما قال لا وردوه في هذا الحديث وإذا كان أبو هريرة عربيا³ يتكلم اللغة الحبشية، فمن المرجح أنه تعلمها من بلال الحبشي، ولو أنه أسلم قبل هجرة الحبشة، لقلنا إنه تعلمها من أهلها هناك، ولكنه أسلم بعد الهجرة إلى المدينة المنورة، ولم يهاجر إلى الحبشة، لأنه كان مسلما آنذاك.

ويلاحظ أن اللغة الحبشية أو (الجعزية) وهي لغة العرب الذين هاجروا إلى الحبشة قبل الميلاد، كانت معروفة لدى بعض القريشيين بدليل أن الفضل بين العباس بن عتبة بن أبي لهب، كانت جدته حبشية كما أن الشاعر سحيما عبد بني الحسحاس⁴ كان يرطن بلكنة أجنبية فكان يقول :

(أحسنك) بدلا من أحسنت والكاف هذه هي ضمير المتكلم في الحبشية ولكن يوهان فك يرى أن التفاصيل التي وردت عن تلك اللكنة ليست جديرة بالثقة.

¹ - وهو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا عدوى) ينظر : صحيح البخاري (كتاب الطب) ص 7-17، 31-32، ونص الحديث هو : عند أبي هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر، وفرض المجذوم كما تفر من الأسد)

² - صحيح البخاري (كتاب الطب)، ص 07-31.

³ - هو عمير بن عمر بن عامر الدوسي، من قبيلة دور، صحابي جليل، روى كثيرا من الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أسلم سنة 7 هـ، ومات سنة 57 هـ.

⁴ - هو الشاعر سحيم عبد بني الحسحاس، صحابي جليل، كان عبدا حبشيا، اشتراه عبد الله بن أبي ربيعة، أدت رسول الله وآمن به، وقتل في خلافة عثمان بن عفان، ينظر : ابن كتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، 1423 ص 91-92.

2-1-2 - اختلاط مجتمع الصحابة بغيره من أهل الكتاب :

اختلط المسلمون الأوائل في المدينة المنورة بغيرهم من أهل الكتاب، وبخاصة اليهود، حيث كان في المدينة ثلاث قبائل من اليهود هم بنو قريظة وبنو قينقاع¹، وذلك عكس مكة المكرمة التي خلت منهم. وكان هؤلاء اليهود متمسكين بلغتهم العربية، بوصفها لغة كتابهم المقدس، وهو ما عبر عنها يوهان فك بأنهم كانوا ينطقون لهجة تختلف كثيرا عن لغة السكان الآخرين بالمدينة، بحيث لم تكن مفهومة لهم.

وفي هذا السبيل، ربما كان النطق في العصر القديمة مختلفا كثيرا عن النطق الحالي للغة العبرية، وتظهر هذه الفروق في في حين لآخر في الهجاء المعتاد في النسخ القديمة من العهد القديم كما يختلف الضبط أحيانا وعلامات الوقف، وقد نجد في الترجمة الأغريقية القديمة للعهد القديم فقد كانت الكلمات العبرية والأعلام في تلك الترجمة تكتب بحروف إغريقية وخاصة في عهد الأسكندر المقدوني².

وكثرا ما كان يحدث بين المسلمين الأوائل (الصحابة) واليهود مجادلات كثيرة بشأن العقيدة أو المعاملات أو الحدود، فكان اليهود يستشهدون ببعض مما في كتابهم الذي يقدسونه، فيقرؤون منه باللغة العبرية، ثم يترجمون ذلك إلى اللغة العربية، ليفهمه المسلمون وفي

¹ - ينظر : سيرة ابن هشام، 03 - 108.

² - عطية الأبراشي، "الأدب السامية"، ص 21.

ذلك يقول البخاري عن أبي هريرة قال : كان أهل الكتاب يقرأون التوراة* بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : " لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا : آمنا بالله وما أنزل " ¹.

وفي هذا الطور، قد تعلم بعض الصحابة اللغة العبرية، ربما بالممارسة ومخالطة أهل الكتاب... ومنهم :

1- عبد الله بن عتيق ² الذي كان يرطن باليهودية، أي يعرف العبرية.

2- عبيد الله بن جحش ³ الذي كان يقرأ الإنجيل والتوراة.

*- التوراة : هي الكتب الخمسة التي أنزلها الله على سيدنا موسى، كما أنزل الإنجلي على عيسى، والزبور على داود، والفرقان على خاتم النبيين سيدنا محمد بن عبد الله، وقد ورد في القرآن الكريم : "إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور" والتوراة أعظم كتاب لدى بني إسرائيل، ويشتمل على القانون الذي أنزله الله وعلى التاريخ من آدم إلى موت موسى، وتنقسم التوراة خمسة أسفار وهي :

- (1)- سفر التكوين : ((Genesis : يوجت غي خلق العالم، وحياة الإنسان في بدء الخليقة وفيه قصة آدم وجواء، ونوح والطوفان، وقصص إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف، حتى انتقلت أسرة يوسف إلى مصر.
- (2)- سفر الخروج : ويشمل تاريخ بني إسرائيل وهم في مصر، ويوضح كيف كان الفراعنة يعذبوهم، وكيف خرجوا من مصر، وقصة موسى وفرعون، والوحي على جبل سيناء، والوصايا العشر، وهي أساس ديانة بني إسرائيل.
- (3)- سفر اللاويين : (Leviticus) ويبحث في : أحبار والعادات والقوانين الخاصة بالتضحية والقران.
- (4)- سفر العدد : ويبحث في الشرائع، وتاريخ بني إسرائيل في أثناء سفرهم في البرية من سيناء إلى حدود موآب.
- (5)- سفر التثنية : (Deutenenomy) : وفيه خطب سيدنا موسى للشعب، وهو يعظ بني إسرائيل ويأمرهم بالإيمان بالله وناموسه.

¹ - صحيح البخاري (كتاب التفسير) ص 05-150... والجزء الأخير من الحديث آية قرآنية نصها هو " قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ" سورة البقرة الآية : 136.

² - هو عبد الله بن أبي بكر الصديق، صحابي جليل، شقيق أسماء، كان يخبر رسل الله صلى الله عليه وسلم وأباه في الهجرة بأخبار مكة، وتزوج عاتكة بنت زيد.

³ - هو عبيد الله بن جحش، كان زوج أم حبيبة بنت أبي سفيان، أسلم وهاجر إلى الحبشة، ولكنه تنصر هناك ومان على النصرانية، وهو مشكوك في صحبته، فلا يعتبر صحابيا بل مرتدا.

2-1-3- الرسائل المتبادلة لنشر الإسلام :

كانت هناك في المرحلة المدنية في الإسلام رسائل من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لنشر الإسلام ودعوة غير المسلمين للإسلام وكان معظم هؤلاء المدعون من غير العرب، كالفرس والروم والقبط من أهل الكتاب ولذلك كان لابد من الكتابة لهم بلغتهم، وكذا استقبال رسائلهم ومعرفة ما فيها وهي مكتوبة بلغتهم أيضا.

عندما قدم "رسول الله صلى الله عليه وسلم" إلى المدينة مهاجرا، جاءه الأنصار رضي الله عنهم بفتى صغير من بني النجار، ما جاوز العاشرة من عمره، يعرضون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكائه، وقوة حفظه، لأنه كان يحفظ سبع عشرة صورة من القرآن الكريم، فلما قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أعجب عليه الصلاة والسلام بإتقان حفظه وذكائه، وقال له: "تعلم كتاب يهود فأني ما آمنهم على كتابي"، ولم يمضي نصف شهر حتى تعلم الفتى الذكي لغة اليهود، وأصبح يقرأ رسائل اليهود إلى رسول الله فيترجمها له، وإذا أراد صلى الله عليه وسلم كتابة رسالة إلى اليهود، قام هذا الفتى بكتابتها، ولم يلبث رسول الله أن أمر الفتى بتعلم اللغة السريانية، ليقوم بالوظيفة نفسها في المراسلات مع الروم.

هذا الفتى الموهوب هو الصحابي الجليل "زيد بن ثابت"، الذي كان من أحفظ الصحابة لكتاب الله الكريم، والذي هياه الله ليس هم بدوره أساسي فعال في جمع القرآن الكريم، بعد وفاة رسول الله عليه الصلاة والسلام، وحفظه في المصحف، وبالتالي حفظ اللغة العربية.

إن قصة الصحابي "زيد بن ثابت" رضي الله عنه مليئة بالعبر والدلالات، ولكننا نكتفي بعبرة واحدة ودلالة هامة، وهي حرص النبي العربي صلى الله عليه وسلم الذي أنزل الله عليه كتابه العربي الأول، والذي يقول عن نفسه "أنا أفصح العرب" حرص عليه الصلاة والسلام على أن يكون في المجتمع من يتقن اللغات الأجنبية، بل واختياره لهذه المهمة أذكى الشباب وأكثرهم موهبة

وفطنة، وهذا يدل على أن أنصار اللغة العربية وحماتها منذ فجر تاريخ هذه الأمة حتى اليوم، هم أحرص الناس على الانفتاح على اللغات الأخرى، لا كما يزعم "دعاة التغريب"، من أن من يدافع عن اللغة العربية، فهو بلا شك عدو اللغات الأخرى، ومنغلق على نفسه، ومتحجر الفكر والذهن، يرفض أن يتعلم أي لغة غير لغته الأم ويعتبر انحرافا وخروجاً، وفي قصة "زيد بن ثابت" رضي الله عنه ما يردّ عليهم، وفي تاريخنا ما يدحض حججهم¹.

وبناء على ما تقدم، يتبين لنا أن المجتمع العربي قبل الإسلام وظهوره كانت فيه ازدواجية فردية كالتالي :

1- بين العربية والعبرية.

2- بين العربية والحبشية.

ولا نستطيع أن نقول إن كلمات اللغة العبرية القديمة معروفة بكل دقة، فإن العهد القديم كتاب كبير الحجم يحتوي كثيرا من التكرار، وعدد كبيرا من القطع التي تفيد العالم الديني كثيرا، والعالم اللغوي قليلا. وهناك كثير من الكلمات العبرية التي لم تظهر في العهد القديم، ولم تنهياً للكتاب فرصة لاستعمال تلك الكلمات، ويقول عطية الأبراشي في هذا الصدد : ولو عرفنا حق المعرفة مجموعة الكلمات العبرية في عصر "أرميا" مثلا لكنا اليوم قادرين على معرفة الصلة بين "اللغة العبرية واللغات السامية الأخرى" ولكن العهد القديم أسهل فهما علينا².

فاللغة العبرية سميت في العهد القديم باللغة الكنعانية واللغة اليهودية، وكلمة عبري مشتقة من الفعل "عبر" في اللغة العبرية بمعنى اجتاز أو رحل ومعنى عبري : الكثير الرحلة ثم

¹ - فداء ياسر الجندي، "العرب والغربية في عصر الثورة الحاسوبية" ص129.

² - عطية الأبراشي، "الأدب السامية"، ص 22.

سميت هذه اللغة فيما بعد باللغة العبرية¹، فقد كانت لغة الأحرار والرهبان الذين كانوا منتشرين في شبه الجزيرة العربية، لسبب ديني، وهو محاولة التنبؤ ببعثة الرسول الكريم وظهور الإسلام، إذ أن هؤلاء الرهبان والأحرار كانوا يهودا واستمرت هذه اللغة تتفاعل مع العربية، وبخاصة في العهد المدني، واستمر التابعون يعرفون العبرية بعد ذلك، حيث ترجموا أسماء الأنبياء السابقين، ومن بينهم كالتالي :

ينقسم الأنبياء إلى قسمين : أحدهما خاص بالأنبياء الأول، ويشمل تاريخ بني إسرائيل من دخول يشوع فلسطين إلى أن هدم بختنصر ملك بابل المعبد ببيت المقدس وهم² :

- 1- يشوع : ويحتوي انتظار بني إسرائيل، وانقسام الأرض المقدسة.
- 2- القضاة : مدة القضاء بين موت يشوع وولادة صموئيل.
- 3- صموئيل : وهو كتابان : أحدهما خاص بتاريخ صموئيل وصول والقسم الأول من تاريخ داود، والكتاب الآخر خاص بحكم داود.
- 4- الملوك : وهو كتابان، ويحتويان موت داود، وحكم سليمان حتى بدء النفي إلى بابل.

والقسم الآخر من الأنبياء خاص بالأنبياء الآخرين، وهم أشعيا، ويوثيل، وعاموس، وعويديا، ويونس، وحيخا، وناحوم، وحبقوق، وصفنيا، وحجي، وزكريا وملاخي³.

¹ - عطية الأبراشي، "الأدب السامية"، ص 22.

² - ينظر : أبو عبد الله محمد ابن سعد، "الطبقات الكبرى"، دار صادر الكتب العلمية، بيروت، 1985، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، 1998 ص 01- 75.

ويلاحظ أن أسماء الأنبياء كلها غير عربية، إلا أربعة : "أدم، وصالحا، وشعيا، ومحمدا".

³ - عطية الأبراشي، "الأدب السامية..."، ص 25.

وأما الحبشية فقد كانت لغة الأحباش الذين اختلط بهم العرب قبل الإسلام في رحلاتهم التجارية إلى اليمن، وبعد الإسلام اختلطوا بهم في هجرة الصحابة إلى الحبشة¹، وإسلام بعضهم كبلال، ورغم أن هجري الحبشة قد اختلط فيهما المسلمون بأهل اللغة الحبشية، فأنتهما لم تثمرا كثيرا في مجال التفاعل اللغوي بين العربية والحبشية، وذلك لاهتمام المهاجرين إليها بفهم الدين الجديد، وتقوقع أهل الحبشة على أنفسهم ولغتهم ودينهم².

ويمكن القول حينئذ بأن اللغة الحبشية : هي اللغة التي تكلم بها سكان جنوبي شبه الجزيرة العربية، حيث انتقلوا عبر بحر العرب والمحيط الهندي إلى الصومال وإثيوبيا (بلاد الحبشة) وقد اختلطوا بأهلها الحاميين، وطغت لغتهم على لغة هؤلاء الأقوام وقد تمت هذه الهجرة إلى الحبشة قبل الميلاد بوقت طويل، وتسمى لغتهم أيضا الجغرية، نسبة إلى الشعب الجعزي، ثم اقتبس الأحباش من اللغة الحبشية لغتهم الأثيوبية السائدة الآن، ثم تفرعت إلى لهجات كثيرة أهمها الأمهرية³.

3- العربية في العصر الأموي :

في البداية هذه نبذة تاريخية موجزة عن هذا العصر :

1- يبدأ هذا العصر من سنة (41 هـ) ويمتد إلى سنة (132 هـ) وهو عصر الفتوحات، وقيام نواة الحضارة العربية الإسلامية والخلفاء الذين حكموا هذه الدولة فرعان : الفرع السفيني والفرع المرواني وأصبحت الخلافة وراثية في هذا البيت، وقد انتشرت الفرق الدينية فكان هناك : السنة، والشيعة، والخوارج

¹ - ينظر : سيرة ابن هشام، ص 280/1 - 293.

² - ولذلك لم يلم أحد منهم ويعود مع الصحابة إلى مكة أو المدينة، بل إن ملكهم النجاشي تحفظ في إسلامه

³ - ينظر : رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية ص 21 - 29.

والمرجئة وقد امتزج العرب في هذا العصر بالأمم الأجنبية، وأطلق على من أسلم من غير العرب : الموالي* وأدى هذا الامتزاج إلى فشو اللحن، وضعف السلائق العربية. ولعب الاقتصاد وجباية الضرائب من الموالي دوراً في حياة تلك الدولة إلى أن حط عمر بن عبد العزيز الضرائب عن كل من أسلموا من الموالي¹، وقد تأثر شعراء هذا العصر بالإسلام، وتطور الغزل مما هياً لظهور الغزل العذري*، وتحوّل المديح إلى تصوير الفضيلة الدينية للمدوح وانتشر شعر الحماسة بتأثير الجهاد، كما اشتد لهيب الهجاء بتأثير العصبية القبلية.

وفي هذا الأمر كله، فلقد تأثرت الحضارة العربية الإسلامية بالحضارات الأجنبية، وبرز الترف في الحياة العامة، وأدى هذا إلى شيوع الغزل المادي الصريح في الحجاز. أما الثقافة فكانت روافدها ثلاثة : جاهلي وإسلامي وأجنبي. وهكذا انتشر الشعر في الحواضر الإسلامية وخاصة بمكة والمدينة ونجد، والكوفة والبصرة، وخراسان والشام ومصر وغيرها².

2- ازدهرت في هذا العصر الخطابة ازدهارا بارعا "لعل العرب لم يعرفوه في أي عصر من عصرهم القديمة، فقد كانوا أصحاب مواهب بيانية، وعملت بواعث كثيرة على أن تتوهج هذه المواهب في الخطابة حينئذ"³.

¹ - محمد رفعت زنجبير، مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن الكريم، ص 47.

*- الموالي : مفرد الموالي : وهو المساند والمخالف.

*- الغزل العذري فن شعري تشيع فيه حرارة العاطفة، ويصور خلجات النفس، وينسب إلى قبيلة عذرة التي اشتهر شعراؤها بهذا اللون الشعري... والأساس فيه "نشوء الحب العذري من التقاء عنصرين : العاطفة الدينية، والميول الجنسية، أما الغزل العذري فهو التعبير الفني عن هذا الحب". وقد ازدهر هذا الفن في صدر الإسلام وعصر الدولة الأموية، حيث أصبح مدرسة شعرية قائمة بذاتها.

² - د. شوقي ضيف، "تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي"، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 11، ج 2، ص 139-214.

³ - المرجع نفسه، ص 484.

3- أكثر الملاحظات البيانية في هذا العصر "وهي كثرة عملت فيها بواعث كثيرة، فقد تحضر العرب واستقروا في المدن والأمصار، ورقيت حياتهم العقلية، وأخذوا يتجادلون في جميع شؤونهم السياسية والعقيدية، فكان هناك الخوارج والشيعية والزبيريون والأمويون، وكان هنالك المرجئة والجبرية والقدرية والمعتزلة، فكان طبيعياً أن ينمو النظر في بلاغة الكلام، وأن تكثر الملاحظات المتصلة بحسن البيان، لا في مجال الخطابة والخطباء فحسب، بل أيضاً في مجال الشعر والشعراء" ¹.

4- وقامت في هذا العصر الأسواق الأدبية، فكان هنالك "سوق المربد" في البصرة، وسوق الكناسة في الكوفة، مقام سوق عكاظ في الجاهلية، بل لقد تحولاً إلى ما يشبه مسرحين كبيرين، يعدو وعليهما شعراء البلدين ومن يفد عليهما من البادية، لينشدوا الناس خيراً ما صاغوه من أشعار، واستطاع "جرير والفرزدق" أن يتطروا في سوق المربد بفن الهجاء القديم، فإذا هو يصبح مناظرة واسعة في حقائق عشيرتي الشاعرين وحقائق قيس وتميم، ويحاكيهما كثير من الشعراء، ويتجمع لهم الناس يصفقون كلما مر بهم بيت نافذا الطعنة ويصيحون ويهتفون ².

5- وازدهرت في هذا العصر صناعة الترسيل، وقد "كثرت كثرة مفرطة الرسائل وخاصة السياسية، وأخذ كتاب الدواوين المحترفون ينهضون بالكتابة الديوانية، حتى كان سالم رئيس ديوان هشام بن عبد الملك، فإذا هو يتخذ فيها أسلوب خطباء الوعظ والقصص الديني... وتبعه عبد الحميد الكاتب، فأوفى بالكتابة

¹ - د. شوقي ضيف، "البلاغة تطور وتاريخ"، ص 15-16.

² - المرجع نفسه، ص 16.

الديوانية على الغاية من غزارة المعاني وروعة الأسلوب وإعطائه حقوقه من الجزالة والرونق والطلاوة، ومضى يدبج رسائل أدبية لا يقصد بها إلى سياسة وإنما يقصد بها إلى الأدب من حيث هو فن جميل¹.

6- بدأت الحركة العلمية تزدهر في العصر الأموي، فقد ساعدت النهضة العلمية التي قامت في مدينتي البصرة والكوفة وما ظهر بينهما حتى اختلاف في الآراء اللغوية والنحوية، كما ساعد الخلاف في الرأي بين الفرق الإسلامية نفسها على إنهاض العقول من كبوتها، وإثارة المناقشات في كل ما يتصل بحياة المسلمين العامة دينية وسياسية واجتماعية ومنها مسألة إعجاز القرآن².

لقد كان الحكم في العصر الأموي عربياً، وكان العرب يعدون أنفسهم الطبقة الحاكمة، لذا كان لهم مقابل بقائهم في تلك الأمصار عنصراً حامياً للدولة العربية عطاء مادي تمنحه الدولة لكل واحد منهم، وهكذا ظل التحدث بالعربية البدوية سمة انتماء إلى الطبقة الاستقرائية الحاكمة، وكان من الطبيعي في هذا الإطار أن يحرص سادة البيت الأموي ومن يحاكونهم من العرب على تنشئة أبنائهم المولودين في المناطق المفتوحة في بيئة عربية بدوية، والجدير بالذكر، كان الأبناء يرسلون إلى البادية لاكتساب اللغة العربية على نحو استخدامها عند البدو الفصحاء، حتى يستقيم لهؤلاء الأبناء الانتظام في الطبقة الحاكمة وحتى يتضح تميزهم عن الطبقات الدنيا³.

وتميزت الكتب العربية عندهم بروايات تذكر أن سادة المجتمع وأمرء البيت الأموي كانوا ينظرون نظرة فرع إلى أي خطأ لغوي يقع فيهم أبنائهم، وكانوا يحرصون كل الحرص

¹ - د. شوقي ضيف، "تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي"، ص 485.

² - محمد رفعت زنجبير، "مباحث في البلاغة والإعجاز القرآن الكريم"، ص 51.

³ - د. محمود فهمي حجازي، "العربية نصوص ودراسات"، ص 11.

على أن يستخدم أبناؤهم اللغة العربية وينطقون بها على النحو الذي يعرفه البدو الذين لم تفسد لغتهم بالاختلاط بالأعاجم¹.

وفي تلك المجتمعات التي ضمتها الدولة الإسلامية في العصر الأموي كان التحدث بغير العربية سنة انتماء إلى الطبقات الوسطى والدنيا.

وفي هذه الفترة كانت الطبقات الوسطى والدنيا ما تزال مرتبطة إن قليلا أو كثيرا باللغات التي سادت تلك الأقاليم قبل الفتح الإسلامي فكانت القبطية لغة الطبقات الشعبية في مصر، وكانت اللهجات الآرامية المختلفة تسود أكثر مناطق الشام وبعض مناطق العراق، ومع هذا ظلت اللهجات الإيرانية الوسيطة المختلفة وسيلة التعامل المحلي في شرق الدولة الإسلامية وفي نفس الوقت كانت اللهجات العربية الجنوبية المختلفة لا تزال تستوعب الحياة اليومية في جزء من الجنوب العربي لم يكن قد تعرب بعد بلغة الشمال².

ويبدو أن شعراء الرجز آنذاك يعكسون الوضع اللغوي بشكل جيد نسبيا، فالبنسة المئوية للكلمات العربية لديهم أعلى نسبيا، بيد أن قصائد جرير والفرزدق اللذان أقاما بالعرق زمنا طويلا تشير إلى عدد مثير للدهشة من كلمات مقترضة من الإيرانية والآرامية من المحتمل أنها أخذت من لغة معاصريها. وعلى العكس من ذلك، يفتقر إلى تلك الكلمات المقترضة إلى حد بعيد لدى منافس هذين الشاعرين، الشأمي الأصل، الأخطل³.

فهذه العلاقات اللغوية والاجتماعية جعلت التحدث بالعربية البدوية دليلا على التفوق الاجتماعي بينما كان استخدام اللغات الأخرى دليلا على حسن ذلك.

¹ - د. محمود فهمي حجازي، المرجع السابق، ص 11.

² - المرجع السابق، ص 11-12.

³ - ينظر: أسعيد حسن بحيري، "الأساس في فقه اللغة العربية"، ص 39.

4- العربية في العصر العباسي :

قامت الدولة العربية الإسلامية بقيام دولة الرسول في المدينة، واتسعت بالفتوحات الإسلامية في الشرق والغرب في عهد خلفاته الراشدين الذين استرشدوا بآرائه، واستمدوا بقيادته القائمة على الشورى والمساواة، ثم ازدهرت هذه الدولة في عصر الخلفاء الأمويين الذين استندوا في الحكم على مبدأ الوراثة، واعتمدوا على العنصر العربي دون الأعجمي في القيادة والإدارة، باعتبار أن العرب وحدهم يشكلون جوهر الدولة ومادة الإسلام، ولهذا السبب عرف هذا العصر بعصر الدولة العربية، لأنه العصر الذي انتصر فيه العنصر العربي، وانتشر في آفاق البلاد المفتوحة، وانتشرت فيه اللغة العربية، وتعربت الدواوين وسكت العملة العربية الإسلامية، وأصبح للعرب المكان الأول، إلى أن سقطت الدولة الأموية في سنة 132 هـ (750م).

وقامت الدولة العباسية، عندئذ فقط بدأ عصر جديد في تاريخ العرب اعتمد فيه العباسيون -مع كونهم عربا- على العناصر الأعجمية¹، في تصريف شؤون دولتهم، وقد موهم على العرب في المناصب القيادية، ولهذا السبب عرف العصر الأموي بعصر الدولة العربية والعصر العباسي بعصر الدولة الإسلامية وقالوا : دولة بني أمية دولة عربية، ودولة بني العباس إسلامية، أو كما قيل إن "دولة بني العباس أعجمية خرسانية، ودولة بني مروان هوية عربية"².

¹ - ساد العنصر الفارسي إبان العصر العباسي الأول والثالث، والتركي في العصر العباسي الثاني والرابع، كما ساد العنصر البربري في غرب العالم الإسلامي منذ قيام الدولة العباسية.

² - الجاحظ، البيان والنبين "ج 1"، القاهرة، 1932، ص 306.

وفي ذلك يقول السيوطي : " في دولة بني العباس افتقرت كلمة الإسلام، وسقط اسم العرب من الديوان، وأخل الأتراك في الديوان،... فصارت لهم دولة عظيمة، وانقسمت ممالك الأرض عدة أقسام وصار بكل قطر قائم يأخذ الناس بالعنف ويملكهم بالقهر" ¹.

والدولة العباسية تنسب إلى العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف عن الرسول، وكان العباس من أشرف سادات بني هاشم، وتجمع المصادر على أنه وقف بجانب الرسول في بيعة العقبة الثانية، وكان يوافي النبي (صلعم) بأخبار مكة وتحركاتها ضده، وهاجر إلى المدينة قبيل فتح مكة، وحضر مع النبي فتحها، وتوسط لأبي سفيان عند النبي، وكان العباس يناصر علي بن أبي طالب ويرشحه للخلافة ².

وتوفي العباس في خلافة عثمان في 14 رجب سنة 22 هـ، وأعقب من الأبناء : الفضل أكبر أبنائه وعبد الله وعبيد الله، وعبد الرحمن، وقسم، ومعبد وأم حبيبة، وكثير وثمام، وصفية واسمية والحارث ومعظم ذرية العباس انتشرت من نسل ابنه عبد الله، أما عبيد الله بن عباس فشخصية إسلامية بارزة وصحابي جليل، ولد قبل الهجرة بستين، وكان الرسول يجبهه ويدعو الله أن يعلمه التأويل فكان ابن عباس أعلم الناس بآيات القرآن وتفسيره وأكثر المسلمين تفقها في الدين ³.

10-11 - عناية الخلفاء بالشعر ومنزلة الشعراء :

كان الخلفاء والأمراء في عصر نفوذ الدولة العباسية عربا، جرى في عروقتهم دم العروبة، وأصلت ملكتها، وسحرتهم بلاغتها ورآوا في الشعر مجدهم التليد وفخرهم القديم، فحرصوا

¹ - جلال الدين السيوطي : تاريخ الخلفاء، بيروت، ص 241.

² - شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، دار المعارف، مصر، ط 1، 2005، ص 07.

³ - نفس المرجع، ص 07.

على روايته وإحيائه واهتزت أريحتهم لسماعه وإنشاده¹، وخبأ أفئدتهم القول الرائع والبيان الفائق واحتلبت عطاياهم المدح الجيد والثناء البليغ.

إن الأدب في العصر العباسي لم يخل من التأثير بالفلسفة يتجلى ذلك فيما كتب ابن المقفع والجاحظ وما نظم المتنبني وأبو العلاء المعري. وبعد كل هذا، إن العالم الإسلامي كان يموج بالفلسفة في عصر الإسلام الذهبي، وأن المراكز الثقافية الإسلامية كانت حينئذٍ مراتع خصبة للدراسات الفلسفية.

وأن الفلسفة ازدهرت أيما ازدهار منذ منتصف القرن الثالث الهجري تقريباً، وبخاصة أيام المأمون والمعتصم والواثق (198-232 هـ) وفي عهد المتوكل أخذت الفلسفة في التدهور في الشرق، لانتصاليها بفكرة الألحاد والزندقة عند الكثير من المتدينين، وظلت الفلسفة في ضعف مستمر إلى أن قضى عليها القضاء الأخير في الشرق باستلاء التتار على بغداد سنة 656 هـ، واسراف (هولاكو) زعيمهم في قتل العلماء وتدمير دور الكتب، وإلقاء محتوياتها في نهر دجلة وبذلك انتهت مأساة الفلسفة في المشرق².

10-12 - العصر الذهبي للإسلام :

كان للفتوحات الإسلامية بعد وفاة "النبي محمد" كبير الأثر في نشر اللغة العربية في أصقاع مختلفة خارج شبه الجزيرة العربية، فبعد أن اعتنق كثير من السريان والأقباط والروم والأمازيغ والأشوريين الدين الإسلامي، أصبحوا عرباً باللغة كذلك الأمر لسبين رئيسيين منها أن اللغة الجديدة كانت لغة الدين حديث النشأة، وهي لغة مصدر التشريع الأساسي في

¹ - د. عبد المنعم خفاجي، "تاريخ الأدب في العصر العباسي الأول"، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط 2، 1401 هـ - 1981 م، ص 60.

² - ينظر : عطية الأبراشي، "الآداب السامية"، ص 74.

الإسلام (القرآن، والأحاديث النبوية) ولأن الصلاة وبعض العبادات أخرى، لا تتم إلا بإتقان بعض كلمات من هذه اللغة، وأيضا التعريب دواوين الأمصار حديثة الفتح، في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، وهكذا أصبحت العربية لغة السياسة والإدارة بعد أن نقلت إليها المصطلحات الفنية في الإدارة والحساب¹، وعلى الرغم من أن كثير من الأمم الأعجمية بقيت على هويتها ولم تتقبل الهوية العربية مثل قسم كبير من الأمازيغ والترك والكرد والفرس وبعض الآستوريين والسريان، فأثما تلقنت اللغة العربية وتكلمتها بطلاقة إلى جانب لغتها الأم، وذلك لأن بعضها اعتنق الإسلام مثل الأكراد والفرس والأترک، وحتى الذين بقوا على الدين المسيحي أو اليهودي أو المندائي الصائبي تكلموا العربية كلغة رئيسية إلى جانب لغتهم الأم، بعد أن أصبحت لغة العلم والأدب خلال العصر الذهبي للدولة الإسلامية تحت ظل الخلافة العباسية، بل أن تلك الشعوب اقتبست الأبجدية العربية في كتابة لغتها². وبعد مرور الوقت أصبحت اللغة العربية الشعائر لعدد كبير من الكنائس المسيحية في الوطن العربي، مثل كنائس الروم الأرثوذكس، والروم الكاثوليك، والسريان، كما كتبت بها كثير من الأعمال الدينية والفكرية واليهودية في العصور الوسطى.

ساهم عدد من الأعجام في تطوير اللغة العربية ومصطلحاتها خلال العصرين الأموي والعباسي بفضل ما نقلوه إلى العربية من علوم مترجمة عن لغتهم الأم، فبرز في العربية كلمات ومصطلحات جديدة لم تكن معهودة من قبل مثل: "بيمارستان" المأخوذة من الفارسية، وخلال العصر الذهبي بلغت اللغة العربية أقصى درجات الإزدهار، حيث عبر الأدباء والشعراء والعلماء العرب والعجم عن أفكارهم بهذه اللغة فكتبت آلاف المجلدات والمؤلفات

¹ - موقع الانترنت ويكيبيديا Wikipedia

² - نفس الموقع.

والمخطوطات حول مختلف المواضيع بلسان العرب¹، وكان من أهمية اللغة العربية في المجال العلمي والثقافي، أن اقتبست بعض اللغات الأوروبية كلمات منها أثناء العهد الصليبي في المشرق أو عن طريق التثاقف والإختلاط مع عرب الأندلس.

وفي هذا العصر أيضا ظهرت طبقات المؤدبين الذين كانوا يهتمون بأبناء الخلفاء وبأولاد علبة القوم وكانوا يلقنوهم اللغة العربية والعلم والمعرفة، وكان الناس يتباهون بمعرفتهم اللغة العربية، محاولين تطعيمها بثقافات الشعوب الإسلامية وغير الإسلامية، فاغترفت اللغة ما وجدته من قيم ثقافية فارسية وهندية ويونانية وسريانية...، وسخرته في مصلحة الإسلام والمعرفة والثقافة والحضارة.

5- العربية في المغرب الإسلامي :

قبل الشروع في الحديث عن العربية في المغرب الإسلامي أرى من الضروري أن نحدد المعنى الجغرافي المقصود من عبارة المغرب... حتى لا يختلط ما نقصده بكلمة المغرب هنا بغيره من المعاني، لأن القدماء والمحدثين استخدموا هذه العبارة بمعان مختلفة، فهي تتسع عند بعضهم كعبد الواحد المراكشي لتشمل شمال إفريقيا والأندلس.

ويضيف معنى المغرب عند بعضهم الآخر ليقصر على ما يعرف حاليا بشمال إفريقيا الذي يمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى الحدود المصرية الليبية شرقا.

ومعظم المعاصرين يستخدم عبارة المغرب بمعنى شمال إفريقيا، ولكن الذي نقصده هو ذلك المعنى الأوسع الذي يشمل الأندلس وشمال إفريقيا والذي يسميه ليفي بروفنسال "الغرب الإسلامي"، وهو ينصرف إلى مجموعة جغرافية بالغة التناسق فيما بينها وتقع على

¹ - نفس الموقع الانترنت.

جانبيي غرب البحر المتوسط، وتمتد حتى سواحل الأطلنطي وتشمل شمال إفريقيا وشبه جزيرة إيبيريا¹.

وقد بدأت الخيوط الأولى للحضارة الإسلامية تنتشر في شبه جزيرة إيبيريا مع بداية الفتح، حيث كان المسلمون عادة يبنون مسجدا في كل مدينة يفتحونها، وكانت تلك المساجد التي أقيمت في معظم المدن مراكز للأشعاع الديني والعلمي، فمن خلال كتابتها كان يتم تعليم القرآن وتعليم مبادئ العربية لأولاد المسلمين من الفاتحين ومن السكان الأصليين الذي اعتنقوا الإسلام.

ولم تلبث الثقافة العربية الإسلامية أن انتشرت في ربوع الأندلس كلها وقد أقبل عليها المسلمون كما أقبل عليها من احتفظ بدينه من السكان الأصليين الذين عرفوا "بالمستعربين" Les mozarabes أو العجم وقد ازداد إقبالهم على الثقافة العربية لأسباب متعددة، منها ما هو سياسي ومنها ما هو اقتصادي ولكن السبب الأول الذي اجتذب المسيحيين للثقافة العربية الإسلامية آنذاك يرجع إلى جاذبيتها وتسامح أهلها².

ومن هنا يبدو وأنه لم يكد ينتصف القرن الثالث الهجري (التاسع ميلادي) حتى كانت الثقافة العربية الإسلامية قد سكت نفوذها على شبه جزيرة الأندلس وعلى كافة عناصر المجتمع الأندلسي، يستوي في ذلك المسلمون وغير المسلمين.

فكان عربية الأندلسيين كانت صغيرة في أنفسهم لنزولها عن العربية العراقية بالمنشأ فهم يحققونها دائما بالتقليد، ويتشبون من بقاء قدمها بهذا الجديد، ولا جرم فقد كان أصل

¹ - ليفي برونفسال، "الحضارة العربية في إسبانيا"، مكتبة طريق العلم، ترجمة أحمد مكي، 2015، ص 09.

² - الرعي بن سلامة، "الحضارة العربية الإسلامية، التأثير والتأثير"، ص 145 - 146.

حضارتهم أمويا لأن أول من سنن الآداب وأقام حالة الملك بالأندلس هو عبد الرحمن الداخل المو=توفي سنة 172 قد بني أمية بالشام، وكان يسميه عدوه مطمحه¹.

5-1- عربية الأندلس :

كان أول احتلال طارق بن زياد لأرض أندلسية في سنة 92 هـ وبعد أن ضرب فيها قليلا رحل إليها مولاه موسى بن نصير فدخلها في سنة 93 وافتتح جانبا منها ثم قفل عنها سنة 95، وتتابعت الولاة والفتوح بعد ذلك مما ليس في هذا الكتاب موضع بسطه، غير أنه لما اشتم الفتح وعصفت ريح الإسلام صرف أهل الشام وغيرهم من العرب همهم إلى الحلول بها، فنزل بها من جرائيم العرب وساداتهم جماعة أورثوها أعقابهم، وهم بدء تاريخ الأدب فيها، فكان منهم القبائل المختلفة من العدنانية والقحطانية ولم يتركوا عاداتهم المشرقية من الغزو والحروب، فطرات بذلك الفتن بين الشاميين والبلديت والبربر والعرب من المضرية واليمانية، حتى كان زمن الداخل في سنة 138، ولم يزل أولئك العرب يتميزون بالعمائر والقبائل والبطون والأفخاذ إلى أن قطع ذلك المنصور بن أبي عامر الداهية الذي ملك سلطنة الأندلس سنة 366 وقصد بذلك تشتيهم وقطع التحامهم وتعصبهم في الإعتزاء².

وقلما تجد في الأندلسيين صاعرا مفلقا أو كاتبا بليغا أو عالما ضليعا إلا ونسبه في قبيلة من تلك القبائل العربية، فكان يحيي الغزال أو شعراء الأندلس الفلاسفة من بني بكر وائل وكان يوسف بن هارون الرمادي معاصر المتبني من كندة، وأبو بكر المخزومي هجاء الأندلس من بني مخزوم، وكذلك أبو بكر بن زيدون وابنه أبو الوليد بن زيدون الشهير، وكان أبو بكر

¹ - مصطفى صادق الرافعي، "تاريخ آداب العرب" الجزء الثالث، ص 199.

² - ينظر : المرجع نفسه، ص 199.

بن عمار ينتسب إلى مهرة من قضاة، وغير هؤلاء كثيرون¹، فضلا عن لم يعرف سبيل اعتزائهم من الأدباء لأن الإنتساب إلى العرب كان محفوظا بالأكثر في العلماء والفقهاء والأعيان، متميزا فيهم كني سراج الأعيان من أهل قرطبة، ينسبون إلى مذحج، وبنو المنتصر العلماء من أهل غرناطة، إلى مرة بن أود بن زيد بن كهلان وبنو أسماك القضاة من أهل غرناطة أيضا، إلى عاملة، وقيل هم من قضاة، وبنو عباد أصحاب أشبيلية، إلى لحم بن عدي وهم من ولد النعمان بن المنذر صاحب الخبرة، إلى غير هؤلاء ممن أفردت لهم كتب والجلالة : العربيات، لمحافظتهم على المعاني العربية فكان الطبيعة بتلك الوراثة العربية قد تعاون باطنها وظاهرها على إيجاد الأدب الأندلس وإجاداته².

كانت تهيئة السبل لتحصيل العلوم والمعارف أو نقلهما هي أضعف حلقة في الحضارة العثمانية، لقد كان هناك عاملان جعلوا اللغة العربية تسيطر مع مرور الزمن على جميع مجالات الثقافة والفكر والحياة اليومية في الأندلس هما³:

الأول : أنها لغة الدين الإسلامي الذي دخلت فيه نسبة كبيرة من السكان الأصليين.

والثاني : أنها لغة الحكم والإدارة، حيث حرص الحكام والأمراء على اختيار مناصب الكتاب والوزراء وغيرها من بين البارزين في علوم اللغة العربية، كما أن تعريب الدواوين والمعاملات التجارية أجبر السكان جميعا على اختلاف أديانهم على تعلم هذه اللغة.

فبهذا العربية في الأندلس كانت منتشرة كونها لغة القرآن والحضارة، وقد انتشرت لدرجة أن أهملت اللغات الأوروبية الأخرى من اللاتينية واليونانية التي كانت منتشرة آنذاك،

¹ - الرافي، ج 3، ص 199 - 200.

² - ينظر : المرجع نفسه، ص 200.

³ - ولوا يريل ديورانت، "قصة الحضارة" دار النشر نوبليس، بيروت، ط 1، 2008، ص 127.

حتى أن الأساقفة ورجال الدين كانوا يكتبون بالعربية على حساب لغاتهم الأصلية، وقد عبر عن ذلك الفترة الفارو أسقف قرطبة حيث قال : كثيرون من أبناء ديني يقرؤون أشعار العرب وأساطيرهم، ويدرسون ما كتبه علماء الدين وفلاسفة المسلمين، لا ليخرجوا عن دينهم وإنما ليتعلموا كيف اللغة العربية مستخدمين الأساليب البلاغية، أين نجد اليوم مسيحيا عاديا يقرأ النصوص المقدسة باللغة اللاتينية ؟ من منكم يدرس اليوم الكتاب المقدس أو ما قاله الرسل ؟ إن كل الشباب النابه منصرف الآن إلى تعلم اللغة والأدب العربيين، فهم يقرؤون ويدرسون بحماسة باللغة الكتب العربية ويدفعون اموالهم في اقتناء المكتبات ويتحدثون في كل مكان بأن الأدب العربي جدير بالدراسة والاهتمام. وإذا جدتهم أحد من الكتب المسيحية أجابوه بلا اكتراث : "بأن هذه الكتب تافهة لا تستحق اهتمامهم"، يا للهول لقد نسي المسيحيون حتى لغتهم ولن تجد بين الألف منهم واحدا يستطيع كتابة خطاب باللغة اللاتينية بينما تجد بينهم عددا كبيرا لا يحصى يتكلم العربية بطلاقة ويقرض الشعر أحسن من العرب أنفسهم¹.

ولما طغت اللغة العربية في بلاد الأندلس على سائر اللغات المحلية، وكثر دخول المسيحيين في الإسلام وازداد الإقبال على الثقافة الإسلامية، هال الأمر رجال الدين فنشطوا إلى دراسة اللغة العربية والتراث الإسلامي ليتبينوا من ذلك سبب صرف المسحيين عن لغتهم وثقافتهم، وكان الغرض من ذلك إجادة اللغة العربية ودراسة التراث الإسلامي مهاجمة للإسلام والرد عليه وتحويل الأنظار عنه.

¹ - ينظر عباس محمود العقاد، أثر العرب في الحضارة الأوروبية، دار المعارف، ط 4، القاهرة، مصر، 1965م، ص 69-

وأول مدرسة أقيمت في أوروبية للدراسات الشرقية مدرسة طليطلة¹. وقد تولت إنشائها والإشراف عليها طائفة من الوعاظ وكان الغرض من الدراسة في هذه المدرسة تخرج عدد من المسيحيين ثقفوا ثقافة عربية إسلامية ليقوموا بالتبشير بين المسلمين.

ومن أشهر أساتذة هذه الدراسة المستشرقان الإسبانان ريموند ندل، وريموند مارتن ويعتبر كلاهما حجة في اللغة العربية والدراسات الشرقية². وعندما فكر الفرنسيون في إنشاء جامعة لهم في مونبلييه. نظروا إلى سائر أوروبا ليستعينوا بعلماء يسهمون في هذه الجامعة من الناحية العلمية والأكاديمية، فلم يجدوا أفضل من الأندلس ورجالها، فاتصلوا بهم وعرضوا لهم مشكلتهم فلبت الأندلس النداء وأرسلت إلى مونبلييه ثلاثة من كبار الأساتذة المسلمين المشهورين في الطب والعلوم والفلسفة³.

وفي المغرب والأندلس ظهر فوج من علماء اليهود اقتبسوا مناهج اللغويين والنحاة العرب وطبقوها أيضا على اللغة العبرية، ثم يأتي شيخ نحاة اليهود بلا منازع "مروان بن جناح

¹ - كان من روادها البارزين عدد من الإنجليز أمثال أديلارد أوف بات ودانيال أوف مورلي وروجر أوف هيرفورد، واسكندر نكوام، عباس محمود العقاد، المرجع السابق، ص 46.

² - د. طه ندا، ص 211، وأضاف د. طه ندا، ص 211-212 قائلا: "واصل الرهبان بعد ذلك العمل في ميدان الدراسات الشرقية والإسلامية (أوائل القرن الثالث عشر الهجري / أواخر القرن الثامن عشر الميلادي) حين أنشأت فرنسا مدرسة للغات الشرقية في سمة (1210هـ / 1795م) وبعد أن كانت دراسة التراث الإسلامي في أول الأمر عملا ثقافيا خالصا أصبحت بعد ذلك عملا دينيا ويريد به الأوروبيون مهاجمة الإسلام، وتشكيك المسلمين في دينهم وعقائدهم. ثم جاءت بعد ذلك المرحلة الأخيرة حين أصبح الغرض من هذه الدراسات سياسيا إذ اتخذت منها الدول الغربية الكبرى سبيلا لفهم الشرق واستغلاله في تحقيق أطماعها السياسية والاقتصادية.

ومن أقدم الجمعيات التي أنشأها الأوروبيون لهذا الغرض الجمعية الآسيوية في باريس عام (1236هـ / 1820م) برئاسة سلفستر دي ساسي، ثم هذا الامكليز حدو فرنسا وتبعهما بعد ذلك أكثر من دولة أوروبية وظهر من المستشرقين عدد كبير من أمثال فرايتاغ، وفلوجل ونولدكه، وبروكلمان من الألمان، وبلمر ومارجليوث، وروس، وكارليل، وبران من الإنكليز، وجويدي من الإيطاليين، ودي جوية من الهولنديين.

³ - د. عبد الرحمن علي الحجي، ص 50.

القرطبي " المتوفي في سرقسطة في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، فيكشف الصلة المتينة من حيث الأصل بين عدد لا بأس به من اللغات السامية وفي مقدمتها العبرية والعربية وقد ألف باللغة العربية كتابا في النحو العبري سماه كتاب "اللمع" ¹.

¹ - حلمي خليل، "المولد، ص 73.

الفصل الرابع

أثر اللغة العربية في اللغات

الأوروبية

1- تفاعل اللغة العربية مع لغات الأمم الأخرى وأثرها عليها:

سنحاول في هذا البحث إبراز أثر اللغة العربية في لغات الأمم الأخرى انطلاقاً من اللغات المعاصرة، وكان هذا الأثر بالإحياء والاستمداد كما حدث للغات الفارسية والسواحلية أو بالإفناء كما حدث للغات القبطية والسريانية والعبرية، أو بدخول مئات الألفاظ إليها كما حدث للغات الغربية الإسبانية والفرنسية والإنجليزية.

لقد ظهر أثر اللغة العربية واضحاً في اللغات الشرقية، كالفارسية والأفغانية والهندسانية، وقد جاء أثرها في لغات الشعوب الإسلامية من ناحيتين:

1- من ناحية المعاملات الفقهية والتنظيمات السياسية والمفاهيم الأخلاقية والمدنية.

2- ومن ناحية الحرف العربي باعتباره أداة لكتابة لغات الشعوب الإسلامية فأصبحت اللغة.

الفارسية والتركية والأورودية والجاونية (لغة إندونيسيا والملايو) وغيرها تكتب بالحروف العربية¹.

ونلاحظ مع وجود هذه اللغات كانت اللغة العربية هي لغة المعاملات الدينية ولغة العلم والشريعة...

وقد اشترك أبناء هذه الأمم جميعاً في الكتابة حتى فاق بعضهم كتاب العرب وعلماءهم ويرجع ذلك إلى:

1/ انتشار الإسلام وانتشار اللغة العربية، وارتقاء مظاهر المدنية، وما ورثه العرب عن الأمم التي دانت لسلطانهم من حضارة وعلوم وفنون، وما اقتبسوه من لغاتهم وترجموه من مؤلفاتهم من مختلف الشؤون.

¹ - إبراهيم السمراقي "الدخيل في الفارسية والعربية والتركية"، معجم ودراسة، مكتبة لبنان، ط1، 1997، ص41.

- 2/ نزول القرآن ومجيء الحديث بلغة قريش، وهما دعامة الدين الإسلامي الذي اعتنقه معظم قبائل العرب، أعظم أثر في توطيد هذه اللغة.
- 3/ تهذيب اللغة العربية وتنقيحها والنهوض بها إلى أرقى مستوى للغات الآداب.
- 4/ الحقيقة القائمة في نفس كل مسلم وعقله عربيا كان أو غير عربي أن القرآن الكريم هو كلام الله عز وجل، فلقد فتح للغة العربية أبوابا كثيرة من فنون القول، فعولجت بها أمور لم تكن العربية لتعني بعلاجها من قبل. وأن على المسلم أن يتعلم لغة القرآن ليفهمه.
- وبدون إطالة سوف نتطرق مباشرة في هذا البحث الموجز إلى علاقة اللغة العربية باللغات الأخرى وأثرها فيها، ابتداءً باللغات القديمة ثم أثر العربية في اللغات الغربية وتأثيرها عليها.¹

1-1- اللغة العربية وألفاظ الحضارات القديمة:

- وجدنا من المستحسن قبل التكلم عن أثر اللغة العربية في اللغات القديمة وتأثيرها عليها أن نلم إمامة خفيفة بحال الحضارات القديمة قبل الإسلام، لأن ذلك يكشف لنا عن الظروف والأحوال التي سبقت ميلاد الحضارة الإسلامية ولا يستها.
- يرى كثير من المؤرخين أن الحضارة الإسلامية مزيج من الحضارات القديمة الكبيرة في الشرق كالفارسية واليونانية والرومية والهندية... وهذا أمر طبيعي في نمط النشوء الحضاري. ذلك أن أي حضارة في العالم قد مرت بدور الاقتباس والتقليد ثم تطورت ونمت حتى أصبحت تعطي وتبدع في جميع ميادين المعرفة.²

¹ - ينظر : علي عبد الواحد وافي "فقه اللغة" ص 94.

² - ينظر : حسين الحاج حسن "حضارة العرب في صدر الإسلام" ص 16.

وكذلك هي الحضارة الإسلامية، والدين الإسلامي أتى ليكمل ويتمم الأديان السابقة فهو سلسلة الإيمان الديني الإلهي. يعترف ويصدق كل ما جاء في الرسالات السماوية ويؤمن بالرسول والأنبياء جميعا المذكورين في التوراة والإنجيل. قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾¹ فالحضارة العقائدية القديمة موجودة مع وجود الديانات السماوية قبل الإسلام وبصورة خاصة في الجزيرة العربية.

- إذ أي احتكاك يحدث بين لغتين أو بين لهجتين أيا كان سبب هذا الاحتكاك، ومهما كانت درجته، وكيفما كانت نتائجه الأخيرة يؤدي لا محالة إلى تأثر كل منهما بالأخرى.²

- وإن أهم ناحية يظهر فيها هذا التأثير هي الناحية المتعلقة بالمفردات كما سبقت الإشارة إلى ذلك. ففي هذه الناحية على الأخص تنشط حركة التبادل بين اللغات، ويكثر اقتباسها بعضها ببعض. وقد تذهب بعض اللغات بعيدا في هذا السبيل، فتقتبس معظم مفرداتها أو قسما كبيرا منها عن غيرها: كما فعلت التركية مع الفارسية والعربية، والسريانية مع اليونانية، والفارسية مع العربية، ... وهلم جرا.³

- فالكلمات التي أخذتها العربية مثلا عن الفارسية أو اليونانية قد صبغ معظمها بصبغة اللسان العربي حتى بعد كثير عن أصله، ومن ثم نرى أن الكلمة الواحدة قد تنتقل من لغة إلى عدة لغات فتتشكل في كل لغة منها بالشكل الذي يتفق مع أساليبها الصوتية ومناهج نطقها.

¹ - سورة المائدة. الآية 3.

² - علي عبد الواحد وافي "علم اللغة" ص 252.

³ - نفس المرجع ص 253.

- فالكلمات العربية مثلا التي انتقلت إلى اللغات الأوروبية قد تمثلت في كل لغة منها بصورة تختلف اختلافا غير يسير عن صورتها في غيرها.

1-2- أثر اللغة العربية في اللغة الفارسية :

لقد نشأت اللغة الفارسية وترعرعت في رعاية العربية وكفالتها، وهي اللغة الفهلوية التي كانت لسان الدولة ولغة العلم أيام الساسانيين، ولكن: "كتب بخط عربي واشتملت على ألفاظ عربية كثيرة"¹.

إن اللغة العربية لم تقوى على الانتصار على اللغة الفارسية، على الرغم من فتح العرب لبلاد فارس وبقائها تحت سلطانهم أمدا طويلا، وذلك لأن الشعب العربي لم يكن آنذاك أرقى حضارة من الشعب الفارسي، ولقلة عدد الجالية العربية بفارس، وضعف امتزاجها بالسكان، ولانتماء اللغتين إلى فصيلتين مختلفتين (فالعربية من الفصيصة السامية والفارسية من الفصيصة الهندية - الأوروبية)².

وللشاعر الفارسي نظامي فضل السبق إلى نظم القصص الفارسي القديم، وللقصص الفارسية القديمة كيان مرموق في الآداب الإسلامية التي جعلت منها فنا على حدة، من أخص ما يميزها في اجتذاب التصرف إلى الأدب القصصي المنظوم.³

إن الفرس على امتداد تاريخهم كانوا بقصصهم القديم ذاكرين له، ففي كل شعر فارسي إشارة أو إشارات إلى القصص على نحو أو آخر، وكان ذلك معهودا في الألف الأخير من تاريخ الأدب خصوصا قوميا يصل الماضي بالحاضر.⁴

¹ - أنور الجندي "الفصحى لغة القرآن" الموسوعة العربية الإسلامية.

² - علي عبد الواحد وافي "علم اللغة" ص 238.

³ - ليول هورن "الآداب الفارسي القديم" (نقطة عن الألمانية وقدم وعلق عليه د. حسين مجيب المصري) الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 1999، ص 37-38.

⁴ - المرجع نفسه، ص 37-38.

وقد استعمل شعراء الفرس الأوزان العربية والقوافي ولكن تصر قوافيها بعض التصرف الموسوم.

ويجد الباحث في النثر الفارسي أحيانا ألفاظا عربية متوالية ولا تزال العربية تمتد الفارسية بألفاظ جديدة، ولقد كتب كبار المسلمين من الفرس باللغة العربية ك: "ابن سينا والبيروني والغزالي والرازي والبيضاوي، لقد كتبوا بالفارسية، ولكن كتبهم الخالدة هي بالعربية". فإننا نجد في الفارسية طائفة كثيرة من الألفاظ كان للفرس فيها طرائف في الاستعارة منها ما هو مفرد بقي على بنائه في العربية، ومنها ما أحقوه بلواحق فارسية ركبوها مع الألفاظ العربية...

ويقدم لنا الجاحظ عينات مما كانت تحفل به لغة أهل الكوفة من الكلمات الفارسية. فيقول: "وأهل الكوفة يسمون السحاة: بال، وبال بالفارسية. ويسمى أهل الكوفة الحوك (ريحانة) البادروج .. وإذا التقت أربع طرق يسمونها الجهارسوك ... ويسمون السوك والسويقة "وازار" ويسمون القثاء: خيارا .. ويسمون المجذوم: ويذي، وكل ذلك ألفاظ فارسية تعبر عن مظاهر الحضارة¹.

بل إن ألفاظ الحضارة الفارسية قد امتدت إلى داخل الجزيرة العربية أيضا. فيروي الجاحظ أن أهل المدينة يسمون البطيخ: للخزير، والسميط: الرزدق، والمصوص، والمزور، ويسمون الشنطرنج: الأشرنج". وكل ذلك هي أسماء فارسية².

ولنا أن نتوقع أن مثل ذلك التأثير قد حدث في مصر وإن لم يكن قد ورد عنه شيء في المصادر القديمة. ويعلن "يوهان فك" معللا لسكوت المصادر عن ذكره يقول: "... بينما

¹ - السعيد محمد بدوي "مستويات العربية المعاصرة في مصر" ص 59.

*- المصوص: هو لحم ينقع في الخل ويطبخ.

² - ينظر: المصدر السابق، السعيد محمد بدوي، ص 59.

أثرت الفارسية في عربية العراق تأثيراً بعيد المدى وكثرت في اللغة العربية الفصحى الألفاظ الفارسية المعربة بصورة ملحوظة كان أثر القبطية في اللهجة العربية جد ضئيل...¹.

والصراع بين العربية والفارسية، وإن لم ينته إلى تغلب إحداهما، فقد ترك في كل منهما آثاراً واضحة من الأخرى، وبخاصة من ناحية المفردات². من أشهر هذه المفردات التي انتقلت إلى العربية من الفارسية: الكوز، الإبريق، الطست، الخوان، الطبق، السكرجة، السمور، الخز، الابريسم، الديباج، السندس، الياقوت، الفيروج، البلور، السميد، الكعك، الفالوج، الفلفل، الكرويا، القرقة، الزنجبيل، الخولجان، الدار الصيني، النرجس، البنفسج، السوسن، الياسمين، الجلنار، المسك، العنبر، الكافور، الصندل، القرنفل...³ إلخ.

1-2-1 أسماء فارسيته منسية وعربيته محكية مستعملة :

الكف، الساق، الفراش، البزاز، الوزان، الكيال، المساح، البياع، الدلال، الصرالاف، البقال، الجمال بالجيم والحاء، القصاب، الفصاد، الخراط، البيطار، الرئاض، الطراز، الخياط، القزاز، الامير، الخليفة، الوزير، الحاجب، القاضي، صاحب البريد، صاحب الخبر، الوكيل، السقاء، الساقى، الشراب، الدخل الخرج، الحلال، الحرام، البركة، البركة، العدة، الحوض، الصواب، الغلظ، الخطأ الحسد، الوسوسة، الكساد، العارية، النصح، الفضيحة، الصورة، الطبيعة، العادة، الند، البخور، الغالية، الخلق، النخلخة، الحناء، الجبة، الجثة، المقنعة، الدراعة، الأزار، المضربة، اللحاف، المخدة، الفاختة، القمري، القلق، الخط، القلم، المداد، الحبر، الكتاب، الصندوق، الحققة، الربعة، الامقدمة، السفط، الخرج، السفارة، اللهو، القماء، الجفاء، الوفاء، الكرسي، القنص، المشجب، الدواة، المرفع، القنينة، الفتيلة، الكلبتان، القفل،

¹ - السعيد محمد بدوي "مستويات العربية المعاصرة في مصر"، ص 59.

² - علي عبد الواحد وافي "علم اللغة" ص 239.

³ - المرجع نفسه، ص 255.

الحلقة، المنقلة، المحمرة، المزراق، الحربة، الدبوس، المنجنيق، العرادة، الركاب، العلم، الطبل، اللواء، العاشية، النصل، القطر، الجل، البرقع، الشكال، الجنيبة، الغذاء، الحلواء، القطائف، القلية، الهريسة، العصيدة، المزورة، الفتيت، النقل، النطع، الطراز، الرداء، الفلك، المشرق، المغرب، الطالع، الشمال، الجنوب، الصبا، الدبور، الأبله، الاحمق، النبيل، اللطيف، الظريف الجلاد، السيف، العاشق، الجلاب¹.

1-3- أثر اللغة العربية في اللغة اليونانية:

يردد المؤرخون أن لغة مصر قبل الإسلام كانت اليونانية في دوائر الحكومة والقبطية لغة الكنيسة والحكومة بعد اليونانية.

واليونانية أقدم جدا من العربية، فقد نبغ فيها مئات من الناثرين والشعراء، حيث اشتهر اليونانيون بجهم للآداب وامتازوا بنظم الشعر والملاحم، فكانت لهم: الإلياذة والأوديسة للشاعر الكبير هوميروس* واشتهروا كذلك بالفلسفة وتوصلوا إليها عندما حاولوا معرفة أسرار الحياة ومن أشهر فلاسفة اليونان: (سقراط، أفلاطون، أرسطو)، ومن أشهر ما أخذته العربية من اليونانية أسماء بعض الآلات الرصد والجراحة وبعض مصطلحات الطب والفلسفة والمنطق والعلوم الطبيعية وغيرها، واخذت عنها كذلك أسماء بعض المعادن والوظائف والمنشآت المعمارية وغيرها وأدوات البناء والموازين والأمتعة... إلخ: كالكبرس (وهو أجود النحاس)، والبطريق، والقيطون (وهو البيت الشتوي) والقنطرة، والفردوس (البستان)، والقراميد (الأجر) والقسطاس (الميزان)، والقنطار، والبطاقة، والسجنجل (المرآة) ... وهلم جرا².

¹ - الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، ص 197.

* - هوميروس، أعظم شعراء اليونان نظم الإلياذة والأوديسة باللهجة الأيونية.

² - علي عبد الواحد وافي "علم اللغة" ص، 255.

فقد نقل من خلال الوقوف على العلوم اليونانية رصيد ثقافي أجنبي هيلينستي غالبا. وتدين الثروة اللغوية العربية لهذه العملية بالفضل في توسيع هائل لحصيلتها وإمكانات البناء فيها ... وفي غالب نقلت مصطلحات يونانية من خلال صياغات جديدة عربية: ألفاظ مثل: هوية بمعنى كنه واليوم بمعنى شخصية. وجود (To einai) وموجود (To on)، وعدم، وكلية (To don)، واليوم بمعنى معهد علمي، وكميته، وكيفيته، ومصطلحات أخرى كثيرة تدين بوجودها لكل مرحلة¹.

وفي الحالات التي افتقر فيها إلى تعبيرات عربية معادلة افتقارا تاما وكان النقل الحرفي غير ممكن وأيضا لجؤا إلى نقل المباشر لألفاظ يونانية نقلت غالبا بطريق غير مباشر إلى العربية عن طريق السريانية.

إن تطور الثروة اللغوية يتبع أحداثا تاريخية معينة فهو يعكس تاريخ الحضارة خاصة.² وهناك عدد كبير من الكلمات اليونانية أصلها عربية ومن أمثلة هذه الكلمات³.

Agapo	أحب
Paragalo	في الرجاء، برجاء لو
Atlas	عتال: وأصلها عتل
Khara	جيد، بخير من كلمة خير
Korbani	وفي التقرب من الله تعالى، كلمة، قربان
Kivouri	وفي القبر، كلمة
Kouzmetti	وفي الخدمة، كلمة
Khayvani	وفي الدواب الحيوان

¹ - قولفديترش فيشر "الأساس في فقه اللغة العربية" (نقله إلى العربية وعلق عليه د. سعيد حسن البحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، د. ط، 1985، ص 42-43.

² - المرجع نفسه ص 43.

³ - محمد رشيد ناصر ذوق: بين اللغة العربية ولغة الإغريق، موقع ديوان العرب.

1-4- أثر اللغة العربية في اللغة الهندية :

ظهر الاهتمام البالغ باللغة لدى الهنود قبل عصرنا بعدة قرون وكان مرتبطا ارتباطا مباشرا بالمناخ الاجتماعي والثقافي في العام السائد، وظهر هذا الاهتمام ابتداء باللغة التي تجلت في الطبقة العليا المتميزة ، ولكي يضمنوا نقاء هذه اللغة نشأت المدارس النحوية الهادفة إلى تكوين جماعة من النحاة المتتمرسين يتمتعون بالكفاءة والقدرة على جميع الحقائق اللسانية ووصفها¹ ، ومن جهة أخرى يمكن البرهنة على رسوخ التقليد الثابت النحوي من أرتق الشهود، وهو "بانيني" الذي أورد أسماء عدد من أسلافه ويلحظ من عمله أنه كان ذا خلفية مدهشة من المعرفة باللغة، مكنته من أن يكشف العالم عن موهبته اللسانية الفذة، وفي هذا السبيل نذر "بانيني" نفسه لتثبيت نماذج اللغة السنسكريتية* وهي اللغة التي اشتهرت طويلا بأنها وسيلة التغيير عن الثقافة الهندية في ذروة عظمتها وتراثها وفي هذا الصدد يقول العالم اللغوي "بلوم فيلد" في "بانيني" ما يلي : "إنه واحد من أعظم معالم الذكاء البشري"².

¹ - د. حسام البهناوي، البحث اللغوي عند العرب، مكتبة الشاملة، 2015، ص 25.

* لغة البراهمة في الهند القديمة، ومعناها "اللغة المقدسة والسانسكريتية مشتقة من الكلمة الهندي القديمة التي كانت تسمى Samskrta، وتعني حرفيا "الكامل" وعلى الرغم من إسهام العديد من الفلغليين الهنود القدماء في بلورتها، فإن الناس حتى الآن لا يلهجون إلا باللغوي العظيم برهمان بانيني Panini Brahman الذي يرجح وجوده في القرن الخامس قبل الميلاد. وهذه اللغة الهندية القديمة التي كانت تستخدم في كتابة "الفيدا" تزدهم بالمتراذفات المشتقة من لهجات وتكلمت هندية قديمة ظهرت اللغة السنسكريتية على أنقاضها، حيث تعايشت الأشكال اللهجية القديمة مع الأشكال الجديدة التي ألفت لغة الفيديا الممثلة في اثني عشر ألف نشيد ديني كل ينشده البراهمة حتى وإن لم تكن تلك اللغة بادئ ذي بدء تتسم بالأدبية، لكن سرعان ما اجتهد علماء اللغة الهنود القدامى على تحليص كتابات الفيديا من الشذوذ وعدم الإطراد محاولين صوغها في ظاهرة لسانية منتظمة، وكان على السنسكريتية أن يقيض لها بانيني صاحب العقل الرياضي والمنطقي ليخص تلك اللغة في "مثمته" *²المكون من ثمانية أجزاء والمحتوى على أربعة آلاف حكمة "قاعدة" وهو عمل نحوي وصوتي وصرفي واشتقافي، شامل لا يوجد له مثيل في ذلك العصر. من القاموس الوجيز في المصطلح اللساني في للأستاذ د. عبد الجليل مرتاض، ص 342.

² - المرجع نفسه، ص 25-26.

فالهند أمة قديمة ذات حضارة عريقة كان لها أثر بليغ في الحضارة العربية والفارسية، فقد كان لهم آداب وعلوم وفلسفة خاصة نضجت بتوالي الأيام والعصور، حتى أنّ القفطي في كتابه "أخبار الحكماء" يقول: "والهند هم الأمة الأولى، كثيرة العدد، فخمة الممالك، قد اعترف لها بالحكمة، وأقر لها بالتبريز في فنون المعرفة على كل الملل السالفة". وقال الجاحظ: "اشتهر الهند بالحساب وعلم النجوم وأسرار الطب، والخرط، والنجر، والتصاوير، والصناعات الكثيرة العجيبة"¹.

فدخلت اللغة العربية الهند مع دخول الإسلام و اتخذها مسلمو الهند كسائر مسلمي العالم لغة علم وآداب على مر العصور. واللغة العربية لها مكانتها في المجتمع الهندي على أنحاء مختلفة، فهناك تأثيرها الواضح في اللغات الهندية بوجه عام.

ويذكر جون هيوود في كتابه "فن المعاجم العربية": أن المعاجم الهندية (وهي التي يقال أن العرب قد تأثروا بها) كانت أولاً في صورة منظومات شعرية لا تتبع تنظيماً معيناً، ثم اتخذت صورة الترتيب على حسب المعاني مع عدم إتباع نظام ثابت في إعداد الكلمات داخل كل قسم. ولم يصدر أول معجم منظم بطريقة معقولة في اللغة الهندية إلا في القرن الثاني عشر ميلادي، أي بعد أن كان العرب قد أنتجوا فعلاً عدداً من أروع الأعمال القاموسية في لغتهم.²

¹ - محمد الخطيب "تاريخ الحضارة العربية" دار النشر، سورية، دمشق، ط1، 2007، ص41.

² - السعيد محمد بدوي "مستويات العربية المعاصرة"، ص68.

هذا وقد امتد أثر المصطلحات العربية حتى إلى الفنون ومنها على سبيل المثال لا الحصر في الموسيقى الهندية¹:

- Qanoon قانون : الآلة الموسيقية المعروفة، إلا أنه في الهند يشبه الطنبورة ذو شكل منبسط ويشبه الرباب أيضا.

- Qawal قوالي : قول، غناء نوع من المباراة الموسيقية ذو مقاطع شعرية، تصاحبه تصنيفات إيقاعية".

- Rababi راباي : عازف الربابة، الشخص الذي يعزف على الربابة مصاحبا للأغنية، وهي تقاليد السيخ.

- Soofiyana kalam صوفيانا كلام : كلام الصوفية، غناء المتصوفة وهي موسيقى تعبدية تقليدية منتشرة في إقليم كشمير.

- Tabla طبلة : هي الطبل ذو القطعتين المعروف في شمالي الهند.

- Tambura طمبورة أو طنبورة : آلة موسيقية مدندنة، ذات أربعة أوتار تعزف القرار ونعتمه الجوايية والنغمة المؤكدة".

- Tarab طرب : الأوتار الرنانة في الآلات الموسيقية.

- Ustad أوستاذ : وهي نفسها كلمة أستاذ العربية وتدل هنا على الموسيقى المتمكن أو أستاذ في الموسيقى.

1-5- أثر اللغة العربية في اللغة التركية :

امتدت اللغة العربية إلى كل البلاد التي اعتنقت الإسلام، ووصلت إلى ما وراء النهر وكان لها أثرها في مختلف اللغات التركستانية وخاصة لغة تركستان الشرقية موطن الأتراك

¹ - ينظر : لظفي الخوري، ألفاظ عربية في المصطلحات الموسيقية الهندية، مجلة التراث الشعبي، السنة 10، العدد 18، بغداد -العراق، 1979، ص 126-127.

العثمانيين، وتركستان الغربية التي تسمى اليوم تركستان الروسية (وكان نهر جيحون في العصور المختلفة هو الحد الفاصل بينها وبين إيران).

أما لغة الثقافة والتأليف في هذه المناطق فكانت العربية، ولما قامت الدولة العثمانية شرعت تستعمل الفارسية والعربية¹.

وتولف العربية القسم الأكبر من الأقسام الثلاثة التي تتألف منها اللغة التركية العثمانية فقد دخلها من الألفاظ العربية أكثر من خمسين في المائة من مجموع ألفاظها بل إن قواعد صرفها ونحوها في الأصول المتحصلة من القواعد التي اقتبسها العجم من العرب².

ولما كانت اللغة الفارسية هي لغة الأدب والسياسة عند السياسة، فلما اقتبس الأتراك آدابهم من الفارسية معها كثيرا من آثار اللغة العربية وآدابها التي كان الفرس قد اقتبسوها قبلهم، وذلك غير الذي اقتبسه الأتراك من اللغة العربية رأسا من الألفاظ والآداب الدينية، وذلك كانت الألفاظ العربية في اللغة التركية أضعاف الألفاظ الفارسية فيها، أو بمعدل لفظ تركي مقابل ثلاثة ألفاظ عربية.

وينقل مؤرخو الحكم المغولي ألفاظا مغولية وتركية، وزاد بعد الاجتياح المغولي تأثير التركية أكثر فأكثر، وتكتظ لغة المؤرخين المماليك كذلك بألفاظ تركية معربة.

وعلى سبيل المثال أقصت الكلمة المقترضة من الفرسية (a :hur) للتركية ahir، ahur (اصطبل) الكلمة اللاتينية القديمة المعربة (اسطبل) في اللاتينية (stabulum) التي هي الآن في العربية أيضا آخور. وبإظهار حكم المماليك ومن تلاهم من العثمانيين اختفت كثير من الألفاظ التركية المعربة مرة أخرى.

¹ - أنور الجندي، الفصحى لغة القرآن، ص 79.

² - المرجع نفسه، ص 79.

بيد أنه قد صارت كلمات غير قليلة رصيذا ثابتا في الثروة اللغوية الحديثة ويدخل فيها كلمات مثل¹ :

جمرك (في مصر)، كمرک (في سوريا)، من الاركية gumruk من اليونانية kommer kion، وعربة أو عربية من التركية araba، وقنبلة من التركية kumbara من الفارسية humbara وشربة من التركية أخرى كثيرة صاغها العلماء العثمانيون من المادة اللفظية العربية.

ولا يمكن أن نتجاهل ببساطة الكلمات المقترضة التي دخلت من التركية تلك التي صاغها العلماء الأتراك من مادة عربية وهكذا فلا يمكن اعتبارها ببساطة من الناحية الشكلية كلمات مقترضة ويدخل في هذا سبيل المثال أسماء الرتب العسكرية مثل ضابط وملازم، وفريق، أو مصطلحات الإدارة، مثل : بلدية، وسمى².

وبمرور القرن التاسع عشر حل تأثير اللغات الأوروبية ولاسيما الفرنسية والإنجليزية محل التأثير التركي تدريجيا، ولم تؤخذ بعين الاعتبار هنا موجه الاقتراض والنقل الحرفي للألفاظ من اللغات التي واكبت نهضة لغة الكتاب العربية، إذ لم يفرد إلا فصل خاص لمرحلة التطور الحديث للعربية...

كلمات تركية في المنطوق الجزائري :

وما يهمننا أكثر من "إتحاف المنصفين والأدباء" لحمدان خواجه³ الكلمات الأجنبية الجديدة التي دخلت المنطوق الجزائري، ولاسيما التركية مثل "أفندي" ولا تزال عائلات

¹ - ينظر : أ. د قولفديتريش فيشر، "الأساس في فقه اللغة العربية"، ص 44.

² - المرجع نفسه، ص 44.

تلمسانية تلقب بهذا الاسم، مع حذف الهمزة، والإنكشارية، وغدت هذه اللفظة تستعمل في الدم بيننا بالنظر إلى طبيعتها الأصلية عند الجزائريين، و"الدون" وهو السروال القصير جدا، ولكن التسمية الفرنسية (le caleçon) لاحقا غلبت عليه، وحلت محله عند الجزائريين و"الففظان" ويسمى الآن "قرفطان"، وهو لباس مطروز باهظ الثمن، ترتديه النساء الميسورات في الأعياد والأعراس يرمز إلى الثراء والتميز الطبقي والجاه العالي وهذا الرمز يرجع إلى أن الففظان كان شعارا لسلطين الممالك العثمانية وباشوات الجزائر، ولا يزال يصنع بصورة أجدود في قسنطينة وتلمسان¹.

ومن الكلمات التركية التي مازحت المنطوق الجزائري "نیشان" أي مباشرة، ولا علاقة لها بالنوش، والتناوس، والمناوشة، والإنتياش في الفصحى، ومدلولها التركي يشار له إلى الهدف، وهذا قريب مما يدور في العامية الجزائري، وهي تقابل في المنطوق الأردني "دغري" أي مباشرة ووقع لي إشكال عام 1980 يوم زرت عمان لأول مرة، فسألت عن موضع فأجبت من المسؤول: "دغرى، دغري...". ثم ما لبث أن استملح غربتي وحاول مبتسما أن يهديني بأسلوب آخر وكاد يغمى عليه ضحكا، حين أخبرته بأننا فيما نقولون "نیشان"، حيث ردها بصعوبة، حينها أدركت لماذا يقول الجزائريون "دروق" والمغربيون "دابا" والتونسيون "توا" واللبنانيون "هلا"، والمصريون "دلواتي" لكنهم يرسمون الألف قافا... وهكذا يعني "الآن" في اللغة الموحدة، وساعتها أدركت أيضا لماذا تسمى العمامة التي يعتم بها في المنطوق العامي العربي تسميات مختلفة، "رزة" عند الجزائريين، و"كشطة" لدى التونسيين، و"لفة" لدى الشاميين².

¹ - أ.د عبد الجليل مرتاض، التهجين اللغوي في العهد التركي، دار الأمل، 2015، ص 12.

² - المرجع نفسه، ص 13.

وإذا كانت العربية في الجزائر بدأت تتجهن بصورة أكثر لفتا للإنتباه في عهد الديات والباشوات، فمن باب الإنصاف الإشارة إلى استفحالتها في هذه الفترة المظلمة الطويلة التي لم تنجب مبدعا جزائريا واحدا متميزا، لأننا لا نعرف شيئا كثيرا عن هذه اللغة كيف تمجنت في هذه الربوع، ولكن الذي نعلمه علم اليقين أن النصوص التي تسجد العربية ما قبل العهد التركي، تبشر بلغة نقية وأساليب راقية¹.

2- اللغة العربية وألفاظ الحضارات الحديثة :

تتأثر اللغة أيضا تأثر بحضارة الأمة، ونظمها وتقاليدها، وعقائدها واتجاهاتها ودرجة ثقافتها، ونظرها إلى الحياة، وأحوال بيئتها الجغرافية وشؤونها الاجتماعية العامة ... وما إلى ذلك². فبذلك تعد اللغات أصدق سجل لتاريخ الشعوب. فلقد أثرت الحضارة الغربية الحديثة تأثيرا كبيرا في اللغة العربية إذ أخذت تنتقل مفاهيمها العلمية والفكرية والثقافية والحضارية إليه، منذ بدء احتكاك العرب بالحضارة الحديثة في أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، وبدأت تثار التساؤلات عن قدرة اللغة العربية على مواكبة الحضارة الحديثة بالتعبير عن مفاهيمها³، فلقد أدركت النخبة العربية آنذاك - وخاصة في الشام ومصر - أن هناك هوة كبيرة بين العالم العربي وبين أوروبا ...

فلقد انكب اللغويون والأدباء على دراسة هذه المسألة من جميع جوانبها - كما بدت لهم في ذلك الوقت إذ حددوا طبيعة المشكلة اللغوية، وهي قلة الكلمات الفصيحة للتعبير عن الحقائق الجديدة من جهة، ودخول المصطلحات الحضارية بلفظها الأجنبي في

¹ - أ.د عبد الجليل مرتاض، المرجع السابق، ص 13.

² - علي عبد الواحد واني، "علم اللغة" ص 257.

³ - رياض قاسم "اتجاهات البحث اللغوي"، مؤسسة نوفل لبنان، د، ط، 1982، ص 21.

الاستعمال اليومي من جهة أخرى، وبينوا ما يمكن أن ينتج عن ذلك من ضرر على اللغة العربية.

ولقد كان الأديب الكبير "محمود تيمور"* في طليعة المهتمين بموضوع ألفاظ الحضارة، أي ألفاظ الحياة العامة وموقف اللغة الفصحى منها، بعد أن لاحظ أن الكثرة الغالبة من هذه الألفاظ ما برحت أجنبية أو عامية، وأن الكاتب إذا أراد وصف ما يرى من ظواهر الحياة الحديثة وأدواتها لم يستطع أن يقع على تسميات عربية دقيقة، فإذا راق له الاسم العربي الدقيق منعه من استعماله أنه نافر مهجور.

فلقد كان اهتمام محمود تيمور بهذا الأمر نابغا من خبرته الواسعة في الكتابة القصصية وبين ضرورات الفن ومتطلباته وقوانين اللغة وحرصها على الفصاحة والصواب. فكلما اتسعت حضارة الأمة، وكثرت حاجاتها ومرافق حياتها، ورقى تفكيرها وتهدبت اتجاهاتها النفسية، نهضت لغتها، وسمت أساليبها، وتعددت فيها فنون القول، ودقت معاني مفرداتها القديمة، ودخلت فيها مفردات أخرى... للتعبير عن المسميات والأفكار الجديدة وهلم جرا¹. و"اللغة العربية" أصدق شاهد على ما نقول.

فلقد أتت للغة العربية في أثناء الحروب الصليبية فرص للاحتكاك باللغات الأوروبية الحديثة، فاقتبست منها هذه اللغات كثيرا من المفردات، وتركت فيها بعض "الآثار"². وفي العصور الحديثة كثرت فرص الاحتكاك بينها وبين هذه اللغات وتنوعت أسبابه بفضل انتشار الثقافة الأوروبية بمصر والشام والعراق وشمال إفريقيا، وبفضل البعثات العلمية التي أوفدها هذه البلاد إلى الغرب، وترجمة منتجات الفرنجة إلى اللغة العربية، فتأثرت بذلك

* هو أحمد بن اسماعيل بن محمد تيمور، عالم بالأدب، باحث مؤرخ مصري، من أعضاء المجمع العلمي العربي، ولد في القاهرة سنة 1288هـ/1871م، من بيت فضل ووجاهة، كردي الأصل...

¹ - ينظر: علي عبد الواحد وافي "علم اللغة" ص 257.

² - المرجع نفسه، ص 103.

اللغة العربية أيما تأثر في أساليبها وأخيلتها ومنهج علاجها للمسائل، ونشأت بها فنون جديدة كفن القصص التمثيلي وما إليه، وانتقل إليها كثير من المفردات الأوروبية في مصطلحات العلوم والفنون¹ وما إلى ذلك، فازدادت بذلك ثروة وقدرة على التعبير.

2-1- أثر اللغة العربية في اللغة الفرنسية والإيطالية :

فلقد اهتم بعض الباحثين الأوروبيين بدراسة الكلمات العربية الدخيلة في المعجمات وتبع تاريخ دخولها فيها، فالكاتب الفرنسي "بيرجيرو" أقرّ بتأثير اللغة العربية في اللغة الفرنسية وقدم قائمة من مائتين وثمانين كلمة دخلت من العربية إلى الفرنسية في عصور مختلفة من التاريخ. وعني فريق آخر بدراسة هذه الكلمات العربية الدخيلة بإظهار الوسائل والطرق التي دخلت من خلالها إلى فرنسا ولغتها مؤكداً على توثيق تلك المعلومات وإسنادها بالدليل العلمي المتوفر، وقدم قائمة حوت أكثر من ستمائة كلمة².

وهناك كلمات مثل: Sirop شراب، أو Sorbet شربات، وكلمة Abricot في المعجم الفرنسي تعني المشمش، وأصلها العربي البرقوق ...

ويطلق لفظ Cafard في الفرنسية نعنا للمتزمت المتعصب، ومبلغ الأخبار وناقل أسرار الناس، وهي من كلمة كافر العربية، وبدأت من جديد كلمة كافر تزحف إلى الاستعمال الحديث بصيغة (Cafer) دون تغيير في النطق أو المعنى³.

ففي اللغة الفرنسية فإن أكثر اللغة العربية بعيدة المدى: يقول "هنري لوسل": "إن الدارس في الفرنسية أو في اللاتينية أو في اللغات الأوروبية فهو يتعلم الكتابة من

¹ - ينظر : علي عبد الواحد وافي، "علم اللغة"، ص 103-104.

² - ليلي صديق "تأثير اللغة العربية في غيرها من اللغات"، مجلة حوليات التراث، العدد الخامس، 2006.

³ - نفسها، ص 2006

اليمن إلى الشمال، ثم هو يكشف نظاما لغويا أصيلا داخل الكلمة لا يعتمد على الإضافات بداية الكلمة أو نهايتها...¹.

ومن أمثلة الكلمات الفرنسية المقتبسة من العربية ما يلي:

كلمة فرنسية:	أصل عربي:
Fellah	فلاح
Gazel	غزال
Cardi	قاص
Kabile	قبائلي

وكذلك لقد تسربت بعض الألفاظ الفرنسية على ألفاظ اللغة العربية وأثرت عليها تأثيرا واضحا وهذا ناتج عن اختلاط العرب بالأجانب واقتباس العادات والتقاليد، وما يستتبعه ذلك من شيوع ألفاظ جديدة وأساليب مستحدثة.

فهذه الألفاظ كانت تدخل إلى بيوتنا رغما عنا، عن طريق وسائل الاتصال الحديثة وملصقات المنتجات الصناعية وغيرها من وسائل الإعلام والاتصال. وعدم القدرة على مواكبة هذه الحركة باللغة الفصحى أو العربية المشتركة على الأقل، جعل هذه المفاهيم تدخل بألفاظها الأجنبية إلى اللغة العربية، دون استئذان من أحد، ودون انتظار يقترحه الأفراد.

وهو ما حدث لمئات المفاهيم، إذ تنغرس هذه الألفاظ الأجنبية في البداية في لغة التعامل اليومي، أي العامية التي أصلها هنا: "ما أفسدته العامة" أي أن أصلها اللحن ثم تفشى هذا اللحن فشاع وانتشر.

¹ - أنور الجندي "الفصحى لغة القرآن" الموسوعة العربية الإسلامية ص 92.

ومن الكلمات الفرنسية التي دخلت على اللغة العربية وأثرت عليها هي كالتالي¹:

أصل عربي	كلمة فرنسية
غطاء الوجه	إيشارب
جواز السفر	باسبور
نزل	بانسيون
صدرية	بلوزة للسيدات
مقصف	بوفيه
شبكة	تريكو
كعك	جاتو
زخرفة	ديكور
نظام الطعام	رحيم
حجر الاستقبال	صالون
غطاء الرأس	كاسكيت
قسيمة	كوبون
أثاث	موبليات

وأما عن تأثير اللغة العربية في اللغة الإيطالية، يقول "رينالدي": "لقد ترك المسلمون عددا عظيما من كلماتهم في اللغة الصقلية والإيطالية، وانتقل كثير من الكلمات الصقلية التي من أصل عربي إلى اللغة الإيطالية ثم تداخلت في اللغة العربية الفصحى². ولم

¹ - عبد الحميد حسن "الألفاظ اللغوية"، (خصائصها وأنواعها)، قسم البحوث، والدراسات الأدبية واللغوية، د ط، 1971، ص71.

² - أنور الجندي "الفصحى لغة القرآن" الموسوعة العربية الإسلامية، ص92.

تكن الكلمات فقط هي التي دخلت إيطاليا، وإنما تسربت أيضا بعض جداول من الدم العربي في الجالية العربية التي نقلها معه إلى مدينة لوشيرا، الملك "فريدريك الثاني".

ولا يزال الجزء الأعظم من الكلمات العربية الباقية في لغتنا الإيطالية التي تفوق الحصر دخلت اللغة بطريق المدينة لا بطريق الاستعمار¹...

وعليه فإن وجود هذه الكلمات في اللغة الإيطالية، يشهد بما كان للمدينة العربية من نفوذ عظيم في العالم المسيحي".

وكانت أول مطبعة عربية في أوروبا هي تلك التي أمر بإنشائها الكردينال فرناندو دي مدتشي Medici Ferdinando Ide، كبير دوقات توسكانا Toscana، حيث كان يرأس هذه المطبعة شاب إيطالي يدعى "جيوفاني بتستا رايموندي"، حيث استطاع هذا الأخير أن يضع حروفا عربية مختلفة الأوضاع، وأتم حفر وتقطيع هذه الحروف العربية المتحركة المرسومة رسما جميلا²...

ومن أمثلة الكلمات العربية التي دخلت الإيطالية كلمة قلب العربية³ نجدها في الإيطالية Calibro، وكلمة مرتبة Materasso بمعنى فراش وكلمة الكحول العربية نجدها في الإيطالية Alcol، وكلمة Chitarra من العربية قيثارة، وكلمة طرمبة العربية Tnmbp وتعني مضخة المياه، وكلمة مملوك العربية نجدها في الإيطالية Mamelucco وسلطان Sultano وزرافة Giraffa وقيراط Carato.⁴

¹ - أنور الجندي، المصدر السابق، ص 93.

² - عبد الرحمن بدوي "موسوعة المستشرقين" دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1984، ص 248.

³ - حازم جلهوم، "كامات لها تاريخ في اللغات الأوروبية واللغة العربية"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2007، ص 194.

⁴ - المصدر نفسه، ص 194.

ويذكر "العقاد" في قوله: "ويزيدنا اعتقادا لذلك أن أوروبا كانت تتلقى آثار الثقافة العربية ... من جهة الأندلس وصقلية وغيرها من البلاد التي قامت فيها دول المسلمين وانتشر فيها المتكلمون باللغة العربية"¹.

فلقد كان اهتمام الإيطاليين باللغة العربية لأسباب مختلفة منها التجارة والترجمة، ومن الطبيعي أن تتسرب كلمات ذات أصول عربية في اللهجات الإيطالية العامة. وكذلك دخلت بعض الكلمات الإيطالية إلى اللغة العربية عن طريق الاختلاط والمعايشة، مما يفتح الأبواب لأساليب جديدة من طرائق الحياة ومن اقتباس العادات والتقاليد.² وقد حدث هذا الاختلاط بعد الحروب الصليبية التي استمرت نحو قرنين من الزمان، حين ازداد النشاط التجاري بين الشرق والغرب، وفتحت أبوابه أمام دول أوروبا، حيث كانت إيطاليا أسبق الدول في هذا المجال بسبب الامتيازات التي حصلت عليها من حكام البلاد الإسلامية، وقد أدخلوا بسبب هذا الاتصال ألفاظا إيطالية في اللغة العربية، كان أكثرها خاصا بالمعاملات التجارية والحياة العامة والأدوات المنزلية.³

ومن الألفاظ التي دخلت العربية عن طريق الكلمات الإيطالية وهي كالتالي:⁴

كلمة إيطالية:	كلمة عربية:
استديو	محترف
برافو	كلمة استحسان
برتيته	دور لعب
برنيطة	قبة

¹ - عباس محمود العقاد "أثر العرب في حضارة أوروبية: دار المعارف بمصر، ط8، 1973، ص66.

² - عبد الحميد حسن، "الألفاظ اللغوية"، ص26.

³ - ينظر: المصدر نفسه ص29.

⁴ - ينظر: المصدر نفسه، ص71.

بورصة	سوق الأوراق المالية
نياترو	دار التمثيل
صالة	ردهة
كارو	عربة ثقل
كرتون	ورق مقوى
كمبيو	تحويل النقود
كونتراتو	عقد

ويقول "جوستاف لوبون"¹: ذكر سيدنو -والحق ما ذكر "من الطبيعي أن تقتبس

فرنسا وإيطاليا من العرب، الذين كانوا سادة البحر المتوسط منذ القرن الثامن من
الميلاد، أكثر المصطلحات البحرية مثل:

Amiral, Eeadre, Corvette, frégate, flotte, Caravelle,
Felouque, Chaloupe, Sloop, Barque, Chiourme, Darse,
Calfat, Estacade.

ولاسيما البوصلة Boussole التي عزي أمرها إلى أهل الصين على غير حق، وأن تقتبس
جيوشهما ألقاب ضباط جيوش المسلمين وتعابير وغي الحرب واستعمال بارود المدافع
والقنابل والحراقات والقذائف، وأن تأخذ عن حكومة بغداد وحكومة قرطبة التعابير الإدارية
مثل :

Basar, Douane, Tarif, Taille, Gabelle, Aides, Syndie.

الأسرة الثالثة الفرنسية العرب فيأخذوا عنهم معظم اصطلاحات الصيد مثل:

* جوستاف لوبون : مستشرق فرنسي من أشهر كتبه "حضارة العرب".

¹ - لوبون جوستاف حضارة العرب، ترجمة : عادل زعغير، دار الحلبي وشركائه، القاهرة، مصر، د ط، د ت، 1931.

Hallali, Cures, Laisse, Maule, Chasse, Fanfares, Cor
déchasse

وكذلك كلمة: Tournoi التي عدها علماء اللغة المعاصرون مشتقة من كلمة

. Tourneamentium

وأهم من ذلك كله اصطلاحات العلوم التي اقتبسناها من العرب كما يقول

"جوستاف لوبون"، فعلم الفلك عندنا مملوء بالتعابير العربية مثل: Azimuts, Zenith,

Nadir، وبأسماء الكواكب مثل: Aghol, Acarmar, Wega, Althair,

Rigel, Aldebaran

وقد مثل ذلك عن الرياضيات حيث أخذنا عن العرب الاصطلاحات:

Algebre, Zéro, Chiffres... إلخ.

وقل مثله عن الكيمياء حيث أخذنا عنهم الاصطلاحات:

Alambic, Alkali, Alcirel, Alchimie... إلخ. وكذلك عن التاريخ

الطبيعي والطب، حيث أخذنا عنهم بعض المصطلحات... والكلمة Haschieh التي

اشتقت منها الكلمة: "Assassins".¹

ومن المعروف أن اللغة العربية أقامت في جنوب فرنسا مدى مائتي سنة.

فاللغة العربية غنية جدا، وزاد غناها بما أضيف إليها، دائما من التعابير الجديدة التي

تسربت فيها من اللهجات التي اتصلت بها.

فلقد تحدث "جوستاف لوبون" عن العلوم عند العرب حديثا دقيقا منصفًا نكتطف

منه ما نراه شهادة من مستشرق منصف على حضارة العرب وعلومهم التي سجلت باللغة

العربية.

¹ - ينظر : حسني عبد الجليل يوسف، اللغة العربية بين الأصالة والمعاصرة، المصدر السابق، ص 149.

2-2- أثر اللغة العربية في اللغة الإسبانية:

كان من الطبيعي بعد انتشار الإسلام في القارة الأوروبية أن تدخل اللغة العربية إلى عديد من اللغات الأوروبية كالإسبانية والفرنسية والإيطالية والبرتغالية والإنجليزية. وقد دخلت اللغة العربية أوروبا حتى فتح العرب صقلية والأندلس، حيث: "لم يتجاوز عصر الفتح في الأندلس ثلاث سنوات (92، 93هـ)، بينما ساعد الهدوء النسبي الذي عرفته الأندلس على الشروع في وضع اللبنة الأولى للحضارة فيها بعد عملية الفتح مباشرة".¹

فلقد تمكن المسلمون من السيطرة على كامل التراب الإسباني أي كامل شبه الجزيرة الأيبيرية تقريبا، ومن العوامل التي ساعدت على انتشار العربية بعد أن بدأت عملية التفاعل الحضاري.

واللغة العربية لم تقو على الانتصار على اللغات الإسبانية على الرغم من فتح العرب الأندلس وبقائها تحت سلطاتهم نحو سبعة قرون، وذلك لانتماء العربية إلى فصيلة غير فصيلة اللغات الإسبانية ولعدم امتزاج الشعوب القوطية* بالشعب العربي².

لقد كان المسلمون عادة يبنون مسجدا في كل مدينة يفتحونها وكانت بذلك المساجد التي أقيمت في معظم المدن مراكز للإشعاع الديني والعلمي فمن خلال كتابتها كان يتم تعليم القرآن وتعليم مبادئ العربية لأولاد المسلمين من الفاتحين ومن السكان الأصليين** الذين اعتنقوا الإسلام، يقول "محمد كرد علي": "إنه لم يمضي على فتح الأندلس أكثر

¹ - الربيعي بن سلامة "الحضارة العربية الإسلامية" الموسوعة العربية الإسلامية ص 145.

² - علي عبد الواحد وافي، "علم اللغة" ص 238.

* القوطية: الطبقة السائدة في إسبانيا.

** - الأصليين: لقد عرفوا بالمستعربين "Les Musardes" أو العجم.

من خمسين سنة حتى اضطر رجال الكنيسة أن يترجموا صلواتهم بالعربية ليفهمها النصارى¹. حيث أصبحوا لا يتعقدون بينهم إلا باللغة العربية.

وقد وجد من عقودهم نحو ألفي صك كتبها المستعربة من الوطنيين الأصليين باللغة العربية، وقد ألف "أنكلمان ودوزي" معجما بالكلمات الإسبانية والبرتغالية التي من أصل عربي أو اشتقت من أصل عربي².

وقد تركت اللغة العربية آثار قوية في الإسبانية والبرتغالية، وبخاصة في المناطق التي كانت تسمى بالأندلس أو أندلونسيا Andalousie حيث دام سلطان العرب عدة قرون³، ويظهر أن الآثار التي تركتها العربية في الإسبانية قد بلغت درجة كبيرة من الضخامة حتى أن بعض الباحثين أفرد مؤلفات خاصة للكلمات البرتغالية المأخوذة من العربية. ومن هؤلاء الأستاذ "راجي باسيل" في ريو دي جانيرو بالبرازيل.

فقد طبع أربع كراسات عنونها "معجم الكلمات البرتغالية المأخوذة من العربية" وقدم هذه الكراسات إلى جريدة الأهرام، ونشرت ذلك جريدة الأهرام بعددها الصادر في 1944/3/29⁴.

كما نلاحظ في الإسبانية كثيرا من الألفاظ العربية كأسماء البلاد والأنهار والنواحي وبعض المرافق والمصطلحات وكل كلمة عندهم تبدأ بال التعريف العربية: وهي عربية لا محالة ومن الأسماء ما يبدأ ببني ومنها ما يبدأ بوادي، ومن الأمثلة على ذلك هي:⁵

¹ - أنور الجندي "الفصحى لغة القرآن" الموسوعة العربية الإسلامية، ص 89.

² - نفسه، ص 90.

³ - علي عبد الواحد وافي "علم اللغة" ص 239.

⁴ - نفس المرجع ونفسها.

⁵ - رفائيل نخلة اليسوعي، "غرائب اللغة العربية"، دار الشرق، حلب، ط 4، ص 144.

الكلمة الإسبانية:	الأصل العربي:
Alacena	الخزانة
Al Bufera	البحيرة
Alcabar	القصر
Alcrebite	الكبريت
Alamud	العمود

فكلمة جبل العربية تسبق أسماء الجبال مثل جبلكوز jabeleuz monte وجبلكون jabalcon وهناك حبال جبرالين Gibrablin وجبراليون gibraleon وجبرالتار (جبل طارق).

وتظهر كلمة الكورة alcor، alcora في كثير من أسماء القرى وهي بالعربية الكورة بمعنى المحلة أو القرية.

وما يتصل بالأعلام الجغرافية كلمة "واد" التي تكتب في الإسبانية guad ومن أمثلة ذلك (الوادي الكبير Guadalquivir، وادي الحجارة Guadalajara وادي القصر Guadalcazar، وادي القطن Guadalcoton).

واحتفظت المسطحات المائية عندهم بأسمائهم العربية فالبحيرة عندهم albuera- albuhera والبركة تسمى alberca.

انتشرت في ألفاظهم لفظة مدينة العربية فهناك مثلا medina de del pomar madina، campo.

واحتلت لفظة المسجد مكانها في اللغة الإسبانية وأصبحت mesquita.

وكثر الأعلام الجغرافية التي قامت على لفظة القلعة *alcala* مثل *calatayud* أي قلعة أيوب، *calatanzor* أي قلعة الناصر *calatrava* أي قلعة رباح.

وكذلك أنتشرت لفظة القصر *Alcazar* هذه الألفاظ الكثيرة التي لا تزال باقية في اللغة الإسبانية إلى اليوم تشهد على تأثير اللغة العربية والحضارة الإسلامية في إسبانيا وفي أوروبا لأن العواصم الإسلامية في إسبانيا كانت مركزا للإشعاع الذي يجذب إليه طلاب العلوم والآداب والفنون من أنحاء أوروبا. وكما سقطت إسبانيا الإسلامية كان تأثيرها الحضاري قد انتقل إلى أوروبا.

ويؤكد "لانجلمان" : "أن العربية ظاهرة كل الظهور في اللغتين الإسبانية والبرتغالية، بل ليس في الأرض لغة تقرب بتعابيرها ومرادفتها وجمالها وأمثالها¹ من اللغة العربية ... وربع الإسبانية مأخوذة من اللغة العربية".

وكل هذه الألفاظ مازالت تعيش في المعجم الإسباني بجذورها العربية الأصيلة وتنمية المعجم بالمفردات والعبارات الراقية المخصصة للأزهار والألفاظ التي تدل على الإنتاجات الزراعية مثل النباتات والثمار وما يتصل بها، فالزيتون يسمى عندهم (*Aceituna*) والبطيخ (*Albudeco*) ومنها أيضا أسماء نباتات أخرى كالدفلى (*Aldefla*) واللوز (*Allaza*) واللوبيا (*Alubia*) إلخ ...

ومن هنا يتبين أن كان هناك تقدم الزراعة عظيما في الأندلس حتى صارت حدائقها وحقولها ميدانا تتعلم منه أوروبا بعض الطرق في الزراعة ولا تزال آثارهم باقية إلى اليوم من أقنية وجسور وقناطر أقامتها العرب ...

¹ - أنور الجندي، "الفصحى لغة القرآن"، ص 91.

ومن هنا ندرك أن كل هذه الألفاظ الجديدة بالذكر التي ذكرنا منها سوى القليل على هذا التأثير اللغوي فإن تاريخ اللغة الإسبانية إن كلها عربية الأصل.

وكذلك لقد أثرت اللغة الإسبانية على اللغة العربية، ومما نلاحظ أن العرب في تاريخهم الطويل وفتوحاتهم الكثيرة الممتدة على عدد من أقطار أوروبا وآسيا وإفريقية، قد خالطوا عدة شعوب مدة قرون وتعلموا لغاتها، واقتبسوا من أمدنها بعض العلوم والفنون. فنتج حتما عن ذلك اندماج مئات كلمات من ألسنة تلك الأقوام في لسان العرب، ولاسيما الناقصة في قاموسه.¹

فاللغة العربية لم تتأثر باللغة الإسبانية كثيرا رغم الاختلاط بين العرب والشعوب الأندلسية على مدى ثمانية قرون... فكانوا مكتفين في الغالب بقولهم أن تلك الكلمات دخيلة.

فرغم هذا ظهرت تأثير اللغة الإسبانية على اللغة العربية في إطار الأشعار والحكايات والأمثال العربية. فدخلت مفردات إسبانية عديدة في خرجات الإزجال والموشحات العربية مثلا إلى جانب ما دخلت في بعض الكتب العربية.

• كلمات إسبانية ذات الأصل العربي

Aceituna	الزيتون	Aceite	الزيت
Adoquin	الدكان (حجر الرصف)	Acequia	الساقية
Tabique	طبق فاصل	Alacena	الخزانة
Alarife	العريف (رئيس البناتين)	Alacran	العقرب
Albacora	الباكور	Albacea	الوصية
Albarda	البرذعة	Albanil	البناء

¹ - مصطفى صادق الرافعي، "تاريخ آداب العرب" الجزء الثاني دار الكتاب العربي بيروت، لبنان، د. ط، ص 174.

Alcalde	القاضي (العمدة)	Albufera	البحيرة
Taifa	طائفة	Alcatufa	القطيفة
Alcazar	القصر	Alcazaba	القصبة
Alcohol	الكحول	Alcoba	القبّة
Alfar	الفخار	Aleya	الآية
Tarifa	تعريفة	Algara	الغارة
Algodon	القطن	Algarrobo	الخروب
Arroz	الرز	Alhena	الحناء
Aljofer	الجوهر (لؤلؤ صغير)	Aljamia	العجمية
Almacen	المخزن	Aljuba	الجبة
Alminar	المنارة	Almohada	المخدة
Almuecin	المؤذن	Almirez	المهراس
almud	المد (كيل)	Almizcle	المسك
Alquitran	قطران	Alquiler	الكرأء
Amén	أمين	Alquimia	الكيمياء
Arrayan	الريحان	Ambar	عنبر
Azogue	الزئبق	Azahar	الزهر
Azucar	السكر	Azote	السوط
Fonda	فندق صغير	Azud	السد
Hasta	حتى	Fulano	فلان
Jurife	شريف	Jaique	حائك
	إن شاء الله	Jarabe	شراب
		Tahona	طاحونة
		Tarima	طريمة (مسند القدمين)

	Ajimez	الشماس نوافذ مزدوجة
	Arrecife	الرصيف (أو صخر تحت الماء)
	Alhaja	الحادة (الجوهرة)
	Alcaravan	طائر الكروان
	Alferez	الفارس (ملازم ثاني)
	Tafilete	تفتليتي (جلد من أصل بربري)

وبهذا نستنتج فيما يلي :

- إن الكلمات العربية الدخيلة أكثرها من فصيلة الأسماء.
- إن أغلب الكلمات العربية تأخذها اللغة الإسبانية هي وأداة تعريفها المتصلة بها، لكن هذه الأخيرة عادة ما تدغم أثناء النطق بالحروف الساكن الموالي لها في الكلمة.
- إن بعض الكلمات الدخيلة حافظت على شكلها وتغير معناها
- إن بعض الكلمات الدخيلة غير عربية الأصل لكنها نقلت إلى الإسبانية مروراً بالعربية.
- إن الكثير من الكلمات العربية الدخيلة هجرت (وتهجرت) شيئاً فشيئاً بتأثير من قادة وموجهي الرأي العام لأسباب نفسية وسياسية.

2-3- أثر اللغة العربية في اللغة الإنجليزية:

قد يظن البعض أن اللغة الإنجليزية كانت بعيدة عن تأثير العربية فيها لأن الجزر البريطانية كانت بمنأى عن موجة الفتح العربي الإسلامي لجنوب أوروبا، وحوض البحر المتوسط، ولكن الفتح العلمي العربي لم يترك مكاناً في أوروبا دون أن يبلغه، وهكذا وجدنا في

الإنجليزية قدرا كبيرا من الكلمات ذات الأصول العربية يصل بها بعض الباحثين إلى بضع مئات، دخلت إلى الإنجليزية مباشرة.¹

فإن أثر اللغة العربية في الإنجليزية واضح، ذلك "إن اللغة الإنجليزية تحتوي على ألف كلمة عربية الأصل، وهناك سبع ومائتي كلمة من أصل عربي تستعمل في اللغة الإنجليزية يوميا منها كلمة أمير أو أمير البحر التي أصبحت (أميرال).

إن عددا كبيرا من هذه الكلمات لم تجد طريقها رأسا من اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية بل اندمجت في الإنجليزية عن طريق اللغة اللاتينية ثم الفرنسية والإسبانية والكلمات التي اندمجت مباشرة من العربية إلى الإنجليزية لم تتجاوز 34% ومن الأمثلة على الكلمات الإنجليزية المقتبسة من العربية الذي سندرج منها سوى القليل مايلي:²

كلمة إنجليزية:	أصل عربي:
Attar	عطر
Anil	النيل
Dana	ذرة
Jerreed	جريد
talismen	الطلسم
Alchol	الكحول
Codi	قاص
Carat	قيراط

¹ - علي عبد الواحد وافي "علم اللغة" ص 262-263.

² - رفائيل نخلة اليسوعي "غرائب اللغة العربية" ص 150.

يذكر الدكتور "عبد الله الدنان" المهتم بتعليم اللغة العربية للناشئة منذ الصغر أشياء عجيبة عن لغتنا الحبيبة فيقول:

"إن كثيرا من الكلمات الإنجليزية مأخوذة من اللغة العربية، ومن ذلك (البكالوريوس) أو كما قال: باكوريا في بلاد الشام لشهادة الثانوية، بأنها أصلها جاء من العربي...¹ وقام مؤلف كتاب "اللغة العربية أصل اللغات كلها" في القسم الثاني من الكتاب دراسة معجمية مقارنة، أجراها الباحث على نحو خمسمائة كلمة إنجليزية متسلسلة حسب الترتيب الهجائي في قاموس المورد، بدءا من أول كلمة في حرف A وهي (Aard) التي أصلها العربي (أرض)، وهكذا ستجد العجب في هذه اللغة الأم، ومن أمثلة ما جاء في المورد لفظ الجلالة (الله) صار لديهم (Allah)، وعبارة (Aba)، ولفظة (Algebra) مأخوذة من علم الجبر، حتى عفريت أصلها عربي فيكتبونها (Afreet)، وكلمات كثيرة كالفلاح (Felleh)، والفلس (Fils)، والقطن (Cotoon)، والحناء (Henna)، ومومياء (Mumy)، والزعفران (Seffran)، والسبانخ (Spinach) ... إلخ.

وفيما يخص هذه الكلمات التي انضمت إلى اللغة الإنجليزية فقد تغيرت وانقلبت في قالبها وشكلها وأحيانا في معناها أيضا على مر الزمن ولكثرة استعمالها.

ويرجع بدء تسرب الكلمات العربية إلى لغة إنجليزية نحو عام 1150م وذلك عن طريق لغات لاتينية ثم الفرنسية ثم الإسبانية والبرتغالية والإيطالية وفي ذلك القرن ترجمت مؤلفات عربية كثيرة إلى لغات أوروبية². حيث كانت غاية المترجمين هو طلب العلم والاستفادة من العرب.

¹ - د. أنور محمود دزناي www.alukah.net/culture/0143057

² - أنور الجندي، "الفصحى لغة القرآن"، ص 94.

فإن انتقال اللغة العربية إلى الغرب وتأثيرها في لغاته كان واضحاً من خلال مفرداتها الكثيرة والمتنوعة.

فهذا "صمويل هنتغتون" يثبت في كتابه "صدام الحضارات" أن القول بعالمية اللغة الإنجليزية ما هو إلا وهم كبير، وخلص إلى القول "إن لغة تعد أجنبية لدى 92% من سكان الأرض لا يمكن أن تكون عالمية¹.

إن التحدي الذي يواجه اللغة العربية اليوم مرده إلى الشعور المبالغ فيه بأهمية اللغة الإنجليزية الناتج غالباً في الانبهار بكل ما هو أجنبي، والظن الزائف بأن التقدم لا يأتي إلا عن طريق إتقان اللغة الأجنبية للجميع، بل والتحدث بها بين العرب أنفسهم، ومن المعروف أن هذا ما يسمي في علم النفس بـ: (عقدة النقص) فيحاول البعض أن يضيفي على شخصيته شيئاً من الرقي والتطور عن طريق النطق باللغة الأجنبية بين العرب، فبدلاً أن يقول لك حسناً، أو طيب أو جيد، يقول لك (OK).²

إن هذا الشعور يأتي من الإحساس بالهزيمة النفسية التي يعاني منها الإثمان العربي في هذا العصر، والإعجاب المتنامي بصانع الحضارة المعاصرة الذي يمثل المنتصر وللغالب، ومن البديهي أن يقلد المغلوب الغالب، في شعاره وزيه وسائر أحواله وعوائده.

ومن الكلمات الإنجليزية التي دخلت على اللغة العربية وأثرت عليها عن طريق احتكاك هذه الأخيرة بها كالتالي³:

¹ - صمويل هانتغتون "صدام الحضارات"، نقلاً من كتاب اللغة العربية في عصر العولمة د. أحمد الطيب، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1422هـ - 2001م، ص13.

² - المرجع السابق، ص 13.

³ - ينظر : عبد الحميد حسن "الألفاظ اللغوية" ص71.

الكلمة الإنجليزية	الأصل العربي	الكلمة الإنجليزية	الأصل العربي
بلف	خدعة	لينوتب	آلة طباعة
فوتبول	كرة القدم	ورشة	مصنع
فولكلور	فن شعبي	ونش	آلة رافعة
فولكاب	فرخ ورق	يخت	مركب خاص
فيلم	شريط		

فأخذت طائفة من هذه الألفاظ الدخيلة طريقها إلى اللغة الفصحى بعد أن وضعت لها الألفاظ العربية.

● كلمات عربية في لغات أوروبية في مجال الملاحة والفلك :

بقي أثر علوم المسلمين الملاحية واضحا في أوروبا عبر تلك الكلمات التي لا تزال محفظة في لغات الأوروبيين بما يشبه حروفها العربية مثل tare من طرح السفينة، و felouque من الفلك، calfata من القلطة¹، و amiral من أمير البحر و arsenal من دار الصناعة risk بمعنى المغامرة في طلب المعاش من كلمة رزق و Avala من كلمة حوالة و avaare من كلمة عوار وكلمة wissil الألمانية من كلمة وصل و calibre من كلمة قالب وغير ذلك كثير ولاسيما في كلام أهل الأندلس والبرتغال².

وفي مجال الفلك فإن الأسماء العربية باقية بلفظها في المعجمات الفلكية الأوروبية سواء في أسماء الكواكب والنجوم أو أسماء المدارات والمصطلحات ومن مئات هذه المفردات نذكر على بسيل المثال لا الحصر كلمة الطرف altaref وكرسي الجوزاء cursa والكف caph والأرنب armab والعرقوب arkab والسمت azimuth والبطين botein وزبانتى

¹ - القلطة، دهن السفن بالقار (الزفت).

² - عباس محمود العقاد، "أثر العرب في الحضارة الأوروبية"، ص 59.

العقرب zuben hakrabi والنسر الواقع wega والساهور saros والسيف saif،
 وصدر الدجاجة sadr، والزورق Zaurek، وقرن الثور tauri، الراعي erraid، والذئب
 denob... إلخ¹.

3- تأثير الأدب العربي في الأدب الأوروبي :

إن الأدب العربي كان له أثر ووقع في الأدب الأوروبي وقد دخل أدب الفروسية
 والحماسة والمجاز والتخييلات الراقية البديعة إلى الآداب الغربية عن طريق الأدب العربي في
 الأندلس على الخصوص.

وفي هذا يقول الكاتب الإسباني المشهور أبانيز : "إن أوروبية لم تكن تعرف
 الفروسية ولا تدين بآدابها المرعية ولا نخوتها الحماسية قبل وفود العرب إلى الأندلس وانتشار
 فرسانهم وأبطالهم في أقطار الجنوب"².

والشعر الأوروبي قبل اتصال الأوروبيين بالعرب كان قاصراً جداً، ولدى وصول
 الحضارة الإسلامية إلى أوروبية كان هناك أثر كبير لهذه الحضارة على كافة المستويات. وفي
 ميدان الشعر رأى الأوروبيون عند العرب أوزاناً كثيرة ثم رأوا الموشحة أيضاً، وهي مقطوعة من
 الشعر تمتزج فيها أوزان متعددة وقوافي متنوعة فأجبوا هذا التوشيح وأخذوه عن العرب ونظموا
 عليه "الصويت"^{*}.

¹ - ينظر : عباس محمود العقاد، المرجع السابق، ص 61.

² - ينظر : د. مصطفى السباعي، "من روائع حضارتنا، دار الإرشاد، بيروت، لبنان، ط 2، 1388 هـ - 1968 م، ص 42.

^{*} - الصويت : تصغير لكلمة صوت، أو الصوت القصير والصوت في اللغة العربية مقطوعة قصيرة تغني، واسمها في الفرنجية "سونت".

وكان مؤرخو الآداب الأوروبية قد حاروا زمانا طويلا في مصدر هذا النوع من الشعر حتى نشأت النظرية العربية¹، وأجمع كبار مؤرخي الأدب والدارسين في الفرنسية والألمانية والإيطالية على أن أدبهم الجديد الذي برز في كل مكان زهرة غريبة في رياض الأدب إنما جاء من تقليد الشعر العربي. ويبدو أن الأدب الإنكليزي لم يتأثر مباشرة بالشعر العربي بل بالشعر الإيطالي الذي كان قد تأثر بالشعر العربي.

هذا، واحتك الإفرنج بالعرب في الأندلس ثم في المشرق في أثناء الحروب الصليبية، فعرفوا الموشح والزجل فنقلوا أوزانهما إلى آدابهم. فشعراء التروبادور* في جنوبي فرنسا نقلوا من الموشحات الأندلسية ومن الأزجال المشرقية والمغربية. وبذلك خرج الشعر الأوروبي عن وتيرته الأولى وأصبح شاعرهم ينظم مقطعات مختلفة الأبحر متعددة القوافي سمي بعضها سونت أو سونة. ودخل كثير من أغراض الشعر العربي ومعانيه وألفاظه في الشعر الأجنبي².

وحول تأثير الشعر العربي في اللغات اللاتينية قالت المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة ما نصه : سيطر هذا الطابع العربي المميز في العالم وطغى على الطابع الإغريقي واللاتيني والجرماني، وبرغم أن اللغات الجرمانية، خاصة الألمانية، يصعب استخدامها في القافية فقد

¹ - ينظر : د. عمر فروخ، "الحاضرة الإنسانية وقصد العرب فيها"، دار لبنان، ط 3، بيروت، 1983 م، ص 23.

* - التروبادور : دور الطرب (إذ كان أولئك الشعراء يدورون من قصر إلى آخر، ومن مدينة لأخرى، لغناء قصائدهم وتأدية عروضاتهم الغنائية أمام الملوك والسلاطين. فبد الفتح الإسلامي للأندلس، عرفت العديد من الدول الأوروبية لأول مرة مظهر الموسيقيين المتحولين الذين يجولون الطرقات، وهم يعرضون أغانيهم ورقصاتهم الشعبية مرددين فيها ملاحم البطولة والقصص الملحمية، وما نقلوه عن عرب الأندلس من القصص الرومانسية مثل ألف لية ولية، وسندباء ويوسف وزليخة وغيرها الكثير).

² - د. عمر فروخ، المرجع السابق، ص 23.

اتخذت الطابع العربي طابعا لها ونبذت الأصول الجرمانية والإغريقية حتى صارت غريبة علينا اليوم" ¹.

وأضافت: "وأثر طابع الشعر العربي على إيطالية تأثيرا أكبر ونشاهد ذلك واضحا في أشعار فرنسيس الأسيزي Franz von assisi ودانتي Dantes، وفرا جاكابانا دا تودي Fra Jacapane de Todi وحتى لورنزو دي مديتشي Lorenzo de medici، ومكيافيللي Machiavell قد نظموا على أسس لأوزان العربية. كما بقي ذلك الأثر العربي أوضح ما يكون في صقلية وتوسكانا Toscana والبندقية" ²، وكذلك تظهر صور الحب الرقيق" في الأدب الفرنسي المرئية في الأدب العربي والذي بسط قواعده ابن حزم في كتابه "طوق الحمامة في الإلفة والألاف" الذي ترجم إلى عدة لغات أوروبية.

وكذلك هناك "دور الطرب" التي حولت لتصبح كلمة "تروبادور" والتي تحمل معنى "الشعر الشعبي المغني" والذي تفسى في أوروبا والمأخوذ بتقاليده عن الاندلس بكل ما يمثل من تذلل وخضوع للحبيب.

وكما كان للشعر العربي أثره في اللغات اللاتينية كذلك كان للنثر والقصص وهذا المستشرق كوبلر يونج عن ذلك فيقول: فإن الدين الذي تدين به أوروبا العصور الوسطى لأدب النثر العربي لا جدال فيه وإن كانت تفاصيله لم تدرس بعد، فهناك أحداث من القصص الشرقية توجد في الأدب الشعبي لكل من ألمانيا وفرنسا وكذلك الشأن في Decamerone من أعمال "بوكاشيو"، وفي Squieves ta les من أعمال "نشوسر" وقد انتشرت في جميع أنحاء أوروبا القصص العربية التهذيبيية الموضوعة على السنة

¹ - زيفريد هونكة، "شمس العرب تسطع على الغرب (أثر الحضارة العربية على أوروبية)، منشورات المكتب التجاري، ط 1، بيروت، لبنان، 1964، ص 508.

² - زيفريد هونكة، المرجع السابق، ص 510.

الحيوان والطير، كما ترجمت الصورة العربية من كتاب السندباد، وهو الأصل بالسنسكربتية إلى اللغات السريانية، واليونانية، والعبرية، والإسبانية، واللاتينية والإنكليزية¹.

وقد ظهرت قصص كلية ودمنة العربية، وأصلها من السنسكربتية كذلك، في أثواب متعددة في مختلف أنحاء أوروبا ويندر في الكتاب النثرية الأولى في الأدب الإسباني ما لا يستمد مكن مواد عربية. والأدب الإسباني ذاته، وقد أثر على سائر أوروبا، متأثراً كثيراً بروح الثقافة الأندلسية، فقد ازدهرت في تلك البلاد القصص "المورسكية" التي مزجت بين الثقافة العربية (المورية) والثقافة الإسبانية، وكانت بدءاً للرواية الحديثة، وإن أريج الثقافة الأندلسية ليعقب على صفحات الكاتب "سرفاتيس".

كما تأثر دانتي الشاعر الإيطالي "بكتب محيي الدين بن عربي وبقصة المعراج فتصوره للحجيم والجنة في رائعته الكوميديا الإلهية، يشابه تشابهاً تطابقياً في بعض الأحيان ما جاء في قصة المعراج مع تفصيلاته الدقيقة².

أما الطبيب والفيلسوف ابن طفيل الإشبيلي، أستاذ ابن رشد، فقد وضع قصته الفلسفية (حي ابن يقظان) التي استعار بطلها، من رسالة رمزية صوفية لابن سينا. فقد تخيل ابن طفيل أن حي ابن يقظان هذا صبي يتيم، ترك ليعيش وحده في جزيرة منعزلة، فاستطاع بواسطة التأمل أن يقوده تفكيره إلى وجود الخالق، كما اكتشف بطريق الاتصال بالطبيعة الأسس الضرورية لقوانين هذه الطبيعة، وفي قصة "حي بن يقظان" جوانب نضج قصصي في

¹ - ينظر : حنان قرقوتي، "اللغة العربية والخط..."، ص 134. (نقلاً عن كوبلر يونج أثر الإسلام الثاني على المسيحية، مجلة الأفق والإسلام، العدد 01، عمان، الأردن).

² - يؤكد كثير من النقاد أن دانتي كان في كتابته "القصة الإلهية" فيها رحلته إلى العالم الآخر متأثراً برسالة الغفران للمعري ووصف الجنة لابن عربي ذلك أنه سكن جزيرة صقلية في عهد الأمبراطور "فريدريك الثاني" الذي كان مولعاً بالثقافة الإسلامية ودراستها في مصادرها العربية، وقد دارت بينه وبين دانتي مساجلات في مذهب أرسطو كان بعضها مستمداً من الأصل العربي (د. مصطفى السباعي، المرجع السابق)، ص 44.

الشرح والتبرير والإقناع، على الرغم من أن القالب القصصي فيها ليس سوى تعلق لذكر الآراء الفلسفية الكثيرة المثبتة في النص، وبراعة المؤلف تتجلى في مزج الآراء الفلسفية الدقيقة بالقصص الشعبي، وفي جهده لتبرير تلك الآراء منطقياً وبنياً. ولهذا عدها كثير من النقاد خير قصة في العصور الوسطى جميعاً، ويعترف ابن طفيل في مقدمته أنه متأثر في قصته بفلسفة ابن سينا، ولكن أصلاته في القصة لا يتطرق إليها شك، فظلت قصته بذلك فريدة في القصص العربي، على الرغم من طابعها التجريدي الفلسفي¹.

وقد ترجمت هذه الرسالة إلى مختلف اللغات وحازت إعجاب المفكرين وقد أوحى هذه القصة إلى ديفو بقصة روبنسون كروزو الشبيهة بها". ويمكن أن يقال بعامية أن القصص -فلسفياً كان أن غير فلسفي- لم يلعب دوراً كبيراً في الأدب العربي في تصوير قوى الإنسان وصراعها مع ما يفوقها من القوى الغيبية أو البشرية أو الطبيعية، في صورة موضوعية فنية، يتوجه فيها الكاتب إلى الجمهور لتأييد قضية عامة من القضايا الاجتماعية أو الفلسفية أو تنفيذها، وهذا فارق جوهري بين الأدب العربي والآداب الغربية عامة، بل يكاد يكون فارقاً كذلك بين الآداب السامية والآرية، إذ فاد الفرس من قصص القرآن ومن قصصهم الأسطوري في نظم الملاحم، وبرعوا في القصص الفلسفية على نحو لم يعرفه العرب².

وفي سنة (750 هـ / 1349م) كتب بوكاشيو حكاياته المسماة "بالصباحات العشرة" وهي تحذو حذو ألف ليلة وليلة، ومنها اقتبس شكسبير موضوع مسرحيته "العبرة بالخواتيم"³.

¹ - غنيمي هلال، "مناهج النقد في الأدب العربي"، ص 530-531.

² - المرجع نفسه، ص 531.

³ - ينظر: راشد الكيالي، "التعاون الثقافي الإسباني العربي"، مجلة التراث العربي، العدد 32، اتحاد الكتاب العرب، دمشق،

1988 ص 105.

4- ظهور مجامع لغوية وعلمية :

لقد قامت مجامع اللغة العربية لا سيما مجمع اللغة بالقاهرة رفع التحديات التي واجهت اللغة العبية في بداية القرن العشرين.

- ما القضايا التي عاجلتها هذه المجمع؟.

- ما الأسس المنهجية التي تم إتباعها لتحقيق هذه الأهداف؟.

- ما نتائج هذه المحاولات؟.

نتبع ذلك بالتفصيل ومن خلال أمثلة محددة جزء من هذه القضايا اللغوية لنقف عند إمكانات وحدود الكتابة اللغوية الجمعية لاسيما في الجانب المتعلق بالمصطلح والمعجم. كما نبين هيمنة النزعة المحافظة داخل المجمع وكيف أن المجمع لم يستفد من الآراء اللسانية الجديدة التي عرضها بعض الأعضاء والتي كان بإمكانها أن تقدم الحلول المناسبة لبعض القضايا الشائكة التي عاجلها المجمع.¹

إن التحدي الحضاري الذي واجهته اللغة العربية منذ ما عرف بالنهضة ومازالت تواجهه إلى اليوم لم يزد مع مرور الوقت إلى قوة وصلابة أمام ضآلة النتائج العلمية المحصل عليها في غياب سلطة لغوية شاملة يخضع لها الجميع أو يستأنس بها الكل في أحسن الأحوال. فأسئلة النهضة مثل:

كيف تواجه اللغة العربية مظاهر الحضارة الغربية؟ وكيف ننمي اللغة العربية ونجعلها عملية ووظيفية لرفع التحديات والعقبات. هذه الأسئلة ما تزال تطرح نفسها بإلحاح شديد وربما درجة أكبر أمام تضخم غول العولمة وسيادة مجتمع المعرفة العالمي من جهة والتوتر القائم بين الهوية العربية بجميع مقوماتها ومنها اللغوية والهيمنة الاقتصادية والسياسية العالمية التي لا

¹ - ينظر: عبد المجيد، "المعجمات والمجامع العربية" ص 167 - 168.

تردد في قطع الطريق أمام كل الخصوصيات اللغوية والثقافية لاسيما إذا كانت لها مقومات وخلفيات فكرية ومجتمعية مغايرة لما هو سائد في الغرب¹.

4-1-1-1-4 - المجامع اللغوية ودورها في المحافظة على اللغة العربية :

4-1-1-4-1 - من أجل عربية حضارية:

نشأت المجامع العلمية واللغوية العربية بدمشق والقاهرة وبغداد وعمان نظرا للمتطلبات الملحة التي استوجبتها الظروف السياسية والاجتماعية والفكرية التي عاشها العالم العربي منذ عصر النهضة. وتنحصر هذه المتطلبات في الدور الحضاري الذي يمكن أن تقوم به اللغة العربية في حياة الإنسان العربي، وعلى غرار ما حاول بعض القادة العرب -آنذاك- القيام به سياسيا واجتماعيا، تركز النظر حول دور اللغة العربية الفاعل في كل عمل سواء تعلق الأمر بالجانب السياسي أو الاجتماعي أو العلمي أو الأدبي، إذ لا إصلاح ولا نهضة بدون إحياء لغة الأمة.

إن المجامع التي تأسست في العالم العربي منذ بداية القرن العشرين لم تنظر إلى اللغة العربية في "حد ذاتها ومن أجل ذاتها" وإنما باعتبارها وسيلة فعالة لدعم النهضة السياسية والاجتماعية. كان الاهتمام باللغة العربية في المجامع موازيا لاهتمامات معرفية أخرى بدء "بنشر الآداب العربية وإحياء مخطوطاتها وتعريب ما ينقصها من كتب العلوم والصناعات والفنون عن اللغات الأوروبية وتأليف ما تحتاج إليه من الكتب مختلفة المواضيع على نمط جديد.

¹ - ينظر: عبد المجيد، المصدر السابق، ص 105.

ويجمع الآثار القديمة من تماثيل وأدوات وأوان ونقود وكتابات ومشاكل ذلك ولاسيما ما كان منها عربيا.

كما عني بجمع المخطوطات القديمة الشرقية والمطبوعات العربية والإفريقية على اختلاف موضوعاتها¹. وتتضح هذه القضايا من خلال مجلة "المجمع" التي "تحتوي على دراسات في فقه اللغة والتاريخ والآداب والاجتماع من تأليف الأعضاء وغيرهم من الباحثين والدارسين².

وقد كان مجمع اللغة العربية بالقاهرة أكثر التصاقا باللغة العربية وقضاياها النحوية والصرفية واللغوية والمعجمية لجعلها أكثر قدرة على مواجهة الحياة الجديدة ومواكبة لمظاهر التقدم العصري في مجال العلم والصناعة والاجتماع...

حددت أغراض هذا المجمع فيما يلي³:

أ- أن يحافظ على سلامة اللغة العربية، وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها ملائمة على العموم لحاجات الحياة في العصر الحاضر وذلك بأن يحدد في معاجم أو تفاسير خاصة أو بغير ذلك من الطرق ما ينبغي استعماله أو تجنبه من الألفاظ والتراكيب.

ب- أن يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية، وأن ينشر أبحاثا دقيقة في تاريخ بعض الكلمات وتغير مدلولاتها.

ج- أن ينظم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربية.

¹ - محمد كرد علي "منشور المجمع للمجلات والجامع في مجلة المجمع العلمي" دمشق، المجلد الأول، عدد1، يناير 1921، ص6.

² - محمد رشاد الحمزاوي "مجمع اللغة العربية" بدمشق والنهوض بالعربية، دار التركي للنشر، تونس، 1988، ص19.

³ - ينظر : علي عبد الواحد وافي "فقه اللغة"، ص221.

د- أن يبحث كل ما له شأن في تقدم اللغة العربية مما يعهد إليه.

وأضيفت لهذه "الأغراض" بعد عشرين سنة "نشر ما يراه لازماً لأعمال المعجم ودراسة فقه اللغة من النصوص القديمة بالطرق العلمية"¹. ثم أصبحت قضايا المجمع وموضوعاته أكثر اتساعاً وشمولية حين بات من أهدافه مناولة جوانب معرفية وفنية أخرى تخرج عن حدود الأغراض اللغوية التي تم سردها. لقد أضيف لأغراض المجمع²:

- 1- الدراسات العربية وإحياء تراث العرب في العلوم والفنون والآداب وعلاقة ذلك بتاريخ العرب وآثارهم وحضارتهم وصلتها بالحضارات وأثرها فيها وتأثرها بها.
- 2- نشر الوثائق والنصوص التاريخية والآثار التي خلفها أدياء العرب وعلمائها ومفكروها والتنويه بأعمال المؤلفين والأدياء وأصحاب البحوث التي تخدم أغراض المجمع.

وجاء أيضاً ضمن الأغراض الجديدة للمجمع³:

- 3- يدرس المجمع ما من شأنه تيسير الكتابة العربية وقواعد النحو والصرف، ويتلمس الوسائل إلى التشجيع على التنافس في الإنتاج الأدبي واللغوي كما يعمل على إحياء الكتب القديمة.

مما لا شك فيه أن الأهداف السالفة لها قيمتها "المعرفية" إضافة إلى "قيمتها التاريخية"، لاسيما إذا أخذنا بالحسبان الظروف الحضارية التي ظهرت فيها المجمع من خدمات جليلة للغة العربية قصد النهوض بها بدء من جمع جديد لمفرداتها والتكفل بتأليف

¹ - مجلة "مجمع اللغة العربية"، عدد 8، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1955، ص 202.

² - إبراهيم بيومي مذكور "مجمع اللغة في ثلاثين سنة" - القاهرة، د. ط 1964، ص 128-129.

³ - علي عبد الوافي "فقه اللغة" ص 218.

المعجمات اللغوية المناسبة مثل "معجم الوسيط" 1960 ووضع المصطلحات العلمية بالعربية وألفاظ الحضارة الملائمة.

وقامت الجامعات -لاسيما مجمع اللغة بالقاهرة- بالبحث في كل السبل التي تيسر النحو العربي وتجعله وظيفيا ليستفاد منه تربويا. وكذلك كان دأب الجامعات اللغوية العربية بالنسبة لتيسير الخط العربي ليكون في مستوى ما تقدمه صناعة الطباعة من تقنيات حديثة.

ونجد "في محاضر المجمع ومجلته دراسات قيّمة وبحوثا عميقة... وليست ثمة مشكلة من مشاكلنا الحاضرة في الأدب واللغة إلا وله فيها رأي أو توجيه. وقد تكون هناك قضايا لم يقطع فيها برأي ولكنه قلبها على وجوهها واقتزنت فيها الحجة وألقي عليها كثير من الضوء".¹

وفي هذا الصدد يقول د. صالح بلعيد في كتابه "الأمن للغوي": إن اللغات بحاجة دائمة إلى العناية والدراسة والمتابعة وهذه الضرورة الملحة هي التي أهابت بالأمم المختلفة لتأسيس مجامعها اللغوية كي تكون الحارس الرصين على السلامة اللغوية في خصائص ودقائق اللغة. وللمجامع العربية دور علمي في قضايا اللغة العربية ومطلوب منها إنجاز دراسات تتعلق بتطور مناهج تدريس اللغة العربية وبخاصة الصرف والنحو والإملاء، وتأليف مراجع ميسرة لهذه القواعد، ثم الاستفادة مما وصلت إليه نظريات علم اللغة وفروعه الخاصة وخاصة اللسانيات التطبيقية، ولا نروم في هذا الأمر إلا التركيز على²:

- تكثيف جهوده في وضع المصطلحات وإنجاز القواميس العلمية.

- العمل بالتنسيق مع وزارة التربية على تيسير تعليم العربية.

¹ - إبراهيم بيومي مذکور "مجمع اللغة في ثلاثين سنة"، المرجع السابق ص 1.

² - د. صالح بلعيد، في الأتمن اللغوي، ص 63-64.

- التكامل بينه وبين وزارة التعليم العالي في مد العلوم بالمصطلحات العلمية العربية.
- العودة إليه في قضايا تأصيل المحيط وما يتعلق بلافتات المحال التجارية والإشهار.
- التدخل في تعزيز الهوية اللغوية بتصحيح الأخطاء.
- أن يصدر من مؤتمر قمة عربي، حيث تخصص الجامعة العربية قمة للرؤساء والملوك والزعماء والأمراء لتدارس اللغة العربية واتخاذ القرار الإلزامي.
- أن يصدر عنهم بيان في التخطيط اللغوي، تحدد فيه آجال التنفيذ.
- أن يوافق فيه على منهجيات التطبيق الموحدة.
- أن يردع كل دولة مخالفة للقرار.
- أن يعمل على إنشاء مؤسسات متخصصة، وتكون قراراتها وإنتاجها ملزمة.

4-1-2- المحاور الكبرى في البحث اللغوي المجمعي :

تمحورت اهتمامات المجمعين حول القضايا اللغوية التالية:

- وضع المصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة.
- معجم عربي حديث.

4-1-2-1- وضع المصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة:

يعد مجمع اللغة بالقاهرة نموذجاً لباقي المجمع العربية، وقد تشكل هذا المجمع منذ نشأته من مجموعة من اللجان التي أتيح بها النظر في المصطلحات العلمية المتنوعة وألفاظ الحضارة* ونذكر من هذه اللجان¹:

* نقصد بألفاظ الحضارة " ما نسميه كلمات الحياة العامة مما يجري على الألسنة والأقلام للتعبير عن أدوات مادية أو معادن مجردة يدور استعمالها في البيت والمكتب والمتجر والسوق".

¹ - ينظر : علي عبد الواحد وافي، "فقه اللغة"، ص 222-223.

- لجنة الرياضيات (الحساب والهندسة والجبر وعلم الآلات والحيل والفلك).
 - لجنة العلوم الطبيعية والكيمياء (بصريات وكهرباء والمغناطيس)
 - لجنة علوم الحياة والطب.
 - لجنة العلوم الاجتماعية والفلسفية (علم الاجتماع كالحقوق والاقتصاد والسياسة والإدارة ووصف الشعوب، أما العلوم الفلسفية فمنها علم النفس والمنطق والأخلاق والتصوف والآلهيات والدينيات).
 - لجنة الآداب والفنون الجميلة (تاريخ، جغرافية وما يتعلق بالمدينة وما إليها والمنزل وأجزائه وأدواته ومصطلحات الصناعات والحرف وما إليها)، ومن الفنون (الرسم التصوير النحت ونقر الخشب والموسيقى بأنواعها وآلاتها والمثيل والخيالة والشعر).
 - لجنة المعجم.
 - لجنة اللهجات.
 - لجنة الأصول العامة (ونبحث في قواعد اللغة العربية، ونتخير من آراء أئمتها ما يوسع أقيمتها لتكون أداة سهلة للتعبير عن المقاصد العلمية وغير العلمية).
- وهكذا تآزرت جهود أعضاء اللجان المذكورة لوضع المصطلحات والألفاظ التي أضحت العربية الحديثة في حاجة إليها، وقلما صدر عدد من مجلة الجمع دون لوائح مطولة بالمصطلحات التي اقترحها المجمعون في مختلف مجالات العلم والحياة.

ومن هنا نطرح السؤال :

- ما المقصود بالمصطلح؟

لقد اهتم كثيرين من اللغويين بذكر تعريف المصطلح على التحديد بعد القرن الثامن الهجري على لسان "محي الدين الكافيجي" (ت، 879هـ) وهو من كبار علماء الحديث

واللغة والأدب وله باع طويل في علم المصطلح فقال في تعريفه: "ألفاظ مخصوصة موضوعة لمعان يمتاز بعضها عن بعض باعتبار قيد يميزه عنه وسبب إطلاقها عليها هو الاتفاق على وضعها لمعان لتحصل عند استعمالها مع أداها إصلاح المعاني ودفع التباسها بعضها ببعض" ¹.

وعرفه د. "علي القاسمي"، بقوله هو: "العلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التي تعبر عنها" وانتشرت لفظة (مصطلح) بين المحدثين، فتوالت التعريفات الاصطلاحية لها، ومنها أن (المصطلح لفظة كلمة أو كلمات ذات دلالة علمية أو حضارية يتواضع عليها المشتغلون بتلك العلوم والفنون والمباحث).²

لكن ما هي القاعدة المنهجية التي اتبعها المجمع في وضع المصطلحات؟ "الواقع أنه لم يستقم له لأول وهلة منهج لوضع المصطلحات وإقرارها، وتردد في ذلك زمنا: أيخترع أم يسجل؟ أيعرب أم يجيي الألفاظ القديمة؟ أيقبل العامية أم يأخذ من الفصحى وحدها؟ أيسلم النحت أم يرفضه؟"³.

واتسم موقف المجمع بكثير من المرونة والانفتاح في توليد الألفاظ العربية الجديدة سواء كانت مصطلحات علمية أم ألفاظا حضارية. وتوسع في الاشتقاق وزواج بين التعريب والاشتقاق ومزج بين المولد والمقيس بعد أن ضبط كلا منهما وسمح بما لم يسمح به أئمة اللغة العربية من قبل.

¹ - جاسم محمد عبد العبود "مصطلحات الدلالة العربية"، دراسة فس ضوء علم اللغة الحديث، دار الكتب العلمية . بيروت، ط1، 2007، ص10-11

² - علي القاسمي، "مقدمة في علم المصطلح، ص 17-18.

³ - ينظر : عبد الصبور شاهين "العربية لغة العلوم والتقنية"، ص117.

4-1-2-2- وسائل التطور اللغوي والنمو المصطلحي :

يتفق بعض العلماء على أن من خصائص اللغة بوجه عام قدرتها على التطور والنمو، وذلك باستخدام وسائل صرفية ونحوية لتوليد ألفاظ ومدلولات وتراكيب لغوية جديدة للتعبير عما يستجد من حاجات ومفاهيم في المجتمع، وإذا علما أن اللغة العربية هي أطول اللغات العالمية عمرا، وأثراها لفظا، وأقدرها على النمو اللفظي والدلالي لما تتحلى به من خصائص اشتقاقية فريدة تؤكد لنا أن بوسع لغتنا العربية أن تعبر عن سيل المفاهيم تالعلمية والتقنية الجديدة المتدفق باستمرار والمتزايد باضطراد¹.

كما يبين لنا الكاتب علي القاسمي في كتابه مقدمة في علم المصطلح :

"ليست هذه المرة الأولى التي تواجه فيها اللغة العربية تدفقا مفاجئا من مفاهيم إنسانية وعلمية لم تعهدها من قبل، بل حدث أكثر من مرة في تاريخها الحديث، فقد جاء الإسلام بمفاهيم فلسفية ودينية واقتصادية واجتماعية وعلمية جديدة، واستجابت اللغة العربية لهذه المفاهيم بتوليد المصطلحات التي تعبر عن هذه المفاهيم كالصلاة، والوضوء، والزكاة والخلافة والإمامة، والحضانة والنفقة، وإحياء الأرض الموات، وغيرها وهي مصطلحات لم توجد في اللغة العربية من قبل بمدلولها²، وفي العصر الأموي أمر الخليفة عبد المالك بن مروان بتعريب الدواوين التي كانت بينظية في الشام وفارسية في العراق، وسرعان ما جاءت العربية بمصطلحات جديدة في الإدارة والسياسية والاقتصادي، فظهرت ألفاظ جديدة كالدينار والدرهم والبريد والديوان وغيرها. وفي العصر العباسي أنشأ الخليفة المأمون بن هارون الرشيد دار الحكمة ببغداد لتنسيق عملية نقل الفلسفة الإغريقية والهنود والفرس وعلومهم وآدابهم إلى

¹ - علي القاسمي، "مقدمة في علم المصطلح"، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط 2، 1987، ص 95.

² - نفسه، ص 96.

اللغة العربية، وسرعان ما زحرت اللغة العربية بمصطلحات جديدة في الفلسفة والمنطق والرياضيات والكيمياء وغيرها، وفي عصور ازدهار الحضارة العربية الإسلامية كانت اللغة العربية تزود العلماء المسلمين دوماً بالمصطلح الملائم للتعبير عن مخترعاتهم ومكتشفاتهم ونظرياتهم في العلوم والفنون¹.

ويمكن تلخيص هذه الوسائل بما يلي :

1- الاشتقاق

2- النحت

3- المجاز

4- التعريب

5- الترجمة

1- الاشتقاق وأنواعه :

الاشتقاق هو أخذ كلمة من كلمة أو أكثر مع تناسب بين المأخوذ والمأخوذ منه في اللفظ والمعنى². وهو توليد لبعض الألفاظ من بعض، وارتباطها بأصل واحد ويحدد معناها المشترك الأصيل.

واهتم اللغويون القدامى بالاشتقاق لمساهمته في نمو العربية، وأفردوا له كتباً خاصة، فهذا ابن السراج في كتابه (الاشتقاق) يسأل عن غرض الاشتقاق، ولما وقع في الكلام، وما الحاجة ثم يجيب عن ذلك (الغرض في الاشتقاق إذ به اتسع الكلام، وسلط على القوافي والسجع والخطب، وتصرف في دقيق المعاني ...

¹ - ينظر : علي القاسمي، المرجع السابق، ص 96 - 97.

² - عبد الله أمين "بحث من علم الاشتقاق"، مجلة مجمع اللغة العربية، عدد 1، 1935، ص 381.

وقال (قندريس) : "إن الاشتقاق هو العلم الذي يدرس المفردات وأضاف أنه علم تاريخي يحدد صيغة كل كلمة في أقدم عصر تسمح المعلومات التاريخية بالوصول إليه ويدرس الطريق الذي مرت به الكلمة مع المتغيرات التي أحلبتها من جهة المعنى أو من جهة الاستعمال...".¹

1-2- الاشتقاق الصغير :

هو انتزاع كلمة من أخرى مع تشابه بينهما في المعنى، واتفاق في الأحرف الأصلية، كأن نأخذ من الفعل صيغاً أخرى تتضمن حروف الفعل، وتتقارب معه في المعنى وتحتوي على حروفه الأصلية نحو :

علم، عالم، علم، معلوم، وغيرها، كلها تحتوي على حروف (علم) وتتصل بمادته في المعنى، ومثلها، كتب، يكتب، اكتب، كتابة، كاتب، مكتوب، كتاب وللإشتقاق الصغير عشر صيغ هي :

- الأفعال : الماضي، المضارع والأمر.

- المشتقات السبع : اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، واسم التفضيل،

واسم الزمان، واسم المكان، واسم الآلة.

وخلاصة القول أن الاشتقاق الصغير يتفق فيه المشتق والمشتق منه في الأحرف الأصلية

وترتيبها².

¹ - جاسم محمد عبد العبود "مصطلحات الدلالة العربية" ص 190-191.

² - د. محسن علي عطية، اللغة العربية مستوياتها وتطبيقاتها، ص 97.

1-3- الاشتقاق الكبير :

ويطلق عليه القلب، يكون فيه تناسب بين الكلمتين في اللفظ والمعنى من دون ترتيب الحروف، فهو انتزاع كلمة من كلمة أخرى بتغيير بعض حروفها مع اتفاقها في حروف أخرى ثابتة كما في :

- صاعقة وصاقعة.

1-4- الاشتقاق الأكبر :

ويسمى اشتقاق الإبدال، وهو اشتقاق بديعي أيضا وهو انتزاع كلمة من أخرى مع اشتراكهما في النطق، وتقاربهما في المعنى إذ يكون بين الكلمتين تناسب في المعنى والمخرج، كأن يرفع حرف ويوضع غيره في مكانه فتتولد من ذلك كلمة أخرى تدل على ما تدل عليه الأولى، وبذلك يكون بين الكلمتين تناسب في المعنى، واتفاق في الأحرف الثابتة كما في ¹:

- هديل، هدير.

- رد، رذع.

- رسا، رسب.

- سراط، صراط.

- نهق، نعق.

- هز، أز.

- الوأل، الوعل.

¹ - ينظر : د. محسن علي عطية، اللغة العربية مستوياتها وتطبيقاتها، ص 98.

وقد نال هذا النوع من الاشتقاق اهتمام الكثيرين من القدامى فألفوا فيه، ومنهم الأصمعي، وابن دريد، والزجاج، وابن خالوية، والسيوطي، وكتب فيه عدد من المحدثين منهم : عبد الله، الغلايلي، والكرملي، وصبحي الصالح، وغيرهم.

1-5- الاشتقاق الكبار : (النحت)

ويطلق عليه النحت، وهو أخذ كلمة من كلمتين أو أكثر مع تناسب بين المأخوذ والمأخوذ منه في اللفظ والمعنى والاشتقاق الكبار نحت ليس له ضابط، أو قاعدة إنما تؤلف الكلمة المنحوتة من كلمتين أو أكثر بإسقاط حرف أو أكثر من كل منهما وضم ما بقي من الأحرف إلى بعضها لتصبح كلمة واحدة كما في :

- دمعر : أي قال دام عزك.

- حوقل : قال لا حول ولا قوة

ويطلق على هذا النوع من النحت النحت الفعلي وهو ينحط من الجملة دلالة على النطق بها أو حدوث مضمونها.

وهناك النحت الاسمي أو الوصفي وينحط من اسمين أو وصفين جامعا بين معنيهما

كما في :

- جلمود : منحوته من الجلد، والجمد.

- صلدم : منحوته من الصلد، والصددم. وهناك النحت النسبي فيه يتسعمل

المنحوت نسبة إلى شيء كما في : مرقسي، وعبشمي، وطبر خزي نسبة إلى

طبرستان وحوارزم.

وهناك نوع آخر من الاشتقاق في العربية ليس من مواضع علم الدلالة وهو الاشتقاق المعنوي وهو على نوعين¹:

أ- الاشتراك : ويعني أن الكلمة وضعت لمعنى واحد ثم استعملت في غيره لعلاقة بين المعنيين مع وجود قرينة تمنع إرادة المعنى الواحد كما في :

وطيس الحرب فكلمة وطيس في الأصل تعني الكانون والتنور، فاستعملت مجازاً في غير ما وضعت له في أصل اللغة، وأصبحت تعني اشتداد الحرب ومثلها دارت وحى الحرب. فالوحى في أصل اللغة عبارة عن صخرتين لطجن القمح، وأصبحت من باب مجاز تعني اشتداد الحرب وهكذا الكثير من المفردات.

ب- التوليد : ويعني تأثر دلالة الكلمة بالتطور الحضاري، والمؤثرات الخارجية الأخرى فينتج عن ذلك تغير مدلولها وتحملها معنى جديداً كما في كلمة قطار إذ كانت تعني قافلة الإبل، كذلك البريد أما اليوم فللقطار مدلول آخر، وللبريد مدلول آخر استجد نتيجة التطور الحضاري، وأمثلة هذه الألفاظ كثيرة في العربية مثل كلمة : عقل كانت تطلق على رباط الناقة أما اليوم فتطلق على القدرة الفكرية ومثلها الثلاثة كانت تعني الدعاء، أما اليوم فتطلق على طقس تعبدي.

الاشتقاق الصغير، والاشتقاق الكبير، والاشتقاق الأكبر، والاشتقاق الكبار أو النحت يربط كلمتين بدلالة واحدة، أو توليد كلمة من كلمتين مثل: رجل من عبد شمس أي عبشمي أو عبقسي من عبد قيس ... وهكذا.

¹ - ينظر : محسن علي عطية، "اللغة العربية مستوياتها وتطبيقاتها"، ص 99 - 100.

ويعبر القدماء عن النحت عادة بقولهم عنه: "إنه استخراج كلمة واحدة من كلمتين أو أكثر، ذلك لأن اللغة العربية تشتمل في غالب الأحيان على كتل متماسكة الأجزاء في ظروف لغوية معينة، فكأنها بمثابة الأمثال والحكم، مثل: "لا حول ولا قوة إلا بالله"، "بسم الله الرحمن الرحيم"، "جعلني الله فداك".

2- المجاز :

ويعني المجاز لدى علماء البيان الانتقال بالكلمة من معناها الأصلي إلى معنى جديد، وتستخدم اللغات هذا الأسلوب في عملية النمو المصطلحي، فيلجأ واضعو المصطلحات إلى ألفاظ قديمة يطلقونها على مفاهيم جديدة بحيث يصبح للكلمة مدلول جديد بدلا من مدلولها المندر أو مدلول جديد إضافة إلى المدلول القديم وفي الحالة الأخيرة تدخل الكلمة في باب الإشتراك اللفظي. وهكذا نجد كلمات عربية قديمة ذطات مدلولات مندثرة تستخدم للتعبير عن مخترعات حديثة كالقنبلة والسيارة والساعة والقاطرة وغيرها، فالقاطرة مثلا كانت تعني الناقة التي تتقدم القافلة وفي الاستعمال الحديث أصبحت تدل على الآلة التي تجر عربات القطار على السكة الحديدية¹.

وعلى أحد المجمعين اللجوء لهذا القياس الجديد بأنه: أخذ بما ذهب إليه "ابن جني" "وأبي علي الفارسي" واستناد لمجموعة من الشواهد اللغوية القديمة لهذا النوع من الاشتقاق: ومن ذلك قولهم مذهب (من ذهب) مدنر (من دينار) مدرهم (من درهم)."

وعلى هذا المنوال القديم يجوز لنا أن نقول "منحس (من النحاس) مبلر أو متبلر (من البلور) مقصدر (من القصدير) مكهرب (من الكهرباء) مغنطس (من المغناطيس)"

¹ - ينظر : جاسم محمد عبد العبود، المرجع السابق، ص 99.

الاشتقاق من أسماء الأعيان خاصة بلغة العلوم ضرورة¹ فعملية الاشتقاق، تبرز حيث تدعو الحاجة إليها، ولا ترتيب في ظهورها للعيان، بل هي تأتي حسب الواقع الداعي لبروزها ورغبة منه في تسهيل مهمة وضع المصطلحات في كل علم حديث.

3- التعريب:

أما ما يتعلق "بالتعريب"، ففي التنمية الإنسانية العربية لعام 2003 كان التعريب هو القضية الثانية في محور الاهتمام عند الحديث على اللغة واستيعاب المعرفة، ويقصد "بالتعريب": النقل إلى اللغة العربية من اللغات الأجنبية، على عكس التعجيم الذي هو "النقل من اللغة العربية إلى اللغات الأجنبية"، وهما أمران يحتاجان إلى كثير من المهارات التي يلزم دراستها والتدريب عليها، وليس كل ناطق بلغة معينة يجيد الترجمة منها وإليها حتى ولو أجاد اللغة الأجنبية المستهدفة. إن التعريب ليس مجرد الإتيان بكلمة عربية لكلمة أجنبية. إنه يعني إعطاء اللغة العربية دورها الكامل في التعبير والتعامل داخل المجتمع بحيث تكون اللغة الرئيسية في الإنتاج الفكري والمادي في تسيير مختلف المؤسسات والمرافق الاجتماعية².

وبهذا المفهوم يصبح التعريب نوعاً من الترابط بين اللغة والفكر وشخصية الأمة.

فقد سمح الجمع بأن "تستعمل بعض الألفاظ الأعجمية عند ضرورة على طريقة العرب في تعريبهم".

وتم قبول أسماء مثل أوكسجين وهيدروجين وأنزيم وأيون وإلكترون³.

¹ - أحمد الاسكندري، في مجلة مجمع اللغة العربية، عدد1، 1935، ص232-234.

² - رشدي أحمد نعيمة ومحمود كامل الناقة، "اللغة العربية والتفاهم العالمي"، ص77-78.

³ - إبراهيم مذكور، مجمع اللغة في ثلاثين سنة، المصدر السابق، ص55.

كما أجاز المجمع مجيء بعض الأفعال من الأسماء المعربة فوافق على اشتقاق "بسترة" وهو مأخوذ من "باستور" صاحب الطريقة الخاصة في التعقيم، و"بلور" من البلور وهو معرب قديماً، "بلشف" من البلشفية، و"تلفن" من التلفون، و"فبرك" من الفابريكة، والمراد بالفعل صنع الشيء بالآلة (...) و"كهرب" من الكهرباء، وقد أقر المجمع تعريب الاسم¹.

وإضافة للقرارات السالفة قرر "المجمع" من المبادئ والأصول العامة لوضع المصطلحات والألفاظ هي²:

الأول: يفضل اللفظ العربي على المعرب القديم إلى إذا اشتهر المعرب.

الثاني: ينطلق بالاسم المعرب على الصورة التي نقطت بها العرب.

الثالث: تفضل الاصطلاحات العربية القديمة على الجديدة إلا إذا شاعت.

الرابع: تفضل الكلمة الواحدة على كلمتين فأكثر عند وضع اصطلاح جديد

إذا أمكن ذلك، وإذا لم يمكن ذلك تفضل الترجمة الحرفية.

هذا التعريب الذي رأيناه، هو الذي سيظل علينا من خلال المعاجم العربية التي

ظهرت في العالم العربي، ودعت إلى ذوق سليم في عالم النحت والتعريب كما أن ما أجازته

أهل اللغة، في العصرين "الجاهلي" و"صدر الإسلام" فتح باباً واسعاً للعصور المتأخرة عن

هاذين العصرين، بحيث كان يبرز التعريب كلما دعت الحاجة إليه، أو وقع العلماء في حيرة

العثور على كلمة عربية، تقابل كلمة "أعجمية" طارئة. وقد مهّد هذا العمل المتقدم إلى

تصنيف كتب عديدة، ظهرت بعد صدر الإسلام.

¹ - إبراهيم مذكور، مجمع اللغة في ثلاثين سنة، المصدر السابق، ص55.

² - مجلة مجمع اللغة العربية، عدد1، 1935، ص37.

تلك بعض الأصول التي حاول المجمع إتباعها في وضع المصطلحات والألفاظ الأجنبية التي كان ينبغي إيجاد مقابل عربي وتعدد الاختصاصات والمجالات المعرفية والتباطؤ في صوغ المصطلحات والتعامل معها، كل هذه العوامل حدت كثيرا من قيمة عملية الوضع هاته، وجعلتها عملية صعبة ومعقدة بعد أن تكاثرت المصطلحات، وتعددت داخل الحقل المعرفي الواحد بين ما هو جديد، وما هو قديم وبين ما هو معرب قديم ومعرب حديث. كما تراجع المجمع نفسه عن كثير من المصطلحات التي تم وضعها من قبل. وانعكس ذلك كله على تداول هذه المصطلحات فصار لكل قطر من الأقطار العربية في مصر والشام والعراق وبلاد المغرب أوضاعه اللغوية ومصطلحاته الخاصة.¹ ولم تتمكن الجامعات بعد من تنسيق جهودها لتوحيد المصطلحات كما لم يستطع مكتب تنسيق التعريب بالرباط -الذي أحدث لهذه الغاية- أن يقوم هذا الدور إلا جزئيا وما تزال الاقتراحات تتقدم في هذا الاتجاه.

ويطلق على التعريب بنوعية أحيانا اسم الاستعارة، وهي عملية عرفت لها اللغات عموما حينما يعمد الناطقون بلغة ما إلى استعارة ألفاظ من لغة أخرى عندما تدعو الحاجة إلى ذلك، وتطراً على الألفاظ المستعارة تغيرات صوتية وصرفية لتنسجم مع بنية اللغة المستعيرة وتندمج فيها، ويسهل الاشتقاق منها، ولهذا فقلما يوجد الدخيل الصرف مما حدا بغير المختصين بإطلاق لفظي الدخيل والمعرب على اللفظ المستعار واستخدام هذين اللفظين وكأنهما مترادفان.

3-1- الفرق بين المعرب والدخيل:

إن المعرب قد غير العرب صيغته في الغالب بالزيادة أو النقص أو بتغيير الحركات وأدخلوه في لغتهم.

¹ - رضا الشبيني "توحيد المصطلحات" مجلة مجمع اللغة العربية، عدد8، 1955، ص132.

وينشأ الدخيل من اختلاط العرب بغيرهم من الأجانب، وقد حدث ذلك في حقب متتابعة من تاريخ العرب، واتسع ميدان هذا الاختلاط أيام الحكم التركي الذي استمر نحو أربعة قرون، وشمل الشرق العربي، إلى أن تقلص ظله بعد الحرب العالمية الأولى¹.

وحدث هذا الألفاظ كذلك بعد الحروب الصليبية التي استمرت نحو قرنين من الزمان، حين ازداد النشاط التجاري بين الشرق والغرب، وفتحت أبوابه أمام دول أوروبا، وكانت إيطاليا أسبق الدول في هذا المجال بسبب الامتيازات التي حصلت عليها من حكام البلاد الإسلامية، وقد أدخلوا بسبب هذا الاتصال ألفاظا إيطالية في اللغة العربية، كان أكثرها خاصا بالمعاملات التجارية والحياة العامة والأدوات المنزلية².

ومن الذين كتبوا في الدخيل وغيره من الألفاظ "الأستاذ أنيس المقدسي" اللبناني عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، فقد قدم بحثا إلى المجمع عنوانه "الدخيل في لغتنا المحكية ودلالته"... وجمع ما تضمنته هذه الكتب من الألفاظ الدخيلة وأضاف إليها ما وقع له شخصا ورتبه على حروف المعجم ودون كل ذلك مشيرا إلى الأصل الذي جاءت منه كل كلمة.

¹ - ينظر: عبد الحميد حسن "الألفاظ اللغوية"، ص 69.

² - المصدر نفسه، ص 70.

3-2- المعرب في القرآن الكريم :

إشكالية الدخيل والمعرب في القرآن الكريم :

وثمة مشكلة خاصة عاجلها اللغويون العرب هي مسألة إذا ما كان القرآن أيضا ضم كلمات أعجمية الأصل، ويجب فقهاء العربية عن هذا السؤال بوجه عام رغم الظنون العقديّة التي نشأت عن الآية القرآنية قال تعالى : "إن جعلناه قرآنا عربيا" بل إن فقهاء اللغة قد يشيرون إلى أن المحدثين القدامى الذين سبقوهم في الاستشهاد بكثرة كبان عباس ينوهون إلى أن ثمة مجموعة من الألفاظ القرآنية دخيلة، ولذلك تضم أيضا المقدمات في الدراسات القرآنية فصولا خاصة عن هذه المشكلة...¹

لقد اختلف العلماء في وقوع المعرب والدخيل في القرآن الكريم فانقسموا بين موافق ومعارض يقول عبد الجليل مرتاض : "فإن اللغويين ومن اشتغل في حقلهم، وهم يدرسون اللغة العربية وما يتصل بها من تكلمات أجنبية لاحظوا أن هناك ظواهر لسانية تشترك في لغات متداخلة مع العربية، وكان هذا منذ العصور الإسلامية الوسطى، بل أبعد من ذلك، حيث أن القراء والنحاة واللغويين من جميع الطبقات المبكرة إلى جانب المفسرين قد تجادلوا جدالا حادا، كما وقفنا على البعض من هذا، حول طبيعة عدة ألفاظ وكلمات وردت في القرآن الكريم أهي أجنبية على العربية أم هي عربية أم هي ألفاظ دخيلة عربت وصيغت وفق القوانين السائدة في العربية"².

¹ - ينظر : د. سعيد حسن البحري، "الأساس في اللغة العربية"، ص 31.

² - د. عبد الجليل مرتاض، دراسة سنتاكسية للهجات العربية القديمة، رسالة دكتوراه في اللسانيات، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة تلمسان، الجزائر، 1994 م، ص 152.

وقد ارتوي بعد ذلك، إنشاء مجمع يعتني بعدد من الألفاظ الدخيلة. وما كادت تختمر تلك الرؤيا حتى تصدّى السيد "توفيق البكري" لتنفيذها، فنسب المعجم إليه. وبقي لنا من ذلك المعجم كلمات قليلة، نختار منها قولهم¹:

(مرحى) لكلمة (Bravo) -زالت من الاستعمال، وحل مكانهما (بخ بخ) و(مدرة) لكلمة أفوكاتو (Avocat) -زالت، وحل مكانهما (محامي).

و(المسرة) لكلمة تلفون (Téléphone) -زالت واستعمل اللفظ الأجنبي.

وعم (صباحا) لكلمة (Bonjour) زال استعمالها

وعم (مساء) لكلمة (Bonsoir) زال استعمالها

و(البهو) لكلمة (صالون) زال استعمالها

و(القفاز) لكلمة (جوانتي) زال استعمالها

و(النمرة) لكلمة (Numéro).

ومن الألفاظ التي بقيت من المجمع البكري ورددها الناس مع لفظها الأجنبي مثل:

(بهو) (Salon)

و(بطاقة) (Carte)

و(شرطي) (Police)

¹ - عبد المجيد الحر "المعجمات والمعاجم العربية" (نشأتها - أنواعها - نخبها - تطورها) دار الفكر العربي - بيروت ط الأولى 1994، ص 170-171.

ومن الألفاظ التي أهملت، وحلت مكانها ألفاظاً أعجمية، مثل: "الجديلة" التي حلت محلها "المودة"، و"الظنف" التي حلت محلها "البلكون"، و"الحداقة" التي حلت مكانها "البكالوريا".

وجاء "محمد حنفي ناصيف"، على رأس "نادي دار العلوم" الذي أنشئ في القاهرة سنة 1907 وأعمل جهده في وضع ألفاظ عربية، تحل محل الكلمات الدخيلة الوافدة إلى بلادنا. وبعد بحث طويل مستفاض، أخرج القرار التالي: يبحث في اللغة العربية عن اسم للمسميات الحديثة بأي طريق من الطرق الجائزة لغة. فإذا لم يتيسر ذلك بعد البحث الشديد يستعار اللفظ الأعجمي بعد صقله ووضع على مناهج اللغة العربية، ويستعمل في اللغة الفصحى، بعد أن يعتمد المعجم اللغوي الذي سيؤلف لهذا الغرض.¹

وكان المعجم، يحرص منذ نشأته - إلى الاتجاه نحو قضية القياس اللغوي. ورأى أن التنمية الحقيقية لألفاظ اللغة، إنما تكون عن طريق هذا القياس.²

وهناك أوضاع أثبتتها المعجم في مصطلحه اللغوي، وجعل لها تسميات خاصة، ومن

تلك التسميات، قولهم:

- البهو: صالون.

- وللردهة: الصالة أو الفسحة.

- وللإضاءة: الدوسية.

- وللطابق: الآجر الكبير.

¹ - ينظر: عبد المجيد الحر، المصدر السابق، ص 171.

² - إبراهيم أنيس: "طرق تنمية الألفاظ" محاضرات مطبوعة النهضة الحديثة، القاهرة 1966-1967، ص 26.

- وللشرفة: جمع شرف شرفات: وهي ما نجد وضرس على حافة سطح البناء، كما يشاهد على حيطان المساجد.

- وللمصعد: الأسنسير.

- وللعتبة: درجة الباب التي لم يطأها الداخل¹.

ومن هذا العمل المقدم وأمثاله نلجأ إلى بعض الكلمات، التي عربها وأقربها، "مجمع اللغة العربية بمصر"، والتي منها:

Appartement: الشقة -	Foyer: الموقد -
Sous-sol: السرداب -	Vestibule: الدهليز -
Salon: البهو -	Gratte ciel: الصرح -
Pension: المثوى -	Grande Brique: الطابق -
Salle: الردهة -	Poêle: المدفأة -
Chambre d'hôte: الثوى -	Tuyaux: أنابيب الماء -
Mortier: الملاط -	Etage: الطبقة -
Ascenseur: المصعد -	Seuil: العتبة -

ومن الكلمات التي عربها المجمع الأول بمصر سنة 1311 هـ - 1893 م، فحولها من وضع قديم إلى وضع جديد، كانت التالية:²

¹ - مجلة مجمع اللغة العربية، أكتوبر 1943، ج1، ص28.

² - مجلة مجمع اللغة العربية، المرجع السابق، ص28.

جديد	قديم
■ شرطي، جلواز، تـؤرور	■ بوليس
■ عم مساء	■ بونسوار
■ عم صباح	■ بونجور
■ مسرة	■ تلفون
■ مرحي	■ برافو كلمة استحسان
■ برحي	■ كلمة استقباح
■ مذرة	■ آفوكاتو محامي
■ حصب الطريق	■ فرشها بال كدام
■ مشجب	■ بورث مانتو
■ حذاقة	■ الباكالوريا (شهادة مدرسية)
■ بطاقة الزيارة	■ كارت دي فيزيت
■ نمره	■ نومرو
■ المسرب	■ كلوب
■ الجديلة	■ موضه
■ الوشاح	■ كوردو
■ القفاز	■ جوانتي (الكفوف)
■ البهو.	■ صالون

ونحن نعلم أن هذه الكلمات المعربة، تفاوتت بين القبول والرفض عند الناس، وأكثره

لم يستعمل البتة، وبقيت في مجامعها لا تتخطاها إلى الاستعمال الشائع.

وقد اشترك بالمجمع المصري، لغويون لبنانيون، أسهموا إسهاماً فعالاً في عملية التعريب، وكان لهم القسط الأوفى في باقي المجامع العربية¹ وقد وضع مجمع القاهرة "منذ نشأته ما يقرب من خمسين ألف مصطلح وهو ما يعادل وضع خمس كلمات في اليوم لمدة ثلاثين سنة"².
ومما لاشك فيه أن هذا العدد قد تضاعف اليوم مرات ومرات. والواقع أن مسألة تعدد مصطلح في الثقافة العربية ترجع لأسباب موضوعية منها "إن العربية تأخذ ولا تعطي واختلاف اللغات التي يترجم عنها العرب"³.

ورغم ذلك كله لا يمكن لأي أحد أن يتجاهل الدور الذي قام به المجمع وما أولاه المجمعيون من اهتمام للمصطلحات وضعاً وتعريباً. وقد هياً الله لمصر، في عصر نهضتها شخصية علمية مرموقة، "هو عبد الله نديم"* الذي يعتبر الداعية الأولى إلى إنشاء مجمع لغوي، يحفظ العربية الفصحى، من اللحن والتهجين. وقد دعا بطريق النشر إلى إنشاء المجمع، حيث ضمن صحيفته (التنكيث والتبكيث) دعوة المفكرين والباحثين إلى إنقاذ اللغة وتطويرها.

¹ - عبد المجيد الحر "المجمعات والمعاجم اللغوية" ص 177.

² - رشاد حمزاوي "العربية والحداثة"، منشورات المعهد القومي للتربية، تونس، 1982، ص 101.

³ - المرجع نفسه، ص 99.

* - هو عبد الله النديم (1261-1314هـ / 1845-1896م) بن مصباح بن إبراهيم الإدريسي الحسني، صحافي خطيب، من أدياء مصر وشعراؤها وزجاليتها، يتصل نسبه بالحسن السبط، ولد في الإسكندرية، وشغل بعض الوظائف الصغيرة. وأنشأ فيها الجمعية الخيرية الإسلامية وكتب مقالات كثيرة في جريدتي "المحرسة" و"العصر الجديد"، ثم أصدر جريدة "التنكيث والتبكيث" مدة، واستعاض عنها بجريدة سماها "الطائف" أعلن بما جماده الوطني، وحدثت في أيامه الثورة العربية فكان من كبار خطاباتها، فطلبته حكومة مصر، فاستر عشر سنين، ثم قبض عليه سنة (1310هـ - 1892م) ونفاه الإنجليز ثانية، فخرج إلى يافا، ثم إلى الأستانة، فاستخدم في ديوان المعارف، ثم مفتشاً للمطبوعات في الباب العالي: واستمر إلى أن توفي فيها: وترك كتب عديدة منها "الساق على الساق في مكابدة المشاق" "النملة في الرحلة" و"المتراذفات"....

4- المولد :

المولد في اللغة اسم مفعول ولد يولد الشيء من الشيء إذا أنشأه منه وولد الكلام أو الحديث إذا استحدثه. وفي العرف يطلق المولد على المستحدث من كل شيء ولاسيما على الألفاظ التي أحدثها المولودون، والمولد ليس فصيحاً كالمصنوع ولا يحتاج به في اللغة لحدوثه وخروجه عم العربي الأصيل.

ومهما قيل في المولد فإن ظهوره في العربية كان من عوامل استمرار تطورها الطبيعي، ذلك أن لكل زمان مستحدثاته وابتكاراته حتى اللغوية منها، ولا يمكن للإنسان الذي عاش في أيام الإسلام المجيدة أن يعبر بما كان يعبر به الجاهلي بالمطبوع على الحياة البدوية، فكان لابد من إحداث ألفاظ جديدة لتأدية معاني العصر الجديدة¹.

ومن أمثلة المولد الشائعة الحسبان (السهم الصغار)، والنحرير (الحاذق الماهر)، والقاقزة (القازوزة)، والمجانس (المشاكل)، وأخ (كلمة تقال عند التأوه)، والكابوس (ما يزعج النائم)، والطرش (أهون الصم)، والطرش (أهون الصم)، والفطرة (صدقة الفطر)، والتشويش (التهويش)، وستي (سيدتي)، والجبرية (خلاف القدرية)، والحوائج (جمع حاجة)، والطفيلي (المتطفل)، والزيتون (الغبيو الحريف)، وتبغدد (اعتزى إلى بغداد)، والشاشية (القلنسوة)، وبس (مكان حسب)، وخمن (قال بالحدس)، والفشار (الهذيان)، والحذقة (الحذق) والتفرج².

وقد ذهب أبو العباس ثعلب في أماليه إلى أن كل لفظ كان عربي الأصل، ثم غيره العامة بهمز، أو تركه، أو تسكين أو تحريك أو نحو ذلك مولده، فاتسع بذلك مفهوم المولد وعد اللغويين كل ما لحت فيه العامة وغيرت هيئته مولداً.

¹ - زبير الدراقي، محاضرات في فقه اللغة، ص 130.

² - ينظر : المرجع نفسه، ص 131.

5- الترجمة :

تعد الترجمة أحد أهم أركان وسائط التواصل الحضاري¹، وعلى المتلقي اختيار ما يلائمه من معروض الفكر التواصلية من الحضارات والأمم، واللغات المختلفة على النحو الذي نهجه مفكرون القدامى في تأسيس الحضارة الإسلامية التي خضعت لعامل الاختيار المدروس، فمنذ فجر الإسلام - مثلا - وضع المسلمون هذا المنهاج في التواصل الحضاري، حيث أخذوا من تجارب وقواعد وتراتب الحضارات الأخرى (المشترك الإنسانية العام) وأضافوه إلى (الخصوصيات الإسلامية) التي يميز بها منهاج الرسالة الإسلامية الخاتمة، فاختاروا (التواصل الحضاري) من موقع الراشد المستقل، رافضين التبعية والتشبه والتقليد وكذلك العزلة والانغلاق. صنعوا عندما أخذوا عن اليونان (تدوين الدواوين) ولم يأخذوا (القانون اليوناني) استعناء بالشرعية الإسلامية المتميزة، وعندما أخذوا عن الهند (الفلك والحساب) لم يأخذوا فلسفة الهند، استغناء ب (التوحيد) فلسفة الإسلام².

إن حسن الاختيار يكون بتنمية الفكر العام وإنضاجه وتطوير الحس النقدي عند المواطنين بعيدا عن أساليب الوصاية والقمع والإجبار.

وعندئذ نستطيع حصر المشكلة التي يمكن أن تواجهنا في عملية التواصل الحضاري في طريقة هذا التواصل وليس في مبدئه، وبالتالي فإن الجهود الأساسية يجب أن تنصب على اختيار الأسلوب الأنسب لتحقيق هذا التواصل دون أن نفرضه نهائيا³، لأن الترجمة وحدها

¹ - حدد الدارسون آليات التواصل الحضاري بين الجماعات البشرية بأربعة وسائط، وهي: (التجارة، والحرب، والحمل، والتعرض والتعريض) ينظر، مصطفى سويف التواصل الحضاري - حقيقة تاريخية - مجلة الهلال، ديسمبر 1996، ص 22.

² - ينظر: د. ياسمين فيدوح، "إشكالية الترجمة في الأدب المقارن"، دار صفات لدراسات والنشر، سويرة، دمشق، 209م، ص 118.

³ - ينظر، رفعت محمد: الحضارة الإنسانية بين التواصل والصراع، مجلة النبأ، عدد 62، 2001، ص 61.

هي التي تمدنا برابط التواصل الحضاري وتميز ثقافة هذه الأمة عن تلك وتطور هذه المعرفة عن الأخرى بفضل شيوع الترجمة التواصلية.

وإذا كانت التكنولوجيا - خاصة - في ميدان المعرفة قد قربت عوامل البعد في جميع مراميه المادية والمعنوية والمكانية والزمانية فإنه قمين بنا أن نشتمر إجراءات فعل الترجمة، واتخاذ اللازم الموضوعي والعلمي في سبيل تقريب الصلة بمعرفة الآخر، وتفعيل التجانس بين ثقافتنا وثقافة الأمم الأخرى¹.

ولا أحد ينكر أن سبيل تحقيق القوة وتمكين الرقي نابعان من استيعاب ثقافات الآخر، ولعل خير مثال لتوضيح مكانة ربط اللتوصل الثقافي بين الأمم والثقافات هو ما قامت به الثقافة العربية الإسلامية التي قبلت التوافق مع الآخر في مهد نشأتها، من خلال ترجمة وشروح كتب اليونان، بخاصة الدور الذي قام به قدوماؤنا من أمثال الفارابي وابن رشد بنقل الفكر الأرسطي، واليوناني بوجه عام وتوطينه في الثقافة العربية الإسلامية بما لا يدع مجالاً للشك في تأصيل هذا النقل. ولعل الدور نفسه قام به الفرنسيون مؤخرًا في نقلهم للفكر الألماني، وغيره مثل نقل وتأصيل أعمال نيتشه وهيغل وماركس وفرويد وهايدجر وغيرهم كثير².

ولعل تاريخنا العربي الإسلامي كفيل بمد الجسور بين الثقافات بدءًا من الفتوحات الإسلامية التي عززت الظروف الحضارية الجديدة بربط الصلة من ثقافة الآخرين مثل الثقافة الفارسية والرومانية والهندي وغيرها كل ذلك بفضل دور الترجمة التي كانت المحك الأساس لتقريب الصلة بين الثقافة الفاتحة والثقافة المفتوحة وقد انعكس ذلك في تأسيس "بيت

¹ - ينظر : د. ياسمين فيدوح، "إشكالية الترجمة في الأدب المقارن"، ص 118.

² - المرجع نفسه، ص 118.

الحكمة" للخليفة ابن جعفر المنصور التي أصبحت مقراً للترجمة في عقد الخليفة المأمون أضيف إلى ذلك ما وقع من تحرك لافت في عصر النهضة، وفي ظل وقع الصدمة مع الغرب فما كان من التفاعل بين الثقافتين العربية الغربية إلا أن وطدتا علاقة قوية رغبة في تقارب التكافؤ بين الحدود الثقافية وقد كانت نواته الأولى في ظل العهد العثماني، ثم تلتها تجربة الترجمة في بداية القرن العشرين حين بدأت إرهاصاتها الأولى بلجنة التأليف والترجمة والنشر التي تأسست بالقاهرة عام 1914 ومحاولة تشجيع الترجمة من أجل ربط حركة التواصل الثقافي عبر آليات الحوار المتبادل¹.

فبواسطة الترجمة يختار العمل الأدبي حدوده اللغوية إلى لغات وثقافات أخرى وإلى تلقين جدد ولذلك يمكن القول : إن المترجمين والنقاد هم صناع استقبال الآداب الأجنبية².

وبهذا تعد الترجمة من الوسائل الأساسية للرقى اللغوي في أية لغة، ومن هذا المنطلق أرى أنه من الضروري ان يكون موضوع اهتمام بالبحث العلمي و أن تكون موجودة في كل مؤسسة علمية تمارس كما يمارس التكوين والبحث في الوقت نفسه، أولاً لأنه باب من أبواب التفتح على الآخر أضيف إلى هذا أن إتقان لغة زائدة عن اللغة الأم هي فرض عين على كل مشغل بالبحث ، ثم لابد من التوسع في إقامة مراكز لدراسة وممارسة فن الترجمة في كل بلد عربي بشرط أن يكون التنسيق بينها ، وتشجيع الأبحاث في مجال الترجمة³.

¹ - ينظر : د. ياسمين فيدوح، المرجع السابق، ص 119.

² - أنور الجندي، الفصحى، لغة القرآن، ص 53.

³ - ينظر : عبد الرحمان الحاج صالح، "بحوث ودراسات في علم اللغة، ص 371 .

5-1- مفهوم الترجمة الفنية :

إن فن الترجمة لا يعد عملية نقل حرفي بين لغة على أخرى والترجمة ليست صناعة ميكانيكية تقوم بإحلال كلمة أجنبية مقابل أخرى مغايرة، إنها عادة صناعة المادة الأدبية وإدخال محسنات إضافية عليها لتكون صالحة للتداول في مجتمع آخر وهي من ثم صياغة للنتاج الأدبي أو الفني بأسلوب جديد إنها تأليف جديد لمادة مؤلفة أصلا في مجتمع مختلف من حيث الذوق والإحساس والشعور والمفردة والمعلومة والتاريخ والحضارة.¹

الترجمة عمل فني يتطلب الدقة والحرفية العالية لا يقل أهمية عن التأليف ذاته فهو إعادة صياغة للأفكار والروى والأحاسيس بطريقة منهجية ومهنية صارمة تتحاشى المساس بتقنية النص الأصلي ومهنيته.

وكما لكل الأعمال الإبداعية أوجهها في التخصص فإن الترجمة الفنية يجب ان تظهر ذلك لتكون دقيقة في نقل المصطلحات العلمية خصوصا بأمانة علمية الصياغة العلمية للنص مختلفة تماما عن الصياغة الأدبية ولا يمكنها نقل الفكرة العلمية، التخصصية بصياغة أدبية لأن المحتوى العلمي محدد، ثابت لا يقبل التأويل، معبر مدلول علمي بحث يفقد معناه ومحتواه عند

¹ - صاحب الربيعي، " تقنيات وآليات الإبداع الأدبي " صفحات للدراسات والنشر ، سوريا، دمشق، الإصدار الأول، 2011، ص 67 .

تغيير صياغته لصياغة أدبية، وعلى هذا الأساس ، فاللغة في الترجمة يجب أن تكون سليمة ومعبرة على الدلالة العلمية أو الأدبية على نحو دقيق للحفاظ على جوهر الفكرة.¹

يقول افلاطون "لا تطلب سرعة العمل وإنما أطلب جودته، فالناس لا يسألون عن مدة إنجازهم بل يسألون عن جودته".

5-2- أهمية توحيد المصطلح :

إن اللغة العربية لديها القدرة على استيعاب المفاهيم المستحدثة والتعبير عنها ، وذلك لأسباب لغوية وحضارية فحين توافرت للشعب العربي أسباب بالنهوض في بداية النهضة ، لم تعجز اللغة العربية عن نقل المعارف من اللغات الأخرى ، بل وسعت العلوم والمعارف التي ذاعت إن ذاك ، ولم تقصر عن التعبير عن شيء منها .

وقد ارتضى المتخصصون في علم المصطلح تعريفا له يتميز بالدقة ، فعرفوه بأنه "الرمز اللغوي المحدد لمفهوم واحد".

فإن التقدم الكبير والتطور السريع في المعرفة البشرية يعتمد بالضرورة على نقل المعلومات وتبادلها وتخزينها ، ويستخدم المصطلحات أساسا يعتمد عليه في تنظيم الآراء

¹ - ينظر : صاحب الربيعي، المرجع السابق، ص 68 .

والأفكار العلمية، إلا أن هذا التطور العلمي السريع أدى إلى صعوبة وضع مصطلحات قد

تختلف من منطقة عربية إلى أخرى على الرغم من ان الدرس الجامعي يقدم بلغة واحدة.¹

والحاجة إلى المصطلح العلمي واكب التطور العلمي الحضاري للأمة في جميع مناحي

الحياة بعد الإسلام ، وبدأ التصنيف والتأليف في العلوم الإسلامية الدينية واللغوية ففي النحو

مثلا استعان النحاة بالتطور الدلالي والتخصيص منه غالبا كالفاعل والمبتدأ والخبر والنعته

والحال والتمييز والرفع والنصب والجر والجزم إلى آخر قائمة المصطلحات النحوية التي كانت

دالتها عامة ثم خصصت بمعنى نحوي يستفاد منها عند ذكرها في كتب النحو وبين متعلميه ،

طبعاً دون ان تفرغ من معانيه الأصلية .²

وفضلاً عن هذا، ففي العصر الحديث كثرت الإختراعات والمصنوعات في كل المجالات

فلا بد من استحداث الاصطلاحات الدالة عليها ، فيستعان بالتطور الدلالي للألفاظ فنجد

ألفاظاً: كالهاتف والمذياع والسيارة والطيارة والطوافة والدراجة والمكيف الهوائي وعجلة السيارة

أو دولابها ومقودها وكوابحها إلى آخر ما هنالك من مصطلحات خصصت لندل على

المقصود دون غموض .³

¹ - فيليز Fel ber standardisation of termilogie ، 1985 ، ص 22

² - عبد الكريم مجاهد، " علم اللسان العربي " (فقه اللغة العربي) ، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن ، 2009 ، ص 235.

³ - ينظر : المرجع نفسه ، ص 235 .

5-3- أشكال التطور الدلالي :

لقد حاول علماء اللغة حصر اشكال التطور الدلالي للألفاظ بمايلي :

1- تخصيص المعنى أو تضييقه **Warwowing of meaming**

وأصل التخصص في اللغة الإنفراد بالشيء أو الأفراد له فهو من " خصه بالشيء واختص أي أفرده به دون غيره وتخصص له إذا انفرد، فإذا قصر اللفظ العام أو اقتصر على بعض أفراده أو أطلق على بعض ما كان يطلق عليه من قبل يسمى ذلك تخصيصاً لفظ الحج كان أصله " قصدك لشيء وتجردك له ثم خص بقصد البيت الحرام¹ ولأداء الشعائر أو المناسبات المعروفة وهذا في التخصص الشرعي . ومن التخصص اللغوي ما حدث للفظ السبت الذي كان في أصل وضعه الدهر ثم خص في الإستعمال لأحد أيام الأسبوع .

وتطبيق المعنى أي دائرة المعنى أو شقته حتى يغطي جزءاً أو قسماً من الأفكار أو المعاني التي كان يطلق عليها سابقاً فكلمة رث كانت تطلق على كل شيء خسيس، وأصبحت تستعمل فقط فيما يلبس أو يفرش من الثياب.

¹ السيوطي " المزهري " ، الجزء الأول ، ص 427 .

ومثلها كلمة poison تعني بالإنجليزية والفرنسية السم ولكنها تعني في الأصل الجرعة

من أي سائل تم تطور استعمالها ، وتحدد مدلولها بالجرعة السامة .¹

2- توسيع المعنى Widening of meaning

وهو مظهر دلالي يقوم على توسع اللفظ ومفهومه ونقله من المعنى الخاص الدال عليه

إلى معنى أعمّ وأكمل.²

وهو ما يسمى بالتعميم الوثيق الصلة بالأصل اللغوي المأخوذ من عمهم الأمر بمعنى

شملهم³ ، كذلك حصل تعميم للفظ الوغي الذي كان يطلق على إختلاط الأصوات في

الحرب ثم كثر فصارت الحرب وغي أي جرى تعميمه على جميع عمليات القتال وأبعاده وما

يجري في ساحة الحرب .⁴

والتعميم أقل شيوعاً من التخصص ، ولا تختص به العربية وحدها بل تشاركها فيه

اللغات الأخرى: فكلمة Arrive الإنجليزية و arriver الفرنسية أصلها اللاتيني

¹ عبد الكريم خليفة، " علم اللسان العربي"، ص 236 .

² محمد المبارك " فقه اللغة وخصائص العربية"، ص 218 .

³ ينظر : ابن منظور، اللسان العرب مادة عمم.

⁴ ينظر : عبد الكريم خليفة، " علم اللسان العربي"، ص 237 .

Adripare الذي يعني الوصول على الميناء أو الشاطئ وتطور المعنى وعمم حتى صار إستعمال الكلمتين يعني الوصول مطلقا .¹

4-5- تبسيط قواعد اللغة :

شغل تبسيط القواعد وتيسير تعلمها لغير المتخصصين فيها ، بالكثير من ارباب اللغة قديما وحديثا ، فوضعوا مؤلفات تجل عن الحصر يقدمون فيها عصارة القواعد النحوية التي تفيد غير المتخصص من زاوية الإستخدام العملي، منها على سبيل المثال: " الجمل في النحو للزجاجي " " والواضح " للزبيدي " واللمع " لابن جني .

" والتفاحة في النحو " لأبي جعفر النحاس إلخ قديما ، " والنحو الواضح " لعلي الجارم ، " والنحو المصنفى " لمحمد عبد " والنحو الوظيفي " لعبد العليم إبراهيم ... إلخ حديثا، وكل هؤلاء العلماء من أهل اللغة المشتغلين بها².

وانطلاقا من هذا التوجه، غير أن حرص بعض القانون على أهمية تجنب اللحن في كتابة العمل القانوني، وفي الأحكام القضائية على وجه الخصوص ، وإحساسهم بخطر استئراء الأخطاء اللغوية في بناء هذه الأحكام ، قد حفزهم إلى الخوض في مضمار التأليف

¹ ينظر : عبد الكريم خليفة، المرجع السابق، ص 237 .

² سعيد أحمد بيومي، " أم اللغات " ، دراسة في خصائص اللغة العربية والنهوض بها ، ط 1 ، 1423هـ، 2002، ص 95.

اللغوي، وأستنهض الهمة إلى تبسيط قواعد اللغة العربية بوضع " موجز لقواعد النحو العربي" من خلال " عرض مبسط واف مع دراسة ميسرة لكافة القواعد بأمثلة واضحة معربة"¹

ولكن طرق باب اللغة من جانب غير المختصين فيها، مهما حسنت مقاصدهم ودعت إليه غيرتهم عليها، إنما يعكس مظهرًا من مظاهر ازمتها الراهنة، يتجسد من ناحية في إنشغال كثير من أهلها عنها بقضايا جدلية في الدرس اللغوي لا ظائل اليوم للمستخدم العادي غير المتخصص من ورائها، ومن ناحية أخرى في عدم اهتمام بعض هؤلاء اللغويين بالوضوح والتسيير في طريقة عرض قواعد اللغة و آدابها، فاتسمت بعض الكتب التي يضعها هؤلاء بصعوبة مما أدى إلى نفور المستخدم العادي منها والتجائه إلى الكتب الأخرى الأسهل والأوضح وإن كان ذلك على حساب مادتها العلمية وكان من نتيجة ذلك أن أصبحت اللغة كلاً مباحاً يدلى كل من أراد فيها بدلوه!²

5-6- محمود نيمور وتيسير العربية :

في كتابة القيم " مشكلات اللغة العربية " يدعو محمود نيمور إلى خدمة اللغة العربي والنهوض بها ونشرها ولن يكون ذلك من وجهة نظره إلا بأمور أربعة :

¹ - سعيد أحمد بيومي، المرجع السابق، ص 95 .

² - المرجع نفسه، ص 95.

1. تزويد اللغة

2. تبسيط اللغة

3. تسيير النحو

4. تعميم الضبط

ولتزويد اللغة : يطرح تيمور وسائل متعددة في هيئة أسئلة¹ :

- هل نلجأ إلى التعريب : فأوتومبيل نجعله " ثمبيل " والترامواي نجعله " ترام " والسينما توغراف تكون " السيمما " ؟.

- أم نؤثر اللفظ العربي إما بالإشفاق من المواد اللغوية العربية، وإما بإحياء الألفاظ التي نلمح الملابس بينها وبين المعاني الجديدة كالسيارة والأوتومبيل، والقطار والبابور؟.

- ويعرض تيمور الخلاف بين العلماء في قبول المولد الشائع على السنة الناس مثل: البلاص والدوار، والحلة والطرحة.

ولا يرجح تيمور إتجاهها من هذه الإتجاهات ، بل يرى أن الوجه المفضل " أن نتوسط في الأمر وأن يكون موقفنا في مسألة المعرب والمولد موقف مرونة وموازنة، وتقدير لملاسات كل لفظ ومدى الحاجة إليه، فلنشقق ولنستضف من العامية، ولنستحي القديم من الألفاظ، ولنعرب الأجنبي متوخين في كل ذلك الحكمة، وحرى بنا أن ندع ذلك للهيئة اللغوية المشرفة

¹ - محمود تيمور، " مشكلات اللغة العربية " منشورات المكتبة العصرية، بيروت، د.ت، ص 11 .

على ان تراعي سهولة الألفاظ ، وموسيقية الحروف ، وخفة الصيغ على السمع" ¹ كما يجب عرض الالفاظ الجديدة عرضا كافيا لإشاعتها .

ويدعو تيمور أيضا على تبسيط اللغة بما يأتي ² :

1. الإقتصار في الالفاظ الكتابية على المألوف المأنوس بعيدا عن المهجور والوحشي .

2. تحديد معاني الألفاظ تحديدا منطقيا، فلا نسرف في إصطناع المترادف الذي يجعل

الألفاظ غير مفصلة على قدود المعاني.

ويرفض الكاتب الكبير محمود تيمور الدعوة على التبسيط اللغوي بإنشاء لغة مختزلة

ذات الفاظ محدودة ، ولا تتجاوز بضع مئات ، مع تأديتها لجميع المعاني وذلك

محاكاة للغة الإنجليزية المسمات (البيسك) لأن مثل هذه اللغة لا يمكن ان يكتب لها

النجاح وذلك لأسباب الآتية ³ :

1. أن المتعلم لا يستطيع أن يستعمل سوى ألفاظها ولا ان يفهم غيرها ، فإذا قرأ لا بد أن

يقرأ المكتوب بهذه اللغة وحدها وبذلك لا تكون له صلة باللغة الأصلية ، ولا بنا

تنتجه عامة أدبائها وعلمائها .

¹ - محمود تيمور، المرجع السابق ، ص 11 .

² - المرجع نفسه، ص 13.

³ - نفسه، ص 13.

2. الألفاظ لقلتها تؤدي معاني كثيرة، فيتذبذب اللفظ بين اشتات المعاني، وهذا ما

يهاضه مصلحو اللغات في الأمم .

3. وهذه اللغة لا تصلح للأدب والشعر، لأنهما يتطلبان موسيقية لفظية ، ويقتضيان

إيثار تعبير على تعبير .

4. وهي لا تصلح كذلك لبعض العلوم والفنون التي تستلزم دقة في البيان، لا تيسر مع

قلة الألفاظ وضغطها.

ويدعو تيمور إلى تسيير النحو " بتصفية القواعد الكثيرة وغربلتها ، فما كان منها

جوهريا أبقيناه، وحذف ما لا يلائم التطور العصري للغة "

وفي رحاب هذه الأهمية، يرى نيمور ضبط الكلمات بالشكل، ويرى ضرورة التفكير

في طريقة اسهل لضبط الكلمات ، وحتى تتمكن من ذلك "لابد أن نبدأ باستعمال الشكل

في حالته الراهنة ، فنعممه في جميع الكتب التي تدارسها دور التعليم في المكاتب الصغيرة ،

إلى المعاهد العالية ، لا فرق في ذلك بين كتاب جغرافي أو رياضي أو نحوي، وحين يبدأ

التلميذ حياته العلمية على هذا النحو، ويمضي في ذلك اثناء تنقله في درجات التعليم لا

يشب إلا قارئاً مطبوعاً على الصحة والصواب ، فتصبح هذه الخطوة أولى خطوات تعميم

الشكل ، وضبط اللغة وتقريب نشرها بين اهليها ، ولا سيما إذا تبع ذلك التوفيق في ابتكار

علامات يسهل على ايدي العمال استخدامها في جميع الحروف ، كما يسهل على أقلام الكتاب استخدامها فيما تجري به الأقلام ¹.

ويتضح مما سبق ذكره أن دعوة تيمور هذه من قبيل تحصيل الحاصل، فهو يدعو على الإلتزام الكامل بضبط الكلمات من أولى المراحل التعليمية إلى نهايتها .

كما هو معلوم فإن مشكل توفر الكتاب العلمي يرتبط بصفة عامة بإسترجاع اللغة العربية لمكانتها الاصلية، وبالفعل فإن التعميم لإستعمال اللغة العربية يقتضي التعريب الشامل للتعليم وعموما لكل تكوين أي كان ثم إن هذا التكوين باللغة العربية لا بد ان يعتمد على كتب ومراجع محررة بنفس اللغة .

وانطلاقا من هذا التوجه، الواقع أن هذا النوع من المراجع قليل جدا في الوقت الحاضر ، بل غير متوفر في الكثير من الميادين العلمية الدقيقة أو الطلائعية .

وماهو موجود وما يظهر بين الفينة والأخرى لا يمكن أن يفي بجميع الحاجات ولا تتراءى فيه جميع ما يجد في خارج الوطن العربي من النظريات والتطبيقات في ميدان العلوم والتكنولوجيا.²

¹ - محمود تيمور، المرجع السابق ، ص20.

² د. عبد الرحمن الحاج صالح " بحوث ودراسات في اللسانيات العربية" الجزء الأول ، ص372 .

ولا يضبط هذه البنوك ويسهر على إثرائها والقيام بتسييرها إلا هؤلاء المترجمون المتخصصون في علم الترجمة والمصطلحات كالذين نرغب في إيجادهم وإعدادهم في بلادنا. هذا ولا نتصور ان يتم تعميم استعمال اللغة العربية مع تحقيق الرقي العلمي والتقني إلا بتعريب شامل ومبرمج للآلاف من المراجع والكتب والدراسات ، أي بتعريب للوثائق العلمية العالمية بكيفية دائمة ومنتظمة أي بالترجمة المبرمجة المخططة لأن معرفة اللغات الأجنبية وإن كان ضروريا فإنه لا يغني ولا يغني عن النشر المستفيض لهذه المراجع باللغة العربية أو هي الأساس لكل تكوين علمي جديد مفيد.¹

وبناء على ما آومأنا إليه سالفاً، يمكن لنا أن نقول أو بالأحرى نطرح السؤال

قائلين :

ماذا نفعل نحن الأحفاد حيال التعريب ؟

أول وقبل كل شيء نذكر بإيجاز شديد بعض الميزات وهي كالتالي² :

1. نتوخى الترجمة الدقيقة على أن نتمسك بالدقة والحيطه والدراسة ، فنتخل الالفاظ،

فنتخير الأنسب مكان الأعجمي المطروح للنقل .

¹ ينظر : د. عبد الرحمن الحاج صالح، المرجع السابق، ص 373 .

² - محمد عبد الغني المصري ومحمد محمد الباكير البرازي، " اللغة العربية" ، ثقافة عامة، وفق منهاج وزارة التعليم العالي لكليات المجتمع ، دار المستقبل للنشر، عمان، الأردن، 1988، ص 105، 106.

2. إذ ما وجدنا أكثر لفظ يناسب ذاك الأعجمي نتناول الفصيح البسيط السهل

المتناول، والمألوف السماع.

3. نحاول جاهدين إنزال اللفظ المعرب في سياق أوزان العربية المعروفة إذا ما انحأ علينا

الضرورة بذلك.

4. موقف المحدثين من التعريب :

- هناك مصطلحات محدودة، أو محددة الاستعمال لا تهم إلا طبقة معينة من

الاختصاصيين، وهنا يجوز استعمال الكلم الأجنبية مبقيين على هيئتنا الأصلية .

- وهناك مصطلحات ترتبط وشائجها بالأدب على وجه العموم وبالشعر على وجه

الخصوص ، وعلينا ان نكون على حذر فلا ننتقي إلا الكلمات الأثيلة الاصلية ما

إستطعنا إلى ذلك سبيلا، وإن ما اضطررنا إلى الكلمة الأجنبية فعلينا تقريبها وإلحاقها

بالعربية إلحاقا كاملا وذلك بصبها في قالب عربي رصين موزون بعين العرب على

تلفظها.

- وقد يتأثر التعريب بالجو الثقافى العام الذي يختلف ما بين قطر عربي وآخر ضيقا

واتساعا وهنا علينا جمع المعاجم في هاتك الأقطار ومحاولة توحيدها تجنبا للعتار

والتعددية .¹

¹ محمد عبد الغنى المصري ومحمد محمد الباكير البرازى، المرجع السابق، ص 106 .

ومما لا شك فيه هو ان هذه الترجمة لم تنح منحى سابقتها من حيث النوعية المتخصصة بل راحت تترجم كل ما دب وهب بما في ذلك الفنون الأدبية والأشعار في الوقت الذي كنا ومازلنا أحوج ما نكون إلى ترجمة كتب علمية وتكنولوجية، فضاعت جهود كبيرة وأموال طائلة فيها لا ظائل وراءه إذا ما اخدنا عامل الأولوية والتنمية السريعة بعين الاعتبار.¹

5- المعاجم العربية :

مرّ المعجم العربي بمراحل كثيرة عبر القرون الماضية، وكان معجم (العين) "للخليل بن أحمد الفراهيدي" 175هـ أول معجم عربي حيث يعرف فيه معنى لفظة معجم "في مادة [عجم]. العجم ضدّ العرب. ورجل أعجمي: ليس بعربي... وامرأة عجماء بيّنة العجمة. والعجماء كلّ دابة أو بهيمة... والعجماء كلّ صلاة لا يقرأ فيها... والأعجم كلّ كلام ليس بلغة عربية... والمعجم حروف الهجاء المقطعة، لأنها أعجمية. وتعجم الكتاب: تنقيطه كي تستقيم عجمته وتصحّ"²؛ ثم توالى وضع المعاجم، وتبارى العلماء في تأليفها.

5-1- تعريف المعجم :

المعجم أو القاموس "كتاب يضم أكبر عدد من مفردات اللغة مقرونة بشرحها وتفسير معانيها، على أن تكون المواد ترتيباً خاصاً، إما على حروف الهجاء أو الموضوع والمعجم

¹ عبد الجليل مرتاض، "العربية بين الطبع والتطبيع"، ص 165.

² - ديزيره سقال "نشأة المعاجم العربية وتطورها"، دار الفكر العربي-بيروت ط1 1997 ص15-16

الكامل هو الذي يضم كل كلمة في اللغة مصحوبة بشرح معناها واشتقاقها وطريقة نقطتها وشواهد تبين مواضع استعمالها"¹.

5-2- تسميته :

جاء في لسان العرب (مادة عجم) "العجم والعجم خلاف العرب والعرب... والعجم جمع الأعجم الذي لا يفصح ولا يبين كلامه وإن كان عربي النسب، والأنثى عجماء... أما العجني فهو الذي من جنس العجم أفصح أو لم يفصح والأعجم الطي في لسانه عجمة... وأعجمت الكتاب : ذهبت به إلى العجمة... وأعجمت : أبجمت... وقفل معجم وأمر معجم إذا اعتاص...

والأعجم الأخرس... والعجماء : البهيمة، سميت كذلك لأنها لا تتكلم... وكل من لا يقدر على الكلام فهم أعجم ومستعجم، واستعجم الرجل : سكت واستعجمت عليه قراءته : انقطعت فلم يقدر على القراءة من نعاس..."²، ويقول ابن جني : "أعلم أن (ع ج م) إنما وقعت في كلام العرب للإبهام والاختفاء وضد البيان والافصاح"³.

وهكذا نرى أن المعاني التي أوردها لسان العرب لا تساير المقصود من المعجم، إذ تدور حول "الإبهام" و "الإخفاء" كما يذهب ابن جني، بينما يستعمل الناس المعجم لإزالة غموض الكلمات والعبارات وتبيان مدلولاتها، ومعرفة طريقة كتابتها والنطق بها فأين الرابط المعنوي إذا بين معنى المعجم الذي هو أداة لإزالة غموض الكلمات وإبهامها، وبين مادة

¹ - أحمد عبد الغفور عطار، "مقدمة الصحاح"، ط 2، دار العلم للملايين، بيروت، 1979، ص 38.

² - ابن منظور : "لسان العرب"، مادة عجم، ج 12، ص 385.

³ - ابن جني، "سر صناعة الأعراب"، تحقيق مصطفى السقا وغيره، ط 1، القاهرة، البابي، سنة 1954، ص 40.

"عجم" التي وقعت في كلام العرب للإبهام والإخفاء كما يقول ابن جني أو التي هي ضد الإفصاح والإعراب كما يؤكد "لسان العرب" وغيره من المعاجم العربية؟.

يظهر أن وزن "أفعل" يأتي في غالب أمره للإثبات والإيجاب فتقول: "أكرمت معلمي" وتعني أنك أوجبت له الإكرام وتقول "أحببت أُمِّي" وتعني أنك أوجبت لها المحبة. لكن هذا الوزن قد يراد به أحيانا السلب، أي أن همزة "أفعل" قد تقلب معنى "فعل" أحيانا إلت ضده، نحو "أشكلت الكتاب" أي أزلت إشكاله، "وأشكيت زيدا" أي أزلت شكواه، وقد فسر أهل النظر لفظة "أخفيها" في قوله تعالى "إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا"¹، بإزالة الخفاء والستر.

وإعجاز الكتاب يعني نقطه وإزاتلة استعجامة والإعجام هو تنقيط الحروف للتمييز بين المتشابهة منها في الشكل (ب، ت، ث، ج، ح، خ... إلخ) ومن هذه الدلالة جاءت تسمية الحروف الهجائية بـ "حروف المعجم" نظرا لكون النقط الموجود في كثير منها يزيل التباسها ومن هذه الدلالة أيضا جاءت تسمية الكتاب الذي يزيل التباس معاني الكلمات بعضها ببعض، وغموضها بـ "المعجم"².

ولا نعلم بالدقة متى أطلقت كلمة "المعجم" بالمعنى المتعارف عليه اليوم، ولا اسم من أطلقها لأول مرة ولا الكتاب الرائد في حمل هذه الكلمة في عنوانه، وذلك لضيق كثير من كتبنا وآثارنا القديمة، ويظهر من المصادر التي وصلت إلينا أن رجال الحديث كانوا الأسبق في استعمال هذه الكلمة بالمعنى الشائع اليوم، وأن الإمام البخاري (810-870 م) قد كتب

¹ - سورة طه الآية : 15.

² - والمعجم من الناحية الصرفية اسم مفعول ومصدر ميسي واسم مكان من "أعجم" وذهب بعضهم إلى أن "المعجم" مصدر بمنزلة الإعجام، كما تقول أدخلته مدخلا وأخرجته مخرجا أي إدخالا وإخراجا، أنظر الصحاح ولسان العرب، مادة عجم.

في صحيحه "باب تسمية من سمي من أهل بدر في الجامع (أحد كتب البخاري) الذي وضعه أبو عبد الله (أي البخاري نفسه) على حروف المعجم"¹ وأن أبا يعلى أحمد بن علي بن المثني (919م) وضع معجماً سماه "معجم الصحابة" وأن أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي (828-929م) وضع كتابين في أسماء الصحابة سماها: "المعجم الكبير" و "المعجم الصغير" ثم ما لبثت أن أطبقت هذه اللفظة على كثير من الكتب في القرن الرابع الهجري²، وعن المحدثين أخذ اللغويون كلمة "المعجم" بمعناها المتعارف عليه اليوم.

أما كلمة "قاموس" فكانت تعني البحر أو البحر العظيم، أو وسطه أو معظمه أو أبعد موضع فيه غورا³. ويظهر أن بعض علماء العربية الأقدم الذين حاولوا جمع اللغة، كانوا يطلقون على مؤلفاتهم أسماً من أسماء البحر أو صفة من صفاته، فأطلق صاحب ابن عباد (938-995م) على معجمه اسم "المحيط" وأطلق ابن سيده (1007-1066م) على معجمه اسم "المحكم والمحيط الأعظم" وسمى الصاغاني (1181-1252م) معجمه "العباب" أو "مجمع البحرين" إلى أن جاء الفيروز بادي (1329-1415م) فأطلق على معجمه اسم "القاموس المحيط". ونال "القاموس المحيط" ثقة العلماء وطلاب العربية لما امتاز به من إيجاز وضبط ودقة فلما طبع في القرن الماضي وانتشر بين جماهير المتعلمين.

¹ - عن أحمد عبد الغفور عطار، مقدمة الصحاح، ص 38.

² - منها المعجم الكبير والصغير والأوسط في قراءات القرآن وأسمائه لأبي بكر محمد بن الحسن النقاش الموصلي (880-972) ومعجم الشيوخ لأبي الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق البغدادي (880-962) ومعجم الشيوخ لأبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي (910-982م).

³ - ينظر: لسان العرب مادة قمس.

5-3- أنواع المعاجم :

المعاجم أنواع عدة أهمها :

5-3-1- المعاجم الغوية :

وهي التي تشرح ألفاظ اللغة، وكيفية ورودها في الاستعمال بعد أن ترتبها وفق نمط معين من الترتيب، لكي يسهل على الباحث العودة إليها لمعرفة ما استغلق من معانيها وهذا النوع من المعاجم هو الذي سيكون موضوع دراستنا هذه نظرا لأهميته ولا ندرج معظم معاجمنا القديمة فيه.

5-3-2- معاجم الترجمة :

أو المعاجم المزدوجة أو الثنائية اللغة، وهي التي تجمع ألفاظ لغة أجنبية لتشرحها واحدا واحدا وذلك بوضع أمام كل لفظ أجنبي ما يعادله في المعنى من ألفاظ اللغة القومية وتعايرها وهذا النوع هو أقدم أنواع المعاجم إذ استخدمه الساميون في العراق، إبان الألف الثالث ق.م¹، كما أنه أهمها وألزمها لمقتضيات الحضارة وبخاصة في عصرنا الحاضر بالنسبة للتجارة والأعمال المصرفية والعلاقات الدولية، مما جعل الدقة في الترجمة أمرا لا غنى عنه، وأصبح الخلاف على كلمة في اتفاق أو معاهدة أو إعلان أو بيان قد يجر إلى عواقب وخيمة ويلحق بهذا النوع من المعاجم المتعددة اللغات التي تعطي المعنى الواحد بألفاظ عدة لغات في آن واحد²، كما أنه ظهرت في عصرنا الحديث أنواع عكسية لهذا النوع من المعاجم أعني به المعاجم التي ترتب ألفاظ اللغة القومية على نمط معين، ثم تأتي بما يرادفها بلغة أجنبية أو أكثر، ففي المجتمع العربي مثلا نجد معاجم عربية - إنجليزية، وأخرى إنجليزية - عربية وثالثة

¹ - أخذ الساميون حضارتهم من السومريين، فاضطروا إلى الترجمة.

² - ظهر حديثا نوع من الآلات يشبه الآلة الحاسبة، يعطي الألفاظ التي تريدها ما يقابلها في عدة لغات.

فرنسية - عربية، ورابعة عربية - فرنسية ... إلخ ولا يخفي أن الغاية من المعاجم العكسية تسهيل التكلم والكتابة باللغات الأجنبية.

5-3-3- المعاجم الموضوعية أو المعنوية :

وهي التي ترتب الألفاظ اللغوية حسب معانيها أو موضوعاتها ففي مادة "نبات" مثلا تضع كل مسميات النبات وما يتعلق به وفي مادة "لون" نجد فيها كل ما تضمنه اللغة من أسماء الألوان بدرجاتها المختلفة ومن المعاجم العربية الموضوعية القديمة "المخصص" لابن سيده (1007-1066) الأندلسي الضرير، وهو يرتب الألفاظ التي جمعها، لا بحسب لفظها، بل بحسب معناها فعلى الباحث عن لفظة فيه أن يقرأ الفهرس الموضوعي العام للكتاب كله غالبا (والكتاب يقع في سبعة عشر جزءا)، فإذا وقع على الباب الذي يظن أن اللفظة التي يفتش عنها فيه، عليه أن يقرأ كلمات الباب كله، وبعد هذا التفتيش قد يعثر على ضالته أو لا يعثر ومنها أيضا كتاب الألفاظ الكتابية للهمذاني (؟ - نحو 933) الذي صرف همه لانتقاء تعبيرات بعضها جمل كاملة، مرتبة حسب الموضوعات لإمداد الكتاب بأساليب فصيحة يستخدمونها في كتاباتهم¹.

5-3-4- المعاجم الاشتقاقية أو التأصيلية :

وهي التي تبحث في أصول ألفاظ اللغة، فتدلنا إن كانت الكلمة عربية الأصل أم فارسية أم يونانية... إلخ.

¹ - أميل يعقوب، المعاجم اللغوية العربية بدايتها وتطورها، المؤسسة الحديثة الكتاب، طرابلس، لبنان، ص 17.

5-3-5- المعاجم التطويرية :

وهي التي تهتم بالبحث عن أصل معنى اللفظ لا اللفظ نفسه، ثم تتبع مراحل تطور هذا المعنى عبر العصور فهب تدرس مثلا ماذا كانت تعني لفظة "أدب" في الجاهلية وكيف تطور هذا المعنى حتى اليوم عبر مروره بالأعصر الأدبية المختلفة.

5-3-6- معاجم التخصص :

وهي التي تجمع ألفاظ علم معين ومصطلحاته أو فن ما ثم تشرح كل لفظ أو مصطلح حسب استعمال أهله والمتخصصين به له. هناك معاجم للزراعة وأخرى للطب، وثالثة للموسيقى ورابعة علم النفس وهكذا ومن المعاجم العربية القديمة المختصة "التذكرة" لداود الأنطاكي الضرير (1700م) فهو في قسم كبير منه معجم للعقاقير والأعشاب الطبية، وكتاب "حياة الحيوان" للدميري (1341-1405) الذي جمع فيه أسماء الحيوان والحشرات والزواحف والطيور معرفا بها، وبخصائص كل رمنها على طريقة عصره¹.

5-3-7- دوائر المعارف أو المعلمات (ج معلمة) :

وهي نوع من أنواع المعاجم، لكنها تختلف عنها من حيث أنها سجل للعلوم والفنون وغيرها من مظاهر النشاط العقلي عند الإنسان، فإن كان المعجم يفسر مادة "النحو" مثلا بإظهار معانيها واشتقاقاتها فإن دائرة المعارف أو الموسوعة تعرف بعلم النحو ونشأته وتطوره وأهم رجالته ومصادره ومراجعته فهي إذا مرجع للتعريف بالأعلام والشعوب والبلدان والوقائع الحربية وهناك دوائر معارف متخصصة كدائرة المعارف الإسلامية ودائرة المعارف الطبية².

¹ - أميل يعقوب، المعاجم اللغوية العربية، ص 18.

² - نفسه، ص 19-20.

6- نشوء المعجم العربي :

تمر اللغة عادة بمرحلة النطق قبل مرحلة التدوين أي أنها تكون في بادئ أمرها دائرة على أسلنة المتكلمين بها، لا مسجلة في بطون الكتب وكم من لغة نشأت وترعرعت ثم اندثرت* قبل أن يعرف الإنسان الكتابة.

والأصل أن تكون اللغة مفهومة من الناطقين بها، لكنها باعتبارها أداة للفكر والسبيل إليه¹، تتطور بتطور الفكر نفسه، فالإنسان لا يستطيع أن يحفظ كل الثروة اللغوية القومية مهما أوتي من حدة الذكاء وقوة الذاكرة وسعة الخيال، لذلك يصطدم أحيانا بكلمات لا يعرف معناها بقدة ووضوح من هنا أهمية المعجم كمرجع للباحث عن معاني الألفاظ التي استغلقت عليه.

ولم يعرف العرب التأليف المعجمي قبل العصر العباسي لأسباب عدة أهمها :

- 1- انتشار الأمية بينهم، فالذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة قبل الإسلام قليلون.
- 2- طبيعة حياتهم الاجتماعية القائمة على الغزو والانتقال من مكان إلى آخر.
- 3- اتقائهم للغتهم، فقد كانت العربية عندهم لسان المحادثة والخطابة والشعر، وكان إذا احتاج أحد إلى تفهم معنى لفظ استغلق عليه، لجأ إلى مشافهة العرب، أو إلى الشعر يقول ابن عباس (629- 687) : "الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله رجعنا إلى الشعر

*- من اللغات التي اندثرت قبل أن تدون، لغة السامية الأم واللغة الآرامية واللغة الأكادية... إلخ.

¹ - أنس فريجة، "نحو عربية ميسرة"، بيروت، دار الثقافة، 1955، ص 136.

فالتمسنا معرفة ذلك منه"، وقال : "إذا سألتموني عن غريب القرآن

فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب"¹.

لهذه الأسباب، تأخر العرب في وضع المعاجم بالنسبة للشعوب القديمة التي أسست حضارات قبلهم، إذ سبقتهم الآشوريون والصينيون والرومانيون في هذا المضمار².

لكن إذا كان العرب لم يعرفوا المعاجم قبل العصر العباسي، فلا شك في أن الفكرة المعجمية كانت قد بدأت تراودهم منذ أن بدأوا يشرحون القرآن، إذ يروي أن عمر بن الخطاب (584-644م) كان يخطب مرة، فخفي عليه معنى "الأب" في قوله تعالى "وفاكهة وأبا" فسأل عنها، كما استفسر ابن عباس (619-687 م) عن معنى "فاطر" في قوله : "الحمد لله فاطر السموات والأرض"³.

6-1- جمع اللغة :

ويظهر أن الباعث إلى جمع اللغة وتأليف المعاجم هو حاجة العرب إلى تفسير ما استغلقت عليهم من ألفاظ القرآن الكريم ورغبتهم في حراسة كتابهم من أن يقتحمه خطأ في النطق أو الفهم، ويؤكد ما نذهب إليه ثلاثة أمور : أولها ما روي عن استفسار العرب عن معاني بعض ألفاظ القرآن، وثانيها كثرة الكتب التي ألقت في أوائل مرحلة التدوين في موضوع غريب القرآن وأول من كتب في هذا الموضوع عبد الله بن عباس، ثم تتالت بعده الكتب التي

¹ - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، بيروت، دار الكتب، سنة 1935، ج 1، ص 24.

² - عرف الآشوريون المعاجم المزدوجة قبل أكثر من ستة قرون من الميلاد، ووضع هوشن Hushin الصيني سنة 150 ق م معجما سماه شوفان Chouwan كما ألف كوبي وانج معجما سماه "يوبيان"، وقد طبع سنة 530م ووضع اليونانيون معاجم عدة قبل العرب منها معجم يوليوس بولكس ومعجم هلاديوس الكندري ومن المعاجم القديمة أيضا معجم فاليريوس فلاكوس الذي وضعه في عهد الإمبراطور أغسطس ومعجم هيزيشيوس الاسكندراني... إلخ

³ - ينظر : أحمد عبد الغفور عطر، مقدمة الصحاح، ص 43.

سلكت مسلكه¹، وثالثها أن العلوم العربية الأولى من تفسير وفقه وبلاغة ونحو وقراءة وغيرها إنما نشأت في بادء أمرها لحفظ القرآن وتفسيره.

وأيا يكن الباعث إلى جمع اللغة، فإن اللغويين العرب اعتمدوا في هذا الجمع أساسين : واحدا زمانيا وآخر مكانيا وعلى الأول حصروا التدوين في أدب الجاهلية وصدر الإسلام حتى منتصف القرن الثاني الهجري تقريبا وعلى الثاني جعلوا المدون في البدو دون الحصر وسكان أطراف الجزيرة، فخصوا التدوين في قبائل قيس عيلان، وتميم وأسد وهذيل وقريش وبعض كنانة وبعض الطائيين الأخذ عن لحم وجذام جيران مصر والقبط، وقضاة وغسان وإياد جيران أهل الشام وأكثرهم نصارة يقرأون بالعبرية وتغلب لمجاورتهم اليونانيين وبكر جيران النبط والفرس، وأهل اليمن لمخالطتهم الهند والحبشة... إلخ².

أما المراحل التي قطعها جمع اللغة، فيذكر أحمد أمين (1878-1954 م) أنها ثلاث³ : في المرحلة الأولى جمعت اللغة حيثما اتفق، "فالعالم إلى البادية يسمع كلمة في المطر ويسمع كلمة في اسم السيف، وأخرى في الزرع والنبات وغيرها في وصف الفتى أو الشيخ إلى غير ذلك فيدون ذلك كله حسبما سمع من غير ترتيب إلا ترتيب السماع" وفي المرحلة الثانية جمعت الكلمات المتعلقة بموضوع واحد في موضع واحد، وقد وضع في هذه المرحلة عدد من الكتب، التي يمكن تسميتها بكتب الموضوعات ومنها كتاب المطر وكتاب اللبن لأبي زيد (737-830) وكتاب النخل والكرم، وكتاب الإبل، وكتاب الخيل وكتاب أسماء الوحوش للأصمعي (740-831)... إلخ، وفي المرحلة الثالثة تم وضع المعاجم على

¹ - ينظر حسين نصار، "المعجم العربي، نشأته وتطوره"، ط 2، القاهرة، مكتبة مصر، 1968، ج 1، ص 40-45.

² - عبد الله البستاني، البستان، بيروت، المطبعة الأميركية، سنة 1927، ج 1، ص 34.

³ - أحمد أمين، ضحى الإسلام، مكتبة النهضة، القاهرة، ط 5، 1956، ص 263-266.

نمط خاص في الترتيب ليرجع إليها من أراد البحث عن معنى كلمة وأول من ألف معجما على ما بلغنا هو الخليل بن أحمد الفراهيدي واضع "كتاب العين".

وأيا تكن مراحل جمع اللغة فإن الباحثين يجتمعون على أن الخليل بن أحمد -على ما وصلنا- هو أول من وضع معجما لعويا عربيا حسب ما نعينه مكان لفظة معجم، فوضع للغويين منهج التأليف المعجمي وسن لهم سنته ثم تتالت المعاجم بعده، تنهج كل نهجه أو تخاله في بعضه، ولعل أهمها المعاجم التالية: "الحروف" ¹ لأبي عمرو الشيباني (714-821م) و "الغريب المصنف" لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (774-838م) و "الألفاظ" لابن السكيت (802-858) و "الجيم" لأبي عمرو إسحق بن مراد الشيباني (713-821م) و "المنجد لكراع النمل (...-921م) و "الجمهرة" لابن دريد (838-933) و "ديوان الأدب" للفارابي (?-961) و "البارع" للقيالي (901-967) و "تهذيب اللغة" للأزهري (895-981) و "مختصر العين" للزيدي (928-989م) و "المحيط" للصاحب بن عباد (938-995) و "الصحاح" للجوهري (?-1003) و "مقاييس اللغة" و "المجمل" لابن فارس (941-1004) و "المحكم" و "المخصص" لابن سيده (1007-1066) و "أساس البلاغة" للزمخشري (1075-1144) و "العباب" للصاغاني (1181-1252) و "مختار الصحاح" للرازي (?-1268) و "لسان العرب" لابن منظور (1232-1311) و "المصباح المنير" للقيومي (?-1368) و "القاموس المحيط" للفيروزبادي (1349-1415) و "تالجم العروس" للزيدي (1632-1790) و "محيط المحيط" و "قطر المحيط" لبطرس البستاني (1819-1883) و "أقرب الموارد في الفصيح والشوارد" لسعيد الشرتوني (1849-1912م) و "المجند" لأب لويس المعلوف

¹ - ويسمى أيضا كتاب "الجيم" و "كتاب اللغات" ينظر أحمد عبد الغفور عطار، مقدمة الصحاح، ص 74.

(1867-1946) و "البستان" و "فاكهة البستان" لعبد الله البستاني (1854-1930) و "متن اللغة" لأحمد رضا (1872-1953) و "المعجم الوسيط" و "المعجم الكبير" لمجمع اللغة العربية في القاهرة، و "المعجم" و "المرجع" لعبد الله العلايلي (1914) و "الرائد" لجبران مسعود (1930) و "لاروس" لخليل الجر.

ويتضح مما سبق أن المعاجم العربية لها أهداف خاصة تستوعب ما استعمل في نصوص العربية كلها من مفردات لغوية، حيث يدون متن اللغة العربية تدوينا استيعابيا بعيدا عن المفاضلة بين العصور والبلدان، فيربط الحاضر بالماضي، ويزيل الحواجز التي كانت تقام بين ما هو فصيح وما هو غير فصيح، ويظهر العربية على أنها لغة متطورة، وليست لغة البداوة تعبر عن واقع مضى، كما يكشف عن آلاف من الوحدات المعجمية التي كانت من المولد وأهملت ويمكن تلخيص أهدافه في النقاط التالية¹:

- الإطلاع على كلام العرب وحضارتهم.
- معرفة ما حصل من تطور في الدلالات العامة والخاصة لكل لفظ.
- معرفة ما هجر من ألفاظ وما استحدث.
- معرفة المصطلحات ودلالاتها عبر الزمان.
- معرفة المباني والمعاني والصيغ والتراكيب والجوانب البلاغية لألفاظ اللغة.
- معرفة الحقول الدلالية لألفاظ اللغة.
- معرفة اللفظ الأصيل والمولد والأجنبي.
- معرفة زمن استعمال اللفظ، ومن استخدمه، وأي، وفي أي عمل وعدد تكراره.

¹ - صالح بلعيد، في الأمن اللغوي، ص 154 - 155.

- الترسخ العلمي للغة العربية ووجود مدونتها الكبرى وغني عن كل المدونات العربية.
- إنجازنا للمعجم التاريخي، يكون أرضية لاستخراج المعاجم الآلية المتخصصة.
- إفادة بمعلومات تخص الكلمة العربية عادية كانت أو مصطلحا.
- معجم يكشف عن تاريخ ظهور الكلمة، وبأي معنى وما المصدر الذي وردت فيه، وما هي السياقات التي وردت وما المجال المفهومي الذي تنتمي إليه وكيف تطورت دلالتها.
- إفادة بمعلومات تخص الجذور.
- إفادة بمعلومات أجناس الكلام.
- إفادة بمعلومات عن الحروف والصيغ وما له علاقة بالعروض.
- لإفادة بمعلومات تخص الجانب الحضاري أو العلمي.
- إفادة بكل ما له علاقة بالجانب اللغوي.
- أ- نحو جمع لغوي جديد :

ولقد أحسن الأستاذ فاروق شوشة صنعا حين أكد الثقة في القصص وبشر بمستقبلها الزاخر، ودعا في كلمة له ألقاها في المقر الدائم للأسيسكو بالرباط إلى ما سماه (جمع لغوي جديد) حيث قال : "لقد أدى نجاح الدور الذي قام به الإعلاميون العرب ووسائل الإعلام جميعا، إلى تهيئة المناخ في كثير من الدوائر اللغوية، للحدوث عن الحاجة إلى جمع لغوي جديد هذا الجمع اللغوي الجديد هو بالنسبة إلينا الآن ضرورة حياة، نواصل ما صنعه الخليل بن أحمد في القرن الثاني الهجري، وهو يشرع في إنجاز أول معجم لغوي عربي هو "المعجم العين" لقد قام الخليل صاحب العقلية الرياضية الفذة والفطرة اللغوية السليمة والحث

اللغوي الأصيل، بما لا تقوم به اليوم إلا قاعدة بيانات ضخمة وأجهزة حاسوبية حديثة وعلى هذا الأساس، فهذا الجمع اللغوي الجديد الذي يتطلب تعاون المؤسسات اللغوية والثقافية العربية، وهو السبيل الوحيد للتعرف في تجلياتها الإبداعية، عبر عصور ما بعد عصر الاستشهاد وهي العصور التي أغلقت دون المعاجم اللغوية فلم تتسع لهذه الذخيرة اللغوية الهائلة، وصولاً إلى معرفة الحاضر اللغوي في مجالاته الميدانية"¹.

إن تطوير متن اللغة بحيث يواكب المتغيرات التي تشهدها الحياة المعاصرة هو الشرط الأساسي لما نسميه (تطويع اللغة) الذي هو ضرب من التوسيع للمجال اللغوي، بحيث يسع المفردات والمصطلحات الجديدة، ليصبح متنا متجدداً حيويًا ومتطورًا ومنديجاً في حياة الفرد والمجتمع، وتلك هي السبيل إلى إناء اللغة العربية ومعالجتها المشاكل التي تعاني منها، والتمهيد لبحث القضايا اللغوية ذات الارتباط بثقافة الأمة وبهويتها الحضارية التي تحتل في لسانها المعبر عن روحها"².

ومما لاشك فيه أن القضية المطروحة تتعدى النطاق اللغوي إلى مدى أبعد، إنها قضية وجود الأمة العربية الإسلامية وسيادتها، لأن نمو اللغة من نمو الأم، والعكس صحيح يقول الباحث العراقي المؤرخ الدكتور عبد العزيز الدوري: "إن اللغة تنمو وتزدهر بتقدم أصحابها في الثقافة والحضارة، كما تكون اللغة عوناً على النهضة وفي هذه الحالة بدأت الدراسات العربية والإسلامية بهذه اللغة، واستمرت كذلك في فترة التكوين وصارت العربية لغة الإدارة، ثم

¹ - فاروق شوشة، في كلمة له ألقاها في افتتاح اليوم الدراسي حول اللغة العربية الذي نظّمته الأيسيسوكو في الرباط بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية، 18 ديسمبر 2012.

² - عبد العزيز بن عثمان التويجري، "حاضر اللغة العربية"، ص 52.

كانت حركة الترجمة والاتصال بالثقافات الأخرى منذ القرن الثاني الهجري، مما أغناها بالأخذ والإضافة وصارت العربية لغة حضارة عامة¹.

فهذه أشهر المعاجم المتداولة في الوقت الحاضر، وهي موجزة تجمع بين القديم والحديث.

ب- نحو معجم عربي حديث :

اهتمام الثقافة اللغوية العربية الحديثة بقضايا المعجم سبقت الإشارة إلى اهتمام اللغويين اللبنانيين بالمعجم العربي نقداً وتأييماً. وتميز اللغويون اللبنانيون بزيادتهم لهذا النوع من البحث اللغوي. وليس هنا مجال عرض ما تم القيام به في هذا الباب بصفة عامة، دارت الحركة المعجمية في لبنان وغيره من الأقطار العربية خلال نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين حول المحاور التالية²:

- التنبيه على أخطاء المعجمين العرب القدامى سواء فيما يتعلق بترتيب الكلمات أو شرح معانيها.

- استدراك ما فات المعاجم العربية القديمة من كلمات.

- محاولة وضع معجم عربي حديث ينمي المعاجم العربية القديمة ويطورها ويكون وافياً بحاجيات العصر الحديث ومقتضياته.

¹ - ينظر : عبد العزيز الدوري، ص 212.

² - ينظر أعمال الندوة الدولية التي خصصت لهؤلاء في: المعجمية العربية المعاصرة، دار العرب الإسلامي، تونس، 1987. * أحمد فارس الشدياق 1805-1887م باحث بارع ولغوي واسع الإطلاع، وله في مجال اللغة جولات ومؤلفات، ومنها بحثه في خصائص الحروف العربية وخصائص اللغة على العموم، ومن ذلك كتابه المسمى (منتهى العجب في خصائص لغة العرب). ** بطرس البستاني يعد هذا المعجمي، من الذاتي الصين في علم المعجمات.

وقد صاحب هذه المحاور حركة النشر واسعة للمعاجم العربية القديمة، وقد حمل مشكل هذا النشاط المعجمي علماء لغويون كثيرون من عرب وعجم أشهرهم على الإطلاق "أحمد فارس الشدياق"* و"بطرس البستاني"* و"دوزي". وقد قضى بطرس البستاني صاحب معجم "محيط المحيط" "L'Ocean Des Oceans" و"موسوعته دائرة المعارف" وقتاً طويلاً في تحقيق أهم المصطلحات العلمية. ومن أمثلة ذلك قوله:

- أنيسون بالفرنسية "Anis" جنس من النبات.

- امتداد: "Etendue"، "Extent" أي الجوهر.

- امفيبيا: "Amphibia" اسم لحيوانات تعيش تارة في الماء، وأخرى في الهواء.

- إمتصاص "Absorption".

وقد عد البستاني في هذا المضمار، ركنا من أركان النهضة الأدبية الحديثة، ومحورا هاما لحركة التعريب الجريئة. وكذلك من آثار هؤلاء اللبنانيين النابغين "إبراهيم اليازجي" الذي حرص على انتقائه للألفاظ الإصطلاحية الملائمة لكل فن ولون، وتوضيح ما حدث فيها من معان علمية ومن أعمال اليازجي في نقل العلوم الحديثة إلى اللغات العربية، نقل ما يلي:¹

التبليد: Acclimatation	- الشعار: -Armoires
الجناح: Balcon	- الرجيات: -Bactéries
الكفاف: Carde	- الرجيات: -Bactéries
الطائرة: Colonie	- الشعرية: -Brasse
البائة: Dot	- الشنبيري: -Chimpanzé
الحاكي: Phonographe	- الآرية: -Cravate

¹ - إبراهيم اليازجي "التعريب"، مجلة الضياء، 15 أغسطس سنة 1900، الجزء 23 المجلد 2، ص 710.

Fuseau: الضلع	- الدرية: Ecran-
Unicroscopes: الذيريات	- التألُق: Phosphorescence-
Myopie: الحسر:	- الطبرخي: Gutta-Percho-
Soupe: الحساء:	- البيئة: Milieu-
Tragédie: المأساة:	- الرئية: Rhumatisme-
Valve: اللهاة:	- السنفع: Tache du soleil-
Vis: اللولب:	- الرعاد: Torpille-
Cocher: الحوذني:	- الدراجة: Bicyclette-
Plombagine: الأسرب:	- الاستعهداد: Assurance-
Paratonnere: الشاري:	- الأنبوبيات: Pacilles-

ويعد اليازجي من اللغويين المدققين من الدرجة الأولى. ولكثرة ما أنشأ وترجم، عن أستاذ الناشئين في عهده¹. وهناك كثير من الألفاظ لا تعد ولا تحصى لتلك الفئة النشيطة من المفكرين اللغويين التي عجزنا عن إدراجها وذكرنا سوى القليل منها (...).

وتابع مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ نشأته سنة 1932 هذه المسيرة بحثاً عن معجم عربي حديث، وقد أسندت مهمة ذلك لكل المهتمين بالبحث المعجمي من عرب وأعاجم المتواجدين تحت سقف المجمع. في هذا الاتجاه حاول المجمع أن ينشر تحت إشرافه ودعمه المادي المعجم الذي وضعه المستعرب الألماني "أوغست فيشر" * عضو المجمع، وهو معجم تاريخي صنّفه صاحبه على "غرار معجم أكسفورد التاريخي فيصعد للنصوص الأولى

¹ - إبراهيم اليازجي، المصدر السابق، ص 710.

* - "أوغست فيشر" كان أحد كبار المستشرقين الألمان، وحجة في اللغات الشرقية، من عربية وعبرية وسريانية وحيشية وفارسية وغيرها وقد عني فيشر بالمعجم العربي وقد أمضى 40 سنة في جمع مادته وتنسيقها، وحينها عرض على مجمع اللغة العربية في مصر ورحب بالفكرة.... "تم عاجلته المنية وتوفي سنة 1929.

لتوضيح معاني الكلمات ويتتبع تاريخها وتغير مدلولها" غير أن هذا المشروع الضخم لم يخرج للوجود إذ توفي فيشر سنة 1929م. حاول المجمع أن يستخدم جذاذات فيشر قاعدة للمعجم التاريخي للغة العربية لكنه لم يفلح "لاستحالة تحقيق هذا الغرض لأن الجذاذات لم تتم وما تم منها لم يرتب، والكتب التي روجعت منها المواد لم يتبين ما قرئ منها وما بقي بلا قراءة"، لذلك لم ينشر من عمل فيشر سوى "المقدمة التي _ كان المؤلف قد راجعها والجزء الذي نشره في مجلة المجمع"¹.

تابع "المجمع" المحاولات الرامية لوضع معجم عربي حديث يتجاوز نقائص المعاجم العربية القديمة ويكملها نتيجة ضرورات الحياة العصرية فأصدر سنة 1970 الجزء الأول من "المعجم الكبير" وصدر الجزء الثاني منه في بداية الثمانينات. يتميز "المعجم الكبير" من حيث مصادره اللغوية اعتماده الشعر والنثر العربيين مهما يكن العصر الذي أنشئ فيه دونها تحديدا لما درج على تسميته بعصور الاحتجاج، كما اخذ المعجم مادته من الحديث النبوي والأقوال المشهورة. واهتم بالألفاظ الطارئة حديثا على العربية نتيجة تقدم الحضارة ورقي العلم. و"المعجم الكبير" يتجاوز بذلك كل المعاجم العربية القديمة منها والحديثة، ليعكس حرص فئة كبيرة من المجمعين على تطوير اللغة العربية وإنمائها بألفاظ حديثة².

ويتميز "المعجم الكبير" بمحاولته الفريدة في البحث عن أصول الألفاظ العربية، فأردف الألفاظ العربية بنظيرتها في اللغات السامية - أو في غيرها من اللغات - كلما كان ذلك ممكنا.

¹ - مجلة مجمع اللغة العربية، عدد8، 1955، ص252.

² - حسن نصار، "المعجم العربي نشأته وتطوره"، ج2، ص736.

على أن أهم عمل معجمي قام به المجمع اللغوي بالقاهرة يتمثل في انجازه "المعجم الوسيط" الصادر سنة 1960. يعتمد "الوسيط" من حيث المادة، اللغة العربية قديمها وحديثها، "يضع ألفاظ القرن العشرين إلى جانب ألفاظ الجاهلية وصدر الإسلام ويهدم الحدود الزمانية والمكانية التي أقيمت خطأً بين عصور اللغة المختلفة ويثبت أن في اللغة العربية وحدة تضم أطرافها".¹

ويحتوي المعجم المصطلحات العلمية الشائعة سواء منها ما وضعه المعجميون أو غيرهم وسواء تعلق الأمر بالمعرب أو الدخيل. واحتلت الألفاظ العامة والمصطلحات الحديثة حيزاً لا يستهان به من حجم المعجم.²

وأفاد واضعو "المعجم الوسيط" من قرارات المجمع اللغوية فطبقتها في عملية وضع مواد المعجم وتفسيرها اللغوي والصرفي والنحوي.

وجاء "المعجم الوسيط" سهل التناول ميسر الترتيب بحيث رتبت الكلمات بحسب نطقها - أي هجائياً - لا بحسب تصريفها. واستعمل المعجم لغة عصرية واضحة في التعريفات والشروح التي جاءت معززة "بالآليات القرآنية والأحاديث النبوية والأمثال العربية والتراكيب البلاغية المأثورة عن فصحاء الكتاب والشعراء".

وزين "المعجم الوسيط" بالصور والرسوم المساعدة على الإفهام بلغ عددها ستمائة صورة. واعتمدت اللجنة الواضحة للمعجم الوسيط في ترتيب المواد المعتمدة منهجية موحدة وواضحة تتلخص فيما يلي³ :

¹ - إبراهيم مذكور، "تصدير المعجم الوسيط" دار إحياء التراث العربي، القاهرة، 1960، ص 9.

² - عبد العزيز مطر، "المعجم الوسيط بين المحافظة والتجديد"، أعمال ندوة المعجمية العربية المعاصرة، ص 515.

³ - إبراهيم مذكور، ص 08.

- 1- تقديم الأفعال على الأسماء.
- 2- تقديم مجرد على المزيد من الأفعال.
- 3- تقديم المعنى الحسي على المعنى العقلي والحقيقي على المجازي.
- 4- تقديم الفعل اللازم على الفعل المتعدي.

والواقع أن الحركة اللغوية المعجمية قدمت من خلال إخراجها "للمعجم الكبير" و"المعجم الوسيط" خدمة جليلة للغة العربية المعاصرة حيث احتل هذا الأخير مكانة مرموقة من بين المعاجم المعاصرة من خلال ما توفر فيه من أسس متينة ومتميزة في التجديد المعجمي ومظاهره.

واجبنا نحو النهوض باللغة العربية

إن اللغة العربية ليست مادة عادية من المواد الدراسية، ولكنها اللغة القومية، لغة القرآن الكريم والدين، لغة الوطن والعروبة ففي إحيائها إحياء للدين، ومحافظتها على القرآن الكريم، وتمجيد للوطن والعروبة، وفي إهمالها إهمال لهذه الشعائر المقدسة.

فاللغة العربية أهم مادة أساسية في جدول الدروس، وهي المادة التي يجب أن تنال كل عناية من كل مدرسة، وكل مدرس. وتعليمها يجب أن يكون أهم الأغراض التي نرمي إليها، وأستاذتها يجب أن يوضعوا في المراكز التي تلائم ما يبذلون من جهد عظيم في إعلاء منار الدين، ولغة الدين، وفي خدمة الوطن، ولغة الوطن.

فاللغة العربية لديها وسيلة المواد وفهمها، وبغيرها لا يمكن درس ولا تعليم. وإن التلميذ المبرز فيها يستطيع بسهولة أن يفهم كل مادة من المواد الدراسية الأخرى، ولا يجد صعوبة في دراسة كتاب جغرافي أو تاريخي أو صحي، أو أدبي. فالتقدم فيها يساعد من غير

شك على التقدم في غيرها، والنهوض بها نهوض غيرها من المواد، فهي اللغة التي نعبر بها عن آرائنا وأفكارنا، وهي الوسيلة التي نشرح بها كل علم من العلوم، أو فن من الفنون، وبها نفكر ونفهم وبها نحاول تفهيم غيرنا ما نشاء¹.

ويجب أن نصرح بأن من الواجب أن يعنى كل مدرّوس باللغة العربية - مهما تكن المادة التي يقوم بتدريسها - ويعمل للنهوض بها، بحيث لا يسمع التلميذ في أي درس من الدروس إلا اللغة العربية، ولا يناقش ولا يسأل ولا يشرح له شيء إلا اللغة العربية، ولهذا يجب أن يجيدها كل مدرس بحيث يستطيع أن يقرأ قراءة صحيحة، ويكتب بلغة سليمة، ويتحدث ويشرح ويسأل بلغة خالية من الخطأ، بعيدة كل البعد عن اللغة العامية، قريبة ما أمكن القرب من اللغة الفصحى. فإذا سمع التلميذ لغة عربية في كل درس، ووجد عناية بها كمن مدرس - سواء أكان مدرّسا للآداب أم للعلوم أم للفنون، أم للغة العربية - تقدم التلميذ تقدما واضحا، وشعر بمالها في الحياة من أثر بالغ وأهمية عظيمة².

وبهذه الطريقة غير المباشرة تستطيع المدرسة أن تقوم بما يجب عليها نحو لغة الوطن، ويستطيع المدرسون القيام بواجبهم نحو أمتهم، ولسنا ننكر أثر العناية باللغة العربية وطرق تدريسها، في الأوقات المعينة لها، ولكننا ننكر أن هذه هي الوسيلة الوحيدة للنهوض بها، فالأوقات التي خصصت لتعليمها محدودة، وهي لا تكفي للوصول بها إلى الغاية المنشودة.

وفي هذا الصدد يقول د. صالح بلعيد: "كان علينا الوعي بمفهوم الوعي اللغوي، وبالأسئلة والحداثا وبرما بما بعد الحداثا، وهذا لتأسيس مشاريع تعتمد على مفاهيم لغوية تهندس بذكاء للمشهد القادم، وهذا لتحقيق مشاريع التنمية والتلاقح والتطوير، وإننا في عالم

¹ - عطية الأبراش، "تاريخ الآداب السامية"، ص 229.

² - المرجع نفسه، ص 230.

نكوصي يفقدنا الروح الوثابة لبناء مستقبل آمن مستقر علينا -نحن العرب- أن نستفيق ونصنع القرار والأجى أن نكاشف حقائقنا بذات لغتنا وفي ذات لغتنا للرفع من مردودها الاقتصادي، فاللغة بما تبدع وتصنع لا بما يستورد وعلينا العمل جميعا على النهوض بها، ولا يجب أن نعلق كل الأمور على السلطة، فالعربية ليست كلما للنخبة ولا للسلطة، وليست ملكا لرجال الدين كما قال طه حسين، فهي ملك للذين يتكلمونها جميعا من الأمم والأجيال، ولكن للسلطة والنخبة ففعل الخميرة، كما للجمعيات المدافعة عن اللغة العربية دور هام، وجمعيات المجتمع المدني الدور الكبير في حماية اللغة، بل يمكن أن يكون لها دور التغيير بسلطة العلم والحزن، وعليها تهيئة الأسباب بطريقة علمية منهجية، فلا بد من بذل الجهد فقبل الرمي يراش السهم، إضافة على وضع الأشياء في محالها واختيار رجالها وإذا اجتمعات وسائل النجاح فلا بد أن يحصل النجاح"¹.

وهذا هو المنهج المحكم المنسجم المتناسق الذي يتعين أن نعتمده للنهوض باللغة العربية نهوضا فعليا وليس افتراضيا، ولرد الاعتبار لها بصفتها الحاملة لهوية الأمة الحافظة لتراثها. ونقطة الإنطلاق إلى ذلك كله، هي إيجاد المناخ العام الملائم للإصلاح اللغوي، ولحل المشاكل القائمة، وهو ما لا يتم إلا بإرادة قوية مصممة على العمل، وعلى شتى المستويات، من أجل لغة عربية متجددة ومتفاعلة مع العصر وأداة للبناء والنماء على قاعدة الولاء للشوايت الراسخة والانتماء للأمة الواحدة.

¹ - صالح بلعيد، الأمن اللغوي، المرجع السابق، ص 69.

اللغة العربية تشتغيت

كم ذا من أسى وسهاد وأهان من أهلي ومن حسادي
سادت لغات في الربوع وها أنا وحدي أعاني غربة الإبعاد
قد حاسرتني ضرة وعدوة في عقر داري. أيكم أولادي ؟
وكذا عرنسية تنغص عيشي ويزيد غيظي غفلة الأحفاد
ولحون أهلي - وا أساي- تفاقمت -حتى لدى العلماء- بالأعداد
وأنا التي نزل الكتاب بأحرفي وبأحرفي نطقت شفاه الهادي
قد سدت دهرا في المحافل كلها بتلاوة القرآن والإنشاد
وترصعت بجواهري أشعاركم وشدا بها طربا لسان الحادي
واهتز من فرط الفصاحة منبر واغرورقت بي أعين العباد
ووسعت آي الذكر في إعجازها أهل الفصاحة أو قوى الإلحاد
أو بعد هذا الجحد ضاعت هييتي فأسام سوء الخسف من أولادي
أو بعد هذا العز صرت ذليلة أجتز فخري في أسى ونكاد
كل الشعوب تمسكت بلغاتها فغدت بهم فخرا على الأنداد
إلا بني تخادلوا عن نصرتي ورضوا الهوان لمكسب الأجداد
بعد ابتهاج دام دهرا عشته بين الورى في ذروة الإسعاد
من ذا يعيد لذا اللسان بريقه ويقيل عثرة فارس مقداد

من منفذ للضاد يكشف همها ويعيد مجدا سامقا للضاد
 من ذا يغار على لسان نبيه يسعى لرد مكاييد الحساد
 أمعلم الفصحى وحامل همها من لي سواك يعيد لي أمجادي
 قل لي بربك من يعيد بريقها بعد الإله سوى فتى المقداد
 نافع عن الفصحى وجدد عهدها وأعد -هديت- تألقا للضاد
 يا ويح من حمل اللواء وخانه ماذا يجيب بحضرة الأشهاد
 يا من تشبع قلبه بمحبتى أدرك لسان الوحي والإرشاد
 واكتب لنفسك صفحة لا تمحى تسمو بها أبدا مع الخلال
 وإلى الأساتذة الكرام وصيتي يا من بلاكم ربنا بالضاد
 من غريكم يقوى على كف الأذى ويكون للأعداء بالمرصاد
 فلتنفضوا عني الغبار وتغسلوا هذا الشنار وتردعوا ذا العادي
 ربوا على الفصحى بنيكم صبية إن تفعلوا يحظوا بخير الزاد
 يا خيبتى ما كنت أحسب أنني أحيا حياة الذل والإنكاد
 هل بعد هذا الذل لي من عزة تعلي الحبين إلى ذرا الأمجاد
 يا خيبتى فيكم بني وحسرتي إن طال نومي أو خبت أمجادي
 هل من مجير للطيمة منقذ ميراث أسلافي وأجدادي
 يا ويلكم إن عاش غيري في الدنا حرا وعشت حبيسة الأصفاد
 هي صرخة نحو القلوب لعلها أن لا تكون كصرخة في واد

يا رب إن عجز الورى عن نصرتي وتقايسوا عن حمى الأجداد

فامنن علي بعزة لا يدعي فيها سواك الفضل في إسعادي

الأستاذ : عماري عبد القادر

تلمسان في ذي القعدة 1437 هـ / أوت 2016م

شرح المفردات :

ضرة : اللهجة العامية

عدوة : اللغة الفرنسية

عربيّة : كلام تختلط فيه العربية بالفرنسية

اللّطيمة : من فقدت الأب والأمّ

أ. مفتش متقاعد في اللغة العربية وآدابها

خاتمة

بعد إتمام هذا البحث المتواضع الموسوم بـ " اللغة العربية وألغاز الحضارة الحديثة " والذي كان عبارة عن جولة في تاريخ اللغة العربية في التواصل الحضاري وتفاعلها مع اللغات الأخرى.

أود في الختام أن أذكر كل النتائج التي توصلت إليها أثناء معالجاتي لهذا الموضوع، وقد حصرتها في النقاط الآتية :

- 1- لقد امتازت اللغة العربية أنها لغة الوحي والقرآن والوعاء والقلب الذي يحفظ ثقافة العرب وإبداعهم.
- 2- وكذلك أعطى القرآن اللغة العربية معنى أكبر من كونها لغة والدعوة إلى القرآن هي التي تحمي الفصحى.
- 3- فقد شرف القرآن الكريم هذه اللغة بتروله بلسان عربي مبين، وهو الكتاب الذي تعهد الله بحفظه، ومنه حفظ اللغة العربية في أرقى صورة للغة من حيث الأصوات والتراكيب.
- 4- جعلت الكتاب العربي المبين رهنا أساسيا من ثقافتنا، وعنصرا جوهريا تربيتها الفكرية والخلقية.
- 5- قدرة اللغة العربية على مواكبة الحضارة الحديثة، بالتعبير عن مفاهيمها، لذلك نرى أنه قد انكب اللغويون والأدباء على دراسة هذه المسألة من جميع جوانبها، حيث حرصوا على استمرار لغتهم باستيعاب كل دخيل، إلى ترجمة المصطلحات العلمية، وتعريبها في العصر الحاضر لتتسع آفاق معاجمنا، وتتميز بمسايرة كل عصر.

- 6- اشتمال اللغة العربية على خصائص كثيرة ومتنوعة تتمثل في مخارج الأصوات طبيعة الألفاظ، الإعراب، اتساع المعجم العربي، الاشتقاق، التوليد، التعريب النحت...
- 7- لغتنا العربية هي أوسع أحواتها السامية ثروة في أصول الكلمات والمفردات، لأنها الأصول التي تشتمل عليها أحواتها السامية، وأصبحت فيما بعد أعذب اللهجات العربية ألفاظا وأشملها لجميع المعاني والتصورات.
- 8- أثرها الواضح في اللغات الأوروبية كالإسبانية والفرنسية والإيطالية والانجليزية، والتركية، فنجد ألفاظا كثيرة ومتنوعة فيها ذات الأصل العربي، وهذا إذ دل على شيء إنما يدل على غنى وقدرة اللغة العربية على إثراء اللغات عليها.
- 9- الحفاظ على اللغة العربية وصيانتها لتبقى لغة القرآن الكريم خالدة نقية وسليمة من التحريف والفساد.
- 10- تعميم الانتفاع بما يصدره مجمع اللغة العربية من المصطلحات العلمية والفنية وألفاظ الحضارة، حتى تعم الفائدة، ويكون عمل المجمع تشريعا وتنفيذا.
- 11- ولغتنا العربية تدل على عبقرية أمة العرب، بما أنجزته من شواهد حضارية ساطعة تعجز الأجيال المعاصرة على الإتيان بمثلها وأعظم إنجاز وإعجاز أرضي بالعربية هو القرآن.
- 12- فاللغة آتتنا للتعبير عن مكنونا الفكري والمعنوي والروحي، وبدون تضيع أفكارنا وتتنافر أجيالنا، وتفقد الأمة هويتها وجوهر معالم وجودها وملامح شخصيتها.
- 13- وأنها هواؤنا الحضاري ونهرنا المتدفق بالابتكار والتجدد والمعاصرة الفعالة مع الزمن، واللغة تضع الحياة وتبين الحضارة وتؤسس لمشاريع التقدم والارتقاء.

14- إن العربية من الدين لا تنفصل عنه ولا ينفصل عنها وهما من تفاعلها كشجرة خضراء ممتدة الأغصان وارفة الظلال طيبة الأكل ومن هنا استمد الفقهاء أحكامهم التي تقرر أنه لا يجوز للمسلم أن يتعبد لله في الصلاة إلا باللغة العربية.

15- وهي برهان حيوية الأمة وقدرتها على البقاء والتواصل الخلاق مع أجيالها، فهي الوعاء الحي المرن المطاوع لتناميهم وتحقيق آرائهم وأحلامهم وطموحاتهم.

16- وبدون اللغة لا يمكن التأكد أو القول بوجود أمة أو شعب من الشعوب، فاللغة تضع الأمة والشعب.

17- واللغة شراع الإبحار في يم الوجود، وعنوان أمة وهوية شعب وراية تاريخ وحضارة. اللغة التي أهملناها علينا أن نعود إليها ونرعاهها، فرسالة العربي الأصلية والكبرى هي الاهتمام بالعربية ونشرها، فهي اللغة المقدسة الثرية الغنية التي خاطبت بها السماء والأرض، ولسان الروح وأرشيف الحضارة والتاريخ.

18- واللغة العربية لغة القرآن الكريم تنبه إلى خوصياتها فصحاء القوم، منذ شغلهم بيانها وسحرها ثم شغل بها البلاغيون فاستتوقفتم أسرار بلاغتها وتميزها ثم كانت لغة الحديث النبوي الشريف، وقد أوتي الرسول الكريم البليغ جوامع الكلم، وسحر البيان وكانت لغة الأمثال والحكم والوصايا، التي أوجز فيها العرب خلاصة تجاربهم، وسجلوا بواسطتها خلاصة معارفهم وتاريخهم ثم كانت لغة الشعر، الذي رأها العرب ديوانا لهم، بل كان لقوم لم يصح لهم أفضل منه كما كانت لغة التباري بين فصحاء اللقوم عبر أسواقهم الأدبية العريقة حتى وهي لغة علوم الأوائل تفسيرا وحديثا وتاريخيا ونقدا وبلاغة وفكرا وعلمنا منذ فتح الرشيد دار الحكماء فكانت نافذة حضارية عريقة وعميقة

زادت من حيوية اللغة وعطائها في سياق علاقتها المتداخلة مع لغات الدنيا التي أطل منها العرب على كل حضارات الأمم المجاورة لهم والمتعايشة معهم في ظلال التغريب الفكري والانصهار الثقافي.

19- إنما اللغة مظهر من مظاهر الابتكار في مجموع الأمة، أو ذاتها العامة، فإذا هجعت قوة الابتكار توقفت اللغة عن مسيرها، وفي الوقوف التقهقر وفي التقهقر الموت والاندثار.

نتائج ومما عرضته من أفكار ونتائج وملاحظات حول ألفاظ الحضارة الحديثة الغاية منها هي المحافظة على سلامة اللغة العربية، كنظام لغوي ومحتوى ديني وحضاري، فضلا عن الأهداف العلمية، ومن أهمها مدى قدرة الإنسان على التحكم في توجيه لغته ولكن الغاية أيضا هي البحث عن السبل الفعالة لجعل هذه الأمة تتفاعل مع عصرها، لتستمر ويستمر بها التواصل الحضاري وهذا يعد تحديا من التحديات الكبرى التي يجب على الأمة العربية والإسلامية أن ترفعه.

فعلى المسلم أن يعرف أهمية هذه اللغة ومكانتها، وأنه لا غنى لنا عنها، كما يجب أن يعتز بها لا بغيرها من اللغات كما هو الحاصل عند بعض الناس مع الأسف، وعلينا أن نعلم أن اللغة بحر لا تكفي السباحة فيه، بل أن نعوص في مكنونه، ونستخرج منه المعاني الجميلة والبديعة التي تضعه وتلبسه لباسا جذابا.

فهرس المصطلحات

Référence linguistique	احتجاج
Extraction	استخراج
Métaphore	استعارة
Induction	استقراء
Nom propre	اسم العلم
Déduction	استنباط
Polysémie	إشترك
Convention	اصطلاح، أو تواضع، أو مواضعة أو تواطؤ
Racine/ paradigme	أصل
Origine du langage	أصل اللغة أو نشأة اللغة
Arbitraire	اعتباطي
Régissant	اعراب
Hypothèse	افتراض أو فرضية
Extension du sens	امتداد المعنى أو التوسع
Proverbes	أمثال
Synonyme	ترادف
Contraire	تضاد
Onomatopée	تعبير صوتي أو محاكاة الأصوات
Arabisation	تعريب
Révélacion close	توقيف أو إلهام أو وحي
Trilitère	ثلاثي
Bilitère	ثنائي
Gentilité	جاهلية

Antéislamiques	جاهليون
Radical	جذر
Communauté linguistique	جماعة لغوية
Traditions prophétiques	حديث نبوي
Son	حرف أو صوت
Etranger	دخيل
Quadrilatère	رباعي
Symbole	رمز
Contexte	سياق
Morphologie	صرف
Rapport ou lien conventionnel	علاقة عرفية
Justification	علة أو تعليل
Etymologie	علم الاشتقاق، أو أصول الألفاظ أو التأثيل
Théologie dogmatique	علم اللغة أو اللسانيات
Linguistique	علم الكلام
Sémantique	علم المعاني
Eloquent	فصاحة
Eloquent	فصيح
Philologie	فقه اللغة
Philologie comparée	فقيه اللغة المقارن
Lois phonétiques	قلب قوانين صوتية
Analgie	قياس
Parole ou langage	كلام
Métonymie	كناية

Faute grammaticale	لحن
Langue	لغة أو لسان
Suffies	بواحق
Duel	مثنى
Modernes	محدثون
Dissimilation	مخالفة
Signifié	مدلول
Infinitif	مصدر
Mutazilites	معتزلة
Lexicologie	معجمية
Sens	معنى
Oritère	معيار
Concept	مفهوم
Néologisme	مولد
Composition	نحت وتركيب
Grammaire	نحو
Système	نظام

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

أولا : القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

ثانيا : المصادر والمراجع :

- 1- إبراهيم اليوسفي، "اللغة العربية سحر وجمال وعبقورية"، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، المغرب، ط 1، 2006.
- 2- إبراهيم أنيس، "اللهجات العربية"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 3 2003.
- 3- إبراهيم أنيس، "طرق تنمية الألفاظ"، محاضرات، مطبعة النهضة الحديثة، القاهرة، 1966-1967.
- 4- ابن جني، سر ضاعة الإعراب، تحقيق مصطفى السقا وغيره، ط 1، القاهرة، 1954.
- 5- ابن فارس، الصاحبي، "في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها"، مكتبة الكعكارف، بيروت، د س.
- 6- أبو بكر جابر الجزائري، "العلم والعلماء"، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، ب ط 1405 هـ - 1985 م.
- 7- أبو عبد الله محمد ابن سعد، "الطبقات الكبرى"، دار صادر الكتب العلمية، بيروت، 1985، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، 1998.
- 8- أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، مكتبة الحياة، بيروت، د ت.
- 9- أحمد أمين، "ضحى الإسلام"، مكتبة النهضة، القاهرة، ط 5، 1956.

- 10- أحمد حساني، "دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات"، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 04، الجزائر، ص 2000.
- 11- أحمد عبد الغفور عطار، مقدمة الصحاح، ط 2، دار العلم للملايين، بيروت، 1979.
- 12- أحمد محمد المعتوق، "اللغة العليا" (دراسات نقدية في لغة الشعر)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2006.
- 13- أديب مروة، الصحافة العربية نشأتها وتطورها، بيروت، 1961.
- 14- أسعد أحمد علي، "تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي"، دار السؤال للطباعة والنشر، دمشق، ط 2، 1401 هـ - 1981 م.
- 15- أسعد أحمد علي، تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي"، دار السؤال للطباعة والنشر، دمشق، ط 2، 1401 هـ - 1981 م.
- 16- أنور الجندي، "الحضارة في مفهوم الإسلام" دار الأنصار، لبنان، ب ط، ب ت.
- 17- أنور الجندي، "الفصحى لغة القرآن" الموسوعة الإسلامية العربية، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت-لبنان، 1402 هـ - 1982 م.
- 18- أنور الجندي، "الفصحى لغة القرآن"، الموسوعة العربية الإسلامية، عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1، 1984.
- 19- أنيس فريجة، "نحو عربية ميسرة"، بيروت، دار الثقافة، 1955.
- 20- أنيس فريجة، "نظريات اللغة"، دار الثقافة، بيروت، 1955.

قائمة المصادر والمراجع

- 21- أياذ حسين عبد الله الحسيني، "التكوين الفني للخط العربي (وفق أسس التصميم)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، دار صادر، بيروت، ط 1، 1424 هـ - 2003 م.
- 22- بلماني بن عمر، "تراث ابن جني اللغوي والدرس اللساني الحديث"، دي سوسير أنموذجا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ب ط، 2006.
- 23- تاريخ العلامة بن خلدون "مج الأول المقدمة"، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، ب ط، 1982.
- 24- تمام حسان، "اجتهادات لغوية، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 1428 هـ - 2007 م.
- 25- الجاحظ، الحيوان، ج 1.
- 26- جاسم محمد عبد العبود، "مصطلحات الدلالة العربية". دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2007.
- 27- جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، بيروت.
- 28- جون لوينز، ترجمة أ.د. محمد العناني "اللغة واللغويات"، دار جرير، عمان، الأردن، ط 01، 1430 هـ - 2009 م.
- 29- حازم جلهوم، كلمات لها تاريخ في اللغة الأوروبية واللغة العربية"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2007.
- 30- حافظ إسماعيل علوي، "اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة"، (دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته) دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، طرابلس، ط 1، 2009.

قائمة المصادر والمراجع

- 31- حسن الباشا، "أصول الحضارة الإسلامية"، الدارة، العدد 01، ربيع الأول، 1395 هـ / 1975 م.
- 32- حسين الحاج حسن، "حضارة العرب في صدر الإسلام"، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 2، 1426 هـ - 2006 م.
- 33- حلمي خليل، "المولد" (دراسة في نمو تطور اللغة العربية بعد الإسلام) الهيئة العامة للإسلام، الاسكندرية، 1978.
- 34- حلمي خليل، "مقدمة لدراسة علم اللغة"، الهيئة العامة للإسلام، الاسكندرية، 1978.
- 35- حمادي صمود، "التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوه إلى القرن السادس، مشروع قراءة، منشورات الجامعة التونسية، 1981 م.
- 36- حنان قرقوتي، "اللغة العربية والخط وأماكن العلم والمكتبات الترجمة وآثارها، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات، ط 1، 1427 هـ - 2006 م.
- 37- حنيفي عيسى، "محاضرات في علم النفس اللغوي"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003.
- 38- خليل أحمد، "دور اللسان في بناء الإنسان عند زكي الأرسوزي" دار السؤال، دمشق، ط 2، 1401 هـ - 1978 م.
- 39- د. محمد محمد حسين، "الأسلام والحضارة الغربية"، دار الفرقان، بيروت، ب ط، ب ت.
- 40- ديزره شقال، "نشأة المعاجم العربية وتطورها، دار الفكر العربي، بيروت، ك 1، 1997.

قائمة المصادر والمراجع

- 41- راشد الكيالي، "التعاون الثقافي الإسباني العربي"، مجلة التراث العربي، العدد 32، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1988.
- 42- الربيعي بن سلامة، "الحضارة العربية الإسلامية، التأثير والتأثير، ديوان المطبوعات الجامعية، ب ط، 2009.
- 43- رشد الحمزاوي، "العربية والحداثة"، منشورات المعهد القومي للتربية، تونس، 1982.
- 44- رشدي أحمد طعيمة ومحمود كامل الناقية، اللغة العربية والتفاهم العلمي، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، د ط.
- 45- ريمون طحان، دنيز بيطان، "اللغة العربية وتحديات العصر"، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- 46- زبير الدراقي، "محاضرات في فقه اللغة"، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، الجزائر.
- 47- زيغريد هونكة، "شمس العرب تسطع على الغرب (أثر الحضارة العربية على أوروبية)"، منشورات المكتب التجاري، ط 1، بيروت، لبنان، 1964
- 48- سعيد أحمد بيومي، "أم اللغات"، دراسة في خصائص اللغة العربية والنهوض بها، ط 1، 1423هـ - 2002م.
- 49- سعيد حسن البحيري، "المدخل إلى مصادر اللغة العربية"، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 2، 2012.
- 50- السعيد محمد بدوي، "مستويات العربية المعاصرة في مصر"، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط 1، 2011.

قائمة المصادر والمراجع

- 51- سلمان بن سالم بن رجاء السليمي، "إبدال الحروف في اللهجات العربية، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، ط 1، 1415هـ-1990م.
- 52- سليمان الخطيب، "أسس مفهوم الحضارة في الإسلام"، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 1999.
- 53- سمير سليمان، "الإسلام والغرب"، إشكالية الثغائش والصراع، بيروت، 1955.
- 54- سهام مادن، "الفصحى والعامية وعلاقتها في استعمالاتها الناطقين الجزائريين، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 1432هـ-2011م.
- 55- شكري الفصيل، "من قضايا اللغة العربية المعاصرة"، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1990.
- 56- شوقي ضيف، "العصر الجاهلي"، دار المعارف، القاهرة، سلسلة تاريخ الأدب العربي، ط 12، 1988 م.
- 57- شوقي ضيف، "الفن ومذاهبه في الشعر العربي"، دار المعارف، القاهرة، ط 10، ب ت.
- 58- الشيخ عبد الحميد بن باديس، "نوابغ العرب"، دار العودة، بيروت، 1976.
- 59- صاحب الربيعي، "تقنيات وآليات الإبداع الأدبي"، صفحات للدراسة والنسر، سوريا، دمشق، الأصدار الأول، 2011.
- 60- صالح بلعيد، "في الأمن اللغوي"، دار هومة، الجزائر.
- 61- صامويل هانتقتون، "صدام الحضارات"، نقلا من كتاب اللغة العربية في عصر العولمة، د. أحمد الطيب، مكتبة العبيكان، الرياض، ط 1، 1422هـ-2001.

- 62- صحيح البخاري الأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، (ت 256)، ت، مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، ط 3، 1407هـ-1987، ج 1.
- 63- صفي الرحمن المبار الكفوري، "الرحيق المختوم بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، دار المعرف، الدار البيضاء، المغرب، ب ط، 1423هـ-2002م.
- 64- طه عبد الرحمن، "ؤال الأخلاق"، مساهمة في النقد الأخلاقي للحدائثة الغربية، نشر المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2000.
- 65- طه عبد المقصور عبد الحميد أبو عبية، "الحضارة الإسلامية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2004-1424 هـ.
- 66- عائشة عبد الرحمن، "لغتنا والحياة"، دار المعارف، مصر، 1969.
- 67- عباس أبو السعود، أزاهير الفصحى في دقائق اللغة، تقديم محمود تيمور، دار المعارف، القاهرة، ط 2، 2015.
- 68- عباس محمود العقاد، "اللغة الشاغرة"، مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية، المكتبة العربية، بيروت، د ت.
- 69- عباس محمود العقاد، أثر العرب في الحضارة الأوروبية، دار المعارف بمصر، ط 8، 1973.
- 70- عبد الجليل مرتاض، "التهجين اللغوي في العهد التركي"، دار الأمل، 2015.
- 71- عبد الجليل مرتاض، "العربية بين الطبع والتطبيع"، دراسات لغوية تحليلية لتراكيب عربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ب ط، 2007.

قائمة المصادر والمراجع

- 72- عبد الجليل مرتاض، "القاموس الوجيز في المصطلح اللساني"، دار هومة، الجزائر، 2017.
- 73- عبد الجليل مرتاض، "اللغة والتواصل"، اقترابات لسانية للتواصلين : الشفهي والكتابي، دار هومة.
- 74- عبد الجليل مرتاض، "بوادر الحركة اللسانية عند العرب"، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007.
- 75- عبد الجليل مرتاض، "في رحاب اللغة العربية"، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 2، 2007.
- 76- عبد الراجحي، "النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1984.
- 77- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية الجزء الأول، موفم للنشر، الجزائر، 2012.
- 78- عبد الرحمن التويجري، الثقافات الأخرى، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، ط 2، 1436هـ - 2015م.
- 79- عبد الرحمن حسن بدوي، "موسوعة المستشرقين"، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1، 1984.
- 80- عبد السلام المسدي، "التفكير اللساني في الحضارة العربية"، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، كط 3، 2009.
- 81- عبد الصبور شاهين، "العربية لغة العلوم والتقنية"، دار الاعتصام، القاهرة، ط 1، 1983، ط 2، 1986.

قائمة المصادر والمراجع

- 82- عبد العزيز بن عثمان التويجري، "حاضر اللغة العربية" مع الترمتين الإنجليزية والفرنسية، التصنيف والتوضيب والسحب في مطبعة الأيسيسكو، الرباط، المملكة المغربية، د ط، 2013.
- 83- عبد العزيز مطر، "المعجم الوسيط بين المحافظة والتجديد"، أعمال الندوة المعجمية العربية المعاصرة.
- 84- عبد العزيز مطر، "لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة"، القومية، القاهرة.
- 85- عبد العلي الودغيري، "اللغة والدين والهوية"، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1420هـ - 2000م.
- 86- عبد الغفار حامد هلال، "أصل العرب ولغتهم بين الحقائق والأباطيل" دار الفكر العربي، ملتزم الطبع والنشر، القاهرة، 1417هـ - 1997.
- 87- عبد القادر الفاسي الفهري، "اللسانيات واللغة العربية"، (نماذج تركيبية ودلالية)، دار توبقال للنشر، ط 4، 2000.
- 88- عبد القادر عبد الجليل، "علم اللسانيات الحديثة نظم التحكم وقواعد البيانات"، دار الصفاء، عمان، 2002.
- 89- عبد الكريم مجاهد، "علم اللسان العربي"، (فقه اللغة العربي)، دراسة أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2009.
- 90- عبد المنعم خفاجي، "تاريخ الأدب في العصر العباسي الأول"، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط 2، 1401 هـ - 1981 م.
- 91- عز الدين المجدوب، "المنوال النحوي العربي"، قراءة لسانية جديدة، كلية الآداب، سوسة، دار محمد علي الحامي، ط 1، 1998.

- 92- علي بن إبراهيم النملة، التواصل الحضاري بين الأمم في ضوء تناقل العلوم والآداب والفنون، منشورات الجمعية التاريخية السعودية، الرياض، شوال 1435هـ أغسطس 2014م.
- 93- علي عبد الواحد وافي، "علم اللغة"، دار نضضة مصر، القاهرة، 1367 هـ/ 1967م.
- 94- عمار ساسي، "المصطلح في اللسان العربي من آلية الفهم إلى أداة الصناعة" عالم الكتب الحديث إربد، الأردن، ط 1، 1429هـ - 2009م.
- 95- عمر فروخ، "الحاضرة الإنسانية وقصد العرب فيها"، دار لبنان، ط 3، بيروت، 1983 م.
- 96- عودة الله منيع القيسي، "العربية الفصحى"، "العربية الفصحى" (مرونتها وعقلانيتها - وأسباب خلودها -)، مكتبة نور الكتب، القاهرة، 2010.
- 97- فاضل الجمالي، "دفاعا عن العربية" نشر وتوزيع مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس، 1996.
- 98- كارل بروكلمان، "تاريخ الأدب العربي" (نقله إلى العربية عبد الحلیم النجار)، دار المعارف، القاهرة، ج 1، 1983 م.
- 99- كمال بشر، "التفكير اللغوي بين القديم والجديد"، دار غريب، القاهرة، ب ط، 2005.
- 100- كمال بشر، "اللغة العربية بين الفهم وسوء الفهم"، دراسات عربية في المكتبات وعلم المعلومات، دار غريب، دمشق، 1998.
- 101- ليفي برونسسال، "الحضارة العربية في إسبانيا"، مكتبة طريق العلم، ترجمة أحمد مكي، 2015.

- 102- مازن الوعر، "قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديثة"، دار طلاس، ط 1، 1988.
- 103- مايكل كور باليس ترجمة : محمود ماجد عمر، "في نشأة اللغة من إشارة اليد إلى نطق الفم"، منتدى سور الأزبكية، الكويت، ب ط، 2006.
- 104- محمد الخضر حسين، "دراسات في العربية وتاريخها"، الدار الحسينية للكتاب، القاهرة، بد ط، 1421 هـ، 2000م.
- 105- محمد الخطيب، "تاريخ الحضارة العربية"، دراسة النشر، سورية، دمشق، ط 1، 2007.
- 106- محمد المبارك، "فقه اللغة وخصائص العربية"، دار الكتب، القاهرة، 1993.
- 107- محمد رضاد الحمزاري، "العربية والحداثة"، دار الغارب الإسلامي، ط 2، 1986.
- 108- محمد رفعت زنجبير، "مباحث البلاغة في القرآن الكريم، ص 32. نقلا عن (قصائد من الإمارات، ص 12، إتحاد كتاب الإمارات الشارقة، 1986م).
- 109- محمد عبد الجابري، "التراث والحداثة"، دراسات ومناقشات المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، سبتمبر 1991.
- 110- محمد عبد الغني المصري ومجد محمد الباكير الرازي، "الغة العربية"، ثقافة عامة، دار المستقبل، عمان، الأردن، 1988.
- 111- محمد عطية الأبراشي، "الآداب السامية" (بحث مستفيض عن اللغة العربية وخصائصها وثروتها وأسرار جمالها) دار الحداثة، بيروت، لبنان، ط 2، 1984.
- 112- محمد غنيمي هلال، "النقد الأدبي الحديث"، دار العودة، بيروت، د ط، 1997.

قائمة المصادر والمراجع

- 113- محمد محمد حسين، "مقالات في الآداب واللغة"، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م.
- 114- محمد محمد دواد، "العربية وعلم اللغة الحديث"، دار غريب كلية التربية، جامعة قناة السويس، القاهرة، ب ط، 2001.
- 115- محمود السعران، "علم اللغة مقدمة للقارئ العربي"، دار النهضة العربية، بيروت، ب ط، د ت.
- 116- محمود تيمور، "مشكلات اللغة العربية، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، د.ت.
- 117- محمود شمس، "ميراث النبي (من ثواب العمل الصالح)"، دار الخلدونية، ب ط، 2008.
- 118- محمود فهمي حجازي، ود. النعمات القاضي، وعبد الحميد السيوري ود. عبد الحكيم راضي في "العربية نصوص ودراسات" القاهرة، 1979.
- 119- مصطفى السباعي، "من روائع حضارتنا، دار الإرشاد، بيروت، لبنان، ط 2، 1388هـ - 1968م.
- 120- مصطفى صادق الرافعي، "تاريخ آداب العرب" الجزء الثالث، الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- 121- مصطفى صادق الرافعي، "تاريخ آداب العرب" الجزء الثاني، الدار العلمية، بيروت، لبنان، د ط.
- 122- مصطفى صادق الرافعي، "تاريخ آداب العرب"، الجزء الأول، الدار العلمية، بيروت، لبنان.

قائمة المصادر والمراجع

- 123- ميخائيل نعيمة، "بين العامية والفصحى"، (الأعمال الكاملة)، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1، 1973.
- 124- نهاد الموسى، "الفصحى وعاميتها" بين تجليات الكائن وتطورات الممكن، ندوى، الفصحى وعاميتها.
- 125- هاشم ياغي وأ.د إبراهيم الساعفين وأ.د. صلاح جرار، "مناهج النقد الأدبي عند العرب" ب ط، 2009.
- 126- هاني سعد غنيم، "فنون ولطائف لغوية من رياض لغتنا العربية"، دار الكتب والوثائق العلمية، مكتبة الإيمان، المنصورة، إمام جامعة الأزهر، ط 03، 1432 هـ - 2011 م.
- 127- ولوا يريل ديورانت، "قصة الحضارة" دار النشر نوبليس، بيروت، ط 1، 2008.
- 128- يوسف القرضاوي، "العقل والعلم في القرآن الكريم"، مكتبة وهبة، القاهرة.
- ثالثا : المجلات الدورية :
- 129- إبراهيم بيومي مذكور، "مجمع اللغة في ثلاثين سنة"، القاهرة، د.ط، 1964.
- 130- أحمد إبراهيم اليازحي، مجلة الضياء، 30 يونيو 1900، الجزء العشرون، م 2، المجلد الثاني.
- 131- أحمد الأخضر غزال، "تجربة المغرب الخاصة في التعريب"، مجلة الموقف المغربية، عدد 03، محرم 1408/09/1987.

قائمة المصادر والمراجع

- 132- شكري فيصل، "قضايا اللغة العربية، بحث في الإطار العالم للموضوع"، مجلة اللسان العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريف، العدد 26، السنة 1407هـ - 1987.
- 133- عبد الله أمين، "بحث من علم الاشتقاق"، مجلة مجتمع اللغة العربية، عدد 01، 1935.
- 134- لطفي الخوري، ألفاظ عربية في المصطلحات الموسيقية الهندية، مجلة التراث الشعبي، السنة 10، العدد 18، بغداد، العراق، 1979.
- 135- ليلي صديق، "تأثير اللغة العربية في غيرها من اللغات"، مجلة دولية التراث، العدد الخامس، 2006.
- 136- مجلة المجمع اللغة العربية، عدد 8، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1955.
- 137- مجلة مجمع اللغة العربية، عدد 12، 1960.
- 138- محمد كردي علي، منشور المجمع للمجلات والمجامع في مجلة المجمع العلمي"، دمشق، م 1، عدد 1، يناير 1921.

رابعا : الكتب المترجمة :

- 139- باسركالبيك، لوران ساغار، جيسلان درهان، سيسيل ليستين، "أجمل قصة عن اللغة"، ترجمة ريتا خاطر مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 2009.
- 140- ر.ل. تراسك ترجمة رانيا إبراهيم يوسف، "أساسيات اللغة"، المشروع القومي للترجمة"، القاهرة، ط 1، 2002.
- 141- ر.ه. روبنز ترجمة د. أحمد عوض، "موجز تاريخ علم اللغة في الغرب.

142- عبد الكبير الخطيبي "المغرب العربي وقضايا الحداثة"، ترجمة لجنة ترجمة أعمال

عبد الكبير الخطيبي، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الرباط 1993.

خامسا : الرسائل الجامعية :

143- سامية غربي، "تأثير وسائل الاتصال في تنمية الملكة الغوية"، مذكرة لنيل

شهادة الماجستير في اللسانيات التطبيقي، 2008.

144- عبد الجليل مرتاض، "دراسة سنناكسية للهجات العربية القديمة"، رسالة

دكتوراه في اللسانيات، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة تلمسان، الجزائر،

1994.

سادسا : المراجع الأجنبية :

145- André Martinet, Eléments de Linguistique générale.

146- Bloomfield lemar, langage Compton pritiglond, 1933.

147- De saussure, course in général linguistics, P 150.

148- J. Du bois « dictionnaire de linguistique larousse, Paris.

149- Fel ber standardisation of terminology, 1985.

150- D.A Wilkims ; in language teaching

قائمة المصادر والمراجع

سادسا : موقع الانترنت :

151- موقع الانترنت ويكيديا .Wikipedia

152- د. أنور محمود زناقي www.alukah.net/culture

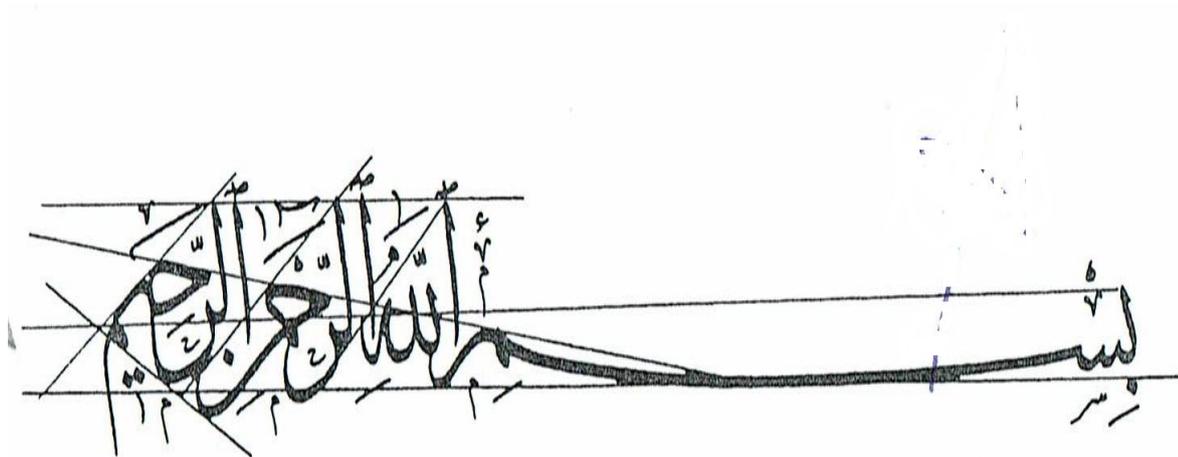
الملاحق

الملحق رقم 04 : مقارنة بين الأشكال النقاط في بعض الخطوط العربية

				فطر التلث
				فطر النسخ
				فطر التعليق
				فطر الديواني
				فطر الرقعة
				التلث والاكوفي والمحقق
				الاكوفي الاصحفي

الملحق رقم 05 : أهمية الخطوط الوهمية في بناء العلاقات الهندسية

والإنشائية في الخط العربي



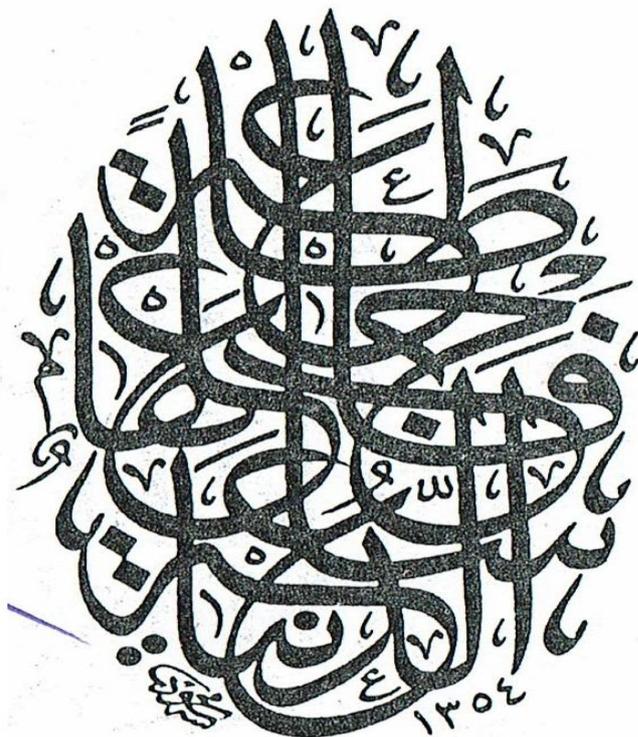
الملحق رقم 06 : خطوط عربية تؤدي وظيفة لغوية



الملحق رقم 07 : تراكيب هندسي مستطيل قائم



الملحق رقم 08 : تراكيب هندسي بيضوي قائم





الملحق رقم 10 : آيات قرآنية لخط عربي، براكيب على جدران المدرسة

البوعنانية بفاس المغرب



الفهرس

شكر

إهداء

مقدمة

أ

الفصل الأول : مفهوم اللغة وأهميتها

01	تمهيد
01	تعريف اللغة
06	مفهوم اللغة عند قدماء العرب
09	مفهوم اللغة عند قدماء الأجانب
10	مفهوم اللغة لدى المحدثين العرب
11	مفهوم اللغة لدى المحدثين الأجانب
16	كيف نتعلم اللغة
23	علاقة اللغة باللسان
30	نشأة اللغة
34	الإتجاه التوقيفي
37	ابن فارس وفكرة التوقيف
38	اتجاه المواضعة والإصطلاح
41	الإتجاه التوقيفي
48	النظام التواصل عند النحل
59	طريقة التواصل عند النحل
51	في المجتمع واللغة
56	تأثير الفكر في اللغة
56	تأثير اللغة في الفكر

58 أهمية اللغة في التبليغ الثقافي
58 اللغة والاتصال
61 أهمية اللغة
62 اللغة والثقافة

الفصل الثاني : اللغة العربية

65 أصل العرب
68 أقسام العرب
71 تعريف اللغات السامية
72 تاريخ اللغة العربية
72 انحدارها من الساميات
73 اللغة العربية قبل الإسلام
77 مفهوم الحضارة في الإسلام
79 اللغة العربية والحضارة
80 اللغة العربية وصلتها بالحضارات والثقافات الإنسانية
84 علوم القرآن
85 تعريف القرآن الكريم وكيفية إنزاله
86 القرآن الكريم وأهميته
88 القرآن الكريم وأهميته في حفظ اللغة العربية
88 حفظ اللغة العربية
89 انتشار اللغة العربية
91 اللغة العربية والقرآن الكريم
91 أثر القرآن الكريم في اللغة العربية
94 توحيد لهجات عربية
94 أ-اختلاف هيئة النطق للكلمة الواحدة
94 ب-اختلاف معاني الكلمات

95	ألقاب اللهجات العربية.....
101	تهذيب الألفاظ.....
103	الخط العربي.....
105	الخط العربي وتاريخه.....
105	نشأة الخط العربي وتاريخه.....
107	جمالية الخط العربي.....
107	هندسة الحروف.....
109	علوم اللغة العربية.....
109	علاقة النحو باللغة العربية.....
109	منزلة النحو العربي.....
113	علم الأدب.....
114	البلاغة.....
116	البيان والبلاغة والفصاحة.....
117	البيان في اللغة.....
118	الفصاحة في القرآن الكريم.....
120	فضل اللغة العربية.....
122	تطور اللغة العربية.....
123	مكانة العقل والفكر في القرآن.....
123	العلم والعقل ومكاتبهما في القرآن الكريم.....
123	العقل والعلم.....
124	تنوع العلم في لسان القرآن.....
125	بيان فضل العلم ومنزلة السامية.....
127	في علوم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.....
132	العربية ومؤامرة التغريب.....
133	الاستعمار الغربي والنهضة اللغوية الأولى.....

134 نموذج من أبطال الجزائر "الشيخ عبد الحميد بن باديس"
136 اللغة العربية والعلم والتكنولوجيا
141 بين العربية الفصحى والحداثة
143 العربية الفصحى والعربية المعاصرة
144 سمات العربية المعاصرة
145 الفرق بين العربية الفصحى والعربية المعاصرة
146 بين العربية الفصحى والعامية
146 تعريف اللغة العامية
149 نقاط التشابه والاختلاف بين العامية والفصحى
 مميزات اللغة العربية ومكاتها

الفصل الثالث : التفاعل اللغوي المبكر بين العربية ولغات أخرى

157 العربية في العصر الجاهلي
158 التفاعل اللغوي بين اللغة العربية واللغات السامية في العصر الجاهلي
164 العربية في العصر الإسلامي
169 التفاعل اللغوي بين اللغة العربية واللغات السامية في صدر الإسلام
174 الرسائل المتبادلة لنشر الإسلام
177 العربية في العصر الأموي
182 العربية في العصر العباسي
183 عناية الخلفاء بالشعر ومنزلة الشعراء
184 العصر الذهبي للإسلام
186 العربية في المغرب الإسلامي
188 عربية الأندلس

الفصل الرابع : أثر اللغة العربية في اللغات الأوروبية

193 تفاعل اللغة العربية مع لغات الأمم الأخرى وأثرها عليها
194 اللغة العربية وألفاظ الحضارات القديمة

196 أثر اللغة العربية في اللغة الفارسية
198 أسماء فارسيتها منسية وعربيتها محكية مستعملة
199 أثر اللغة العربية في اللغة اليونانية
201 أثر اللغة العربية في اللغة الهندية
203 أثر اللغة العربية في اللغة التركية
205 كلمات تركية في المنطوق الجزائري
207 اللغة العربية وألفاظ الحضارات الحديثة
209 أثر اللغة العربية في اللغة الفرنسية والإيطالية
215 أثر اللغة العربية في اللغة الإسبانية
220 كلمات إسبانية ذات الأصل العربي
222 أثر اللغة العربية في اللغة الإنجليزية
227 تأثير الأدب العربي في الأدب الأوروبي
232 ظهور المجامع اللغوية والعلمية
233 المجامع اللغوية ودورها في المحافظة على اللغة العربية
233 من أجل عربية حضارية
237 المحاور الكبرى في البحث الغوي المجعي
237 أوضاع المصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة
241 الإشتقاق
244 النحت
246 المجاز
247 التعريب
257 المولد
258 الترجمة
261 مفهوم الترجمة الفنية
262 أهمية توحيد المصطلح

264 أشكال التطور الدلالي
266 تبسيط قواعد اللغة
267 محمود تيمور وتيسير العربية
274 المعاجم العربية
274 تعريف المعجم
275 تسميته
278 أنواع المعاجم
281 نشوء المعجم العربي
282 جمع اللغة
286 نحو جمع لغوي جديد
288 نحو معجم عربي حديث
293 واجبنا نحو النهوض باللغة العربية
296 اللغة العربية تشتغيث
299 خاتمة
303 فهرس المصطلحات
308 قائمة المصادر والمراجع
322 الملاحق
331 الفهرس

الملخص :

إن الحضارة العربية الإسلامية أخذت الشيء الكثير من الحضارات القديمة كاليونانية والهندية والفارسية، ودخلت أعداد كبيرة من المفاهيم العلمية والحضارية إلى اللغة العربية كما أفادت هي بدورها بعد ذلك الحضارة الأوروبية في بدايتها على وجه الخصوص، وتجسد ذلك في دخول مئات الألفاظ العلمية والحضارية العربية إلى عدد من اللغات الأوروبية الحديثة، نجد أنها تميزت عن الحضارات القديمة بتعدد العلوم والفنون والتقنيات التي ظهرت فيها، وبسرعة الاكتشافات والاختراعات، لاستفادتها من كل الحضارات التي سبقتها، وقد أثرت هي بدورها تأثيراً كبيراً في العالم ومنه العالم العربي، إذ بدأت تنتقل مفاهيمها العلمية والفكرية والثقافية، وكذلك منتجاتها الصناعية إلى أقطاره، ومنه إلى اللغة العربية منذ بداية احتكاك العرب بالحضارة الحديثة.

وعلى هذا الأساس تم إنشاء الجامعات والمؤسسات اللغوية، لنقل هذه المفاهيم العلمية والثقافية المستحدثة وبغرض توليد الألفاظ الحضارية العربية الصالحة للتعبير عما هو متداول من ألفاظ أجنبية ومن تم تضمينها سواء في المعاجم المتخصصة أو في المعاجم اللغوية العامة.

الكلمات المفتاحية :

المفاهيم العلمية - الحضارة الأوروبية - الألفاظ الحضارية - احتكاك العرب - الحضارة الحديثة الحضارة القديمة - المعاجم اللغوية والمعاجم.

Résumé :

Dans cette recherche, nous avons parlé de l'interaction linguistique entre l'arabe et les langues internationales, où nous avons traité l'impact de la langue arabe par d'autres anciennes langues notamment la langue persane, l'hellénique et indienne et aussi les langues modernes comme l'espagnol, le français, l'italien et l'anglais à cause du contact linguistique.

Quels que soient son degré et ses ultimes résultats, ce contact mène à l'impact de l'une par l'autre. Ensuite, nous nous référons aux efforts de l'Académie de la langue arabe, et recommandons ses travaux visant à fournir des termes scientifiques et des mots éloquents qui remplacent la langue vernaculaire dans le maintien de la langue du Coran qui est une langue immortelle, pure et saine pour qu'elle soit protégée de la distorsion et la corruption.

Mots clés :

L'interaction linguistique - le contact - l'académie - les termes scientifiques et techniques - les mots éloquents - distorsion et corruption.

Abstract :

This research is about the interaction between Arabic and international languages. It dealt with the impact of some languages on Arabic; mainly ancient ones like Persian, Greek, and Hindu, and modern ones including Spanish, French, Italian, and English.

There is no doubt that both of them influence each other whatever is the degree of the friction or its final results.

Then, it refers to the efforts of the Arabic Language Academy and its work to provide the Arabic language with scientific and technical terms that replace the dialect in so many aspects of life, and its role to keep the language of the Holy Quran immortal, pure, and protected from change and corruption.

key words :

Linguistic interaction - international languages - friction - scientific and technical terms - corruption.